قلوب حائرة

فيروز شبانة

الكتاب : قلوب حائرة
الكاتبة : فيروز شبانة
التدقيق اللغوي : هند محمود
رقم الإيداع : ٢٠١٩-١١٤٠٨
تصميم الغلاف : شيماء صلاح

المدير العام: محمد قاسم

جميع الحقوق محفوظة

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

العنوان: 6 ش احمد عبد الرحيم - الملك فيصل -جيزة

موبايل: 01003002847

البريد الإلكتروني: mkbookstor@gmail.com

قلوب حائرة

رواية

فيروز شبانة

M.K
Publishing
Distribution

المقدمة

لا يزال البعض يتعامل مع الآخر بنظام طبقيٍّ عقيم عفا عليه الدهر، ولكن تأتي المواقف لتُعلِمك بخَطئك، ولتحاَول إصلاح ما أفسدتِه.

فهل في وقتها ستستطيع الإصلاح حقا؟!

(١)

في أحد الأحياء الشعبية التي تمتاز ببساطة الطراز، وأيضًا بساطة الإنسان، والذي رغم الظروف التي أنهكته فإنه لا يزال يعافر في الحياة، ولا تزال البسمة ترتسم على شفتيه رغم معاناته اليومية من ضيق الرزق وقلة الخدمات المتوفرة لأصحاب الحِرَف البسيطة، يقطُن العم (محمود) وأسرته.

الابنة الكبرى (إسراء)، تبلغ من العمر عشرين عامًا، في المعهد الفني التجاري، هي متوسطة الجمال، ولكنها طيبة القلب.

والصغرى (ظلال)، في السابعة عشرة من عمرها، في الصف الثاني الثانوي، تبدو كالبدر ليلة تمامه في استدارَته، هي بيضاء، ولكن براءَتها سرُّ جمالها.

والابن (فاروقَ)، أنهى الدبلوم، يُساعِد والده في النجارة، في الثانية والعشرين من عمره، وهو قمحاوي البشرة.

وأما زوجة العم (محمود)، فإنها تحاول بكل عناءٍ أن تُدبِّر حال الأسرة واحتياجاتها بأقل القليل حتى لا تزيد من معاناة زوجها.

وعلى الجانب الآخر..

توجد أسرةٌ فاحشة الثراء، الأب هو (البنهاوي)، صاحب أعرق شركات التصدير والاستيراد، يمتلك فروعًا بمصر وخارجها.

الابن الأكبر (ظافر)، ذو ثَلاثين عامًا، وهو شاردٌ في الخارج لا يُحِب القدوم إلى القاهرة، ولذلك فإنه يُدير الشركات بالخارج، وهو وسيم وطويل وعريض، وهذا ما يزيد من غروره على عكس أخيه الأصغر.

الابن الأصغر (حمزة)، وهو ملتزمٌ أخلاقيًّا، في الخامسة والعشرين من عمره، يُفضِّله والده عن أخيه الأكبر لالتزامه وعقليته رغم صغر سنه، أما الأخ الأكبر فهو أهوج، حتى إنه تزوَّج بأجنبية من أصول عربية بالخارج.

ولذلك، فقد كتب الأب معظم الشركات للابن الأصغر، لتعقُّله، فقد خشي أن يبعثر الأخ الأكبر كل هذا على ملذاته ونزواته، ووصَّى ولدَه (حمزة) على إخوته، بألَّا يأخذ حقهم وأن يُعطيهم ما يريدونه، إذ كان بذلك فقط يحفظ المال والشركات من الضياع مع ابنه الأصغر.

و(حمزة) شابٌّ وسيم، ولكنه ضئيل الحجم نوعًا ما، فهو ليس بفارِع في الطول ولكنه قصير بعض الشيء.
يوجد لدي (البنهاوي) أيضًا ابنتان، الكبرى في الخامسة والثلاثين ومتزوجة، والصغرى في الحادية والعشرين من عمرها، وقد تخرَّجت في مدارس اللغات والجامعه الأمريكية، وتعيش حياتها كما تشاء بين «الديسكوهات» والأصدقاء، لا أحد يبالي بها، فالجميع لديه عمله المُنغمِس فيه.
نرجع إلى العائلة البسيطة..
تستيقظ (ظلال) وهي لا تزال في فراشها بجانب أختها، والتي تُحاوِل إيقاظها بتململُ وتأفف: يوه يا ظلال، عندي متأخر النهارده، سيبيني أنام شوية أنا ضابطة المنبه، وقومي إنتِ الحقي مدرستك.
(ظلال) تتنهد: حاضر، يا بختك! مش احنا كل يوم من الصبح مدرسة وبعد كده دايرين عالدروس كعب داير، ارحمنا برحمتك يا رب.
(إسراء) بمزاح تضرب أختها بالوسادة: قومي يا بت، على حتة يوم يتيم بروح فيه متأخرة هتحسديني عليه!
(ظلال): ما إنتِ مبتخديش دروس زيي.
(إسراء) تضربها: قومي يا بت من هنا هقتلك!
وتستيقظ (ظلال) لتذهب إلى الحمام وتتوضأ لتؤدي فرض ربها، ثم ترتدي ملابس المدرسة وتستأذن والدتها في الذهاب إلى المدرسة وأنها ستتأخر ليلًا لأن معها كتبَ الدروس وستخرج من المدرسة إلى الدروس مباشرة، ولن تعود إلا في التاسعة ليلًا بعد الانتهاء من جميع دروسها، وتطلب منها ألا تقلق عليها.
ولكن قلب الأم، فتقول الأم بأسى: يعني مفيش وقت فاضي تيجي تاكلي لقمة؟! هتفضلي كده على لحم بطنك من الصبح!
(ظلال) تُطمئنها: عملت سندوتشين معايا، متقلقيش.
أمها وهي تُخرِج بعض النقود من صدرها: طب خدي دول، لو جُعتي اشتري أي حاجة أو اركبي توك توك لو تعبتي.
(ظلال) تحتضنها: حاضر يا أحلى أم في الدنيا.
ثم تذهب إلى مدرستها، وهناك تقابل أصدقاءها.

(رنا) تسأل (ظلال): جبتي مادة الفيزياء معاكِ؟
(ظلال): ليه إن شاء الله؟ مفيش درس النهارده.
(رنا) بتعجب: إنتِ مفتحتيش الفيس؟ الأستاذ نبِّه إن فيه درس الساعة تسعة.
(ظلال) بضيق: كمان! ده إيه الهم ده! يعني هنفضل في الطاحونة دي لامتى، نطلع من الدرس ده للدرس ده، حاجة تشل! طب مش رايحة.
(رنا) باستسلام: إنتِ حرة، بس ده امتحان، وهيحدد مستوى اللي يستني واللي يمشي، إنتِ مش مذاكرة؟
(ظلال): لا مذاكرة، ما هو كان امبارح الامتحان واتأجل، خلاص هاجي وأمري لله.
وظلت (ظلال) في هذه الطاحونة من هنا إلى هنا، حتى أنهَت دروسها.
بعض الأصدقاء: احنا هناخد تاكسي، مش قادرين، والبيت بعيد.
وجمعوا المبلغ من بعضهم، فبيوتهم بجانب بعضها.
(ظلال) باستسلام: يعني هتسيبوني أمشي لوحدي للبيت! مش هتوصلوني؟!
الجميع: لاااا، بيتك بعيد عننا خالص، مش قادرين والله.
فرضخَت (ظلال) واستسلمت، لتسير في ليالي الشتاء الكاحلة والبرد الشديد، فقد قضَت على النقود ولم يعُد لديها أي نقود لتأخد تاكسي أو حتى «توك توك».
وفي أثناء سيرها منكمشةً على نفسها من البرد، اعترضها بعض الشباب.
(شاب ١): القمر ماشي لوحده ليه؟
(شاب ٢): هو مش القمر المفروض ينور لنا في الظلمة دي؟
(شاب ٣): متيجي يا جميل معانا ونحلي لك بقك اللي عاوز يتاكل ده.
ويجذبها إليه، لتحاول إبعاده وتنهَرهم: ابعدوا عني! حرام عليكم، ملكومش إخوات بنات!
(شاب ١): إنتِ هتعملي علينا شريفة أبت؟! في بت محترمة تمشي في الوقت المتأخر ده إلا إذا كانت لا مؤاخذة...
لتمُد يدها عليه: اخرس!
ليُمسِك يدها: إنتِ اتهبلتي! والله لأوريكِ!

ويجذبها بشدة وهي تصيح ولا مجيب، فالشوارع خالية كأن سكانها هجروها، لتخرج سيارة من العدم تُسلِّط عليهم الضوء ويخرج صاحبها ذو الحجم الضئيل ويُشهِر مسدسه الذي يظل دائمًا في (التابلوه) بالسيارة، إذ في أحيانٍ يكون معه نقود كثيرة ويخشى السرقة.

هو يعلم أن القوة غير متكافئة، ولكنه يحاول إنقاذها من براثن هذه الذئاب البشرية، فيُغلِق الجميع عينيه من أثر الضوء، وينطلقون بعد سماع صوت المسدس، فقد ظنوا أنه شرطي أو ما شابه.

تركوها تبكي، لتجري عليه وتُلقي بنفسها في أحضانه وهي في حالة انهيارٍ تام، ففوجئ بردِّ فعلها ولم يعلَم ما يفعل معها، ولكنه أخذ يُربِّت على كتفها وظهرها كي تهدأ، لتستعيد رباطة جأشها مرةً أخرى وتتراجع وتمسَح عينيها بيديها كالأطفال، وتشكره كثيرًا على ما فعله معها، فلولاه لأخذها هؤلاء الكلاب وضاعت بعدها.

(حمزة) بابتسامة عذبة: بتشكريني على إيه، ده أقل شيء ممكن أعمله.

(ظلال): إزاي! إنتَ عرَّضت حياتك للخطر، كان ممكن يضربوك.

فيضحك: عشان قصير يعني!

(ظلال) بإحراج: لا مش قصدي، ما الحال من بعضه، بس هما كتير والكترة تغلب الشجاعة، أنا متشكرة جدًّا، غيرك كان مشي ولا سأل.

(حمزة): ده يبقي مش راجل اللي يعمل كده ويسيب بنت ضعيفة محتاجة مساعدة!

(ظلال): طب أنا ماشية بقى.

فجذبها من يدها: ماشية رايحة فين؟!

لتلتفت وتنظر إلى موضع يدِه، فتركها ورفع يدَه: أنا آسف مش قصدي! بس الوقت اتأخر، تعالي أوصلك.

نظرت إليه بريبة، فحدثها: بعد اللي عملته ولسه مش واثقة فيا؟ أنا بس خايف يقابلوكِ تاني، وساعتها مش هقدر أنقذك.

فخافت وتلفتت حولها، ودخلت مسرعةً إلى السيارة: يلا بسرعة من هنا يا اسمك إيه.

ليضحك على ردِّ فعلها: حاضر، اسمي حمزة، وإنتِ؟
(ظلال): اسمي ظلال.
(حمزة): الله! اسم غريب وجديد، أول مره أسمعه.
(ظلال): والله وأنا! معرفش أبويا كان بيعمل ظُلِّيلة لواحد وأنا اتولدت، فسماني ظلال.
(حمزة) مستفسرًا: معلش، إيه الظُلِّيلة دي؟
(ظلال): ظُلِّيلة! مش عارف الظُلِّيلة؟! زي الشمسية كده، بتظلِّل عليك من الشمس.
(حمزة): آاااه! ظُلِّيلة! معلش أصل فهمي على قدي!
(ظلال): ماشي، اكسر من هنا بقى، بس كده، هنزل هنا بقى، بيتنا أول الشارع ده اللي فيه الغسيل، لحسن حد يشوفني، سلام بقى يا حمزة، ومتشكرة جدًّا.
وجرَت إلى بيتها تُخبِّئ رأسها بكتابها من الشتاء الذي هطَل، ولكنها تركت (حمزة) يشعر بمشاعر لم يعهدها من قبل، لأول مرةٍ يجد مخلوقةً يحتويها بأحضانه ويشعر أنها تشعر بالأمان معه، وأنه هو المسئول عنها وعن أمانها، شعورٌ غريب!
ولكن، هل هي أيضًا شعرت بهذا أم أنه مجرد عابر سبيل أنقذها؟!

***

(٢)

ذهبت (ظلال) مسرعةً إلى بيتها، فقابلتها والدتها بانزعاج: اتأخرتِ كده ليه يا بت؟! وأنا بلالي هنا وأقول يا ترى يا هل ترى! ده أبوكِ لو كان جه هو وأخوكِ كانوا قطموا رقبتك، لولا عندهم شغل في الورشة.

(ظلال) تطمئن والدتها: اهدي بس وهحكي لك كل اللي حصل.

وأخذت تقُص على والدتها ما حدث، والمرأة تلطُم أحيانًا وتصُك صدرها أحيانًا أخرى.

ثم أخذتها بحضنها: الحمد لله إن ربنا ستر المرة دي، اوعي تقولي لحد الكلام ده، لو أبوكِ عرف هيقعدك من الدروس والمدرسة.

(ظلال): لا يا ماما! أنا عاوزة أكمل تعليمي.

أم (فاروق): يبقي تكفي على الخبر ماجور، ولو لقيتي درس متأخر بناقصه يغور، متروحيش، إنتِ فاهمة؟!

(ظلال): هحاول بس مقدرش، بتبقي حاجات مهمة هتفوتني، بس هحاول مأرجعش لوحدي وأشوف اللي قريبين من هنا وأوفر فلوس أقدر أرجع معاهم بتاكسي.

أم (فاروق): أما نشوف، ربنا يستر!

ودخلت (ظلال) إلى غرفتها، فوجدت أختها على الفراش، فنادتها وسألتها عن سبب التأخير، ولكن (ظلال) كانت في عالمٍ آخر.

أخذت تتذكر حينما كانت بأحضانه، وتنهر نفسها عما فعلته، وتحدث نفسها: هيقول عليا إيه دلوقتي؟! معقول في شاب لسه بالأخلاق دي! يضحي بنفسه عشاني! ده ممكن كانوا قتلوه بسببي، ومع إنه مش طويل وعريض زي شباب النفخ كان عنده شجاعة ودمه حامي وعنده غيرة أكتر منهم، مش زي الشباب الزبالة اللي قابلوني.

(إسراء) تصفق أمام وجهها: في إيه يا بنت؟! بكلمك وإنتِ في عالم تاني!

(ظلال): هاااا ااااه... أنا هنا أهو!

(إسراء): هاااا وهنا أهو! بدياها بدري قوي!

(ظلال): تقصدي إيه؟! ما هو اللي ميعرفش يقول عدس.
(إسراء): طب قولي يا أم العريف في إيه.
(ظلال): هقول لك، بس متجبيش سيرة لحد بتاتًا.
وقصَّت على أختها ما حدث، فاحتضنتها: يا حبيبتي! الحمد لله إن ربنا سلم، وربنا يجازيه خير الجدع ده، من غيره منعرفش دلوقت كان جرى لك إيه.
(ظلال) بهيام: فعلًا كتَّر خيره، من غيره معرفش كنت عملت إيه.
وأحست أختها بشرودها: طيب يا اختي، إنتِ وقعتي ولَّا الهوا رماكِ؟
(ظلال): لا والله موقعتش، محدش وقعني.
فتضحك (إسراء) على سذاجة أختها (ظلال): ماشي، غيَّري هدومك المبلولة لتبردي، وتعالي ادفِّي تحت الغطا.
وفعلًا نفذَت (ظلال) ما قالته (إسراء) لها، ولكنها توضأت أولًا لتصلي صلواتها التي لم تُصلِّها بعد، ثم دخلت إلى فراشها وتدثرت بغطائها وهي تحملق في السقف، فاستعادت حديثها مع (حمزة)، وتذكرت عندما ألقَت بنفسها في أحضانه.
لتُخرِجها أختها من تفكيرها: احنا مش هننام النهاردة؟!
نظرت إليها (ظلال): هاااا، حاضر، هنام أهو.
وخبأت وجهها بسرعة في الفراش وتدثرت بالغطاء.
***
أما (حمزة) فقد ذهب إلى الفيلا، ليجد والده ينتظره.
(البنهاوي) مستنكرًا: إيه يا حمزة التأخير ده كله؟! قلقتني عليك!
(حمزة) بعد أن قبَّل يد والده: أبدًا يا حبيبي، عشان الشتا بس والطريق، متشغلش بالك.
(البنهاوي): عملت إيه في الصفقة؟
(حمزة): متقلقش، كله تمام، عيب ده أنا تربيتك يا باشا، مضوا وبالشروط بتاعتنا كمان.
(البنهاوي) باستغراب: إزاي ده؟! ده كانوا مصممين يخفضوا السعر.
(حمزة): عيب يا باشا، مش عارف قدرات ابنك! ده أنا كنت هغلِّي السعر

كمان، بس إنتَ عارف كلمتي واحدة.
احتضنه أبوه: ربنا يبارك لي فيك يا حمزة، فعلًا اختياري في محله، إنتَ قد المسئولية، مش أخوك اللي بيتصرمَح في أوروبا.
(حمزة): ظافر برضه ليه في الشغل هناك، هو هلَّاس شوية، لكنه ماسِك فروع بره وماشية زي الساعة وبيتابع معايا لحظة بلحظة، ولولاه مكانتش الشركة وصلت إلى العالمية.
(البنهاوي): أنا عارف إنه في الشغل جَد وميعرفش أبوه، عشان كده كاتب له اللي هناك يمشيه زي ما كتبت لك اللي هنا، وعشان تمشوه من غيري، لكن برضه في الهلس ملوش مثيل، وشوية يتجوز ويطلق ولا بيعمل إيه تاني، الله أعلم! وإنتَ مش ناوي تتجوز بنت عمك؟ عمك سايبها أمانة في رقبتنا، ومكتوبة ليك من صغرها.
(حمزة): يا بابا إنتَ عارف، (بنان) زي أختي بالضبط، وأنا حاليًّا مبفكَّرش في الزواج.
(البنهاوي): يعني إيه زي أختك؟! أنا قلت بنان ليك وإنتَ لبَنان، خلصت، ومش عاوز فيها كلام.
(حمزة) وقد خشيَ على والده لمرضه الشديد: طب اهدا بس، أنا مبفكرش حاليًّا في الزواج، لما أضبط شغلي وأحس إني عمَلت اللي عاوزه نبقي نتكلم في الزواج، وهي لسه في تانية كلية لحد أما تخلص فيها فرج.
(البنهاوي): إنتَ بتاخدني على قد عقلي يا ولد!
(حمزة): العفو يا بابا، بس مش وقته، هي لسه صغيرة، والموضوع ده لسه بدري عليه.
(البنهاوي): ماشي،وصلني لأوضتي.
(حمزة) بإذعان: حاضر.
وأدخله إلى فراشه ودثَّره ثم أطفأ الضوء، وإذا به وهو خارجٌ يصطدم بـ(بنان).
(بنان): إنتَ لسه جاي! اتأخرت كده ليه؟
(حمزة): إنتِ مالك يا حشرية! إن شاء الله أبات بره حتى، مالك إنتِ! خشي نامي.

(بنان): الله! متزُقش، ده إنتَ رزل!
فحرَّك يده أمامها لتهويشها: والله لو ما اتلميتي لبالكوع في وشك.
فجرَت من أمامه.
(حمزة) بتعصُّب: بت حشرية! مالها أتأخر ولا مجيش من أصله، كانت وليَّة أمري!
ودخل إلى حجرته، فخلع ملابسه وتمدد على فراشه، وعقَد ذراعيه خلف رأسه مستندًا عليهما، وأخذ يفكر في تلك التي اندفعَت إلى أحضانه، ليشعر الشعور نفسه الذي انتابه وقتها، فأغلقَ عينيه مُفكِّرًا بها، وابتسم وهو يتذكر حديثها، ونطقَ باسمها على شفتيه: ظلال! ماذا فعلتِ بي أيتها الطفلة البريئة؟!

***

في فرع ألمانيا..
جلس (ظافر) في مكتبه، وإذا يتصل به أحدهم.
ردَّ عليه (ظافر): سافرت برضه وماعتبرتش لكلامي! أوكي، شكرًا يا حبيبي، معلش تعبتك معايا.
(زاهر): لا تعب ولا حاجة، إنتَ تؤمر، إنتَ عارف ليا معارِف في المطارات كتير.
(ظافر): عارف، وعشان كده بتقِّل عليك شوية، معلش بقى استحملني، ذنبك إنك صاحبي.
(زاهر): أحلى صاحب في الدنيا، هنتقابل على البار بالليل.
(ظافر): أكيد، هخلص الشغل وأروح، وأنا ليا مكان تاني غيره!
وأغلق وهو يجز على أسنانه: ماشي يا بنت الـ... إما وريتك! بتستغفليني! مجرد ما أمشي تسافري، مفكراني أهبل وبريالة، إما وريتك، بس أرجع لك!
ودخلت السكرتيرة، وبمجرد حديثها وجدت ثورًا هائجًا أمامها يثور بأعلى صوته: مش عاوز زفت دلوقت! ,فخرجت مذعورةً من طريقته، إذ عند ثورته لا يعرِف مَن أمامه.
تناول مفاتيحه بعصبية وأخذ المعطف الخاص به بيده واضعًا إياه على كتفه وانطلق إلى البار، ليجد صديقه الذي استغرب قدومه.

(زاهر) بعد الترحيب بصديقه: إيه يا ابني! مش قلت هتخلص الشغل وتيجي؟
(ظافر): مش قادر، بنت الـ... فوَّرِت دمي، إنتَ عارف، لو كانت هناك كنت رجعت ميونخ حالًا وجبتها من شعرها، مفكراني كروديا وبتستغفلني، أقولها مفيش سفر، ولا أكني قلت حاجة، وتنفذ كلامها ومتعرَّفنيش.
(زاهر): ما تطلقها وتخلص.
(ظافر): بالسهولة دي؟! أما أعرَّفها مين هو ظافر الأول اللي لِعبت معاه.
(زاهر): أنا خايف عليك من تهورك ده، احنا مش في مصرَ وفلوس أبوك حامياك ومركزه، احنا في ألمانيا، وهي كمان من بلجيكا، كل بلد ولها قوانينها، طلقها وسيبها وخلاص عشان متعملكش مشاكل.
(ظافر): مش أنا اللي يتقال له كده، ولا يتعمل معاه كده!
(زاهر): إنتَ دماغك أنشَف من الظلط يا صاحبي ومفيش فايدة في تهورك، كلما أقول لما تكبر هتعقل ألاقيك تتهور أكتر.
(ظافر): سيبك إنت، شوف لنا حاجة تروقنا.
وهكذا هي حياة (ظافر) بالخارج، لذلك يخشى والده من تهوُّرِه هذا، أما في العمل، فهو صارمٌ ولا يُشَق له غبار.

***

(٣)

عادت (ظلال) إلى حياتها اليومية، حيث المدرَسة والدروس، ولكن الجديد الذي طرأ عليها هو ذلك المجهول الذي خرج لها من العدم لتحتضنه وهي لا تعرفه ولا تعرف عنه شيئًا، مجرد اسم، (حمزة) وفقط.

لا تعرف لماذا هي دائمة التفكير به رغم انقضاء فترة كبيرة على الحادثة، ولكنها تريد رؤيته ولا تعرف كيف السبيل إلى ذلك، فاستسلمت لحالها وتركت الأمور لمولاها يُدبِّرها كيف يشاء.

أما (حمزة)، فقد انشغل هذه الفترة بالعمل، ولكنه كان دائم التفكير في تلك الطفلة التي خطفَت قلبه قبل عقله، وعندما أفاق من أعماله، كان يحاول يوميًّا أن يذهب إلى ذلك الشارع الذي قابلها فيه، ولكن لا سبيل إلى رؤيتها، فظن أن مواعيد الدرس اختلفَت أو أنها تركت ذاك المُدرِّس، حتى واتَتهُ فكرة، فلمَ لا؟! هو يعرف طريق بيتها، ومن الممكن أن ينتظرها عند قارعة الطريق كما أوصلَها في تلك المرة السابقة، وعندما يراها يذهب إليها ويُحدِّثها.

وبالفعل، ذهب إلى هناك، ركن سيارته وظلَّ قابعًا بها ينتظر وفقط، ولكنها لم تأتِ، فعاد خائبَ الرجاء، ولكنه لم ييأس، إذ ربما لم يكن لديها درسٌ في هذا اليوم، لذا قرر أن يُعاوِد الكرَّة غدًا وبعد غدٍ حتى يراها، فبالتأكيد سيأتي اليوم الذي يراها فيه.

وبالفعل، أتى هذا اليوم، حين وجدَها تقترب من السيارة، فخرج أمامها فجأة، لتسقُط الكتُب من يدها، كادت أن تُصدِر صوتًا، إلا أنه وضع يده على فمها وحاول تهدئتها.

(حمزة): أنا حمزة يا ظلال، متخافيش هتفضحينا!

هدأت قليلًا، فنزعَ يده من على فمها، لتجحَظ عيناها وتتفوَّه باسمه: حمزة! إنتَ إيه اللي جابك هنا؟!

(حمزة) وهو ينظر بعينيها: وحشتيني!

فغرَت فاهها، ثم تداركت وخجلت من كلماته وأخفضت عينيها، فأقام رأسَها بإصبعه ونظرَ بعينيها: إيه؟ موحشتكيش؟ أمشي!

تفوَّهت بعفوية: لاااا!
ثم تداركت ما قالت، فجزَّت بأسنانها على شفتيها، ثم نظرت إليه: أنا ماشية لحسن حد يشوفني.
(حمزة) وهو يجذبها من يدها قبل أن تسير من أمامه: طب ادخلي في العربية شوية، أنا مشبعتش منك لسه، عاوز أقعد معاك، عاوز أكلم معاكِ.
فجحظت عيناها وتلعثمت: لاااا مقدرش! لو أبويا أو أخويا شافونا هيموتوني، أنا ماشية، مش هقدر يا حمزة.
فاستسلم لقرارها: وأنا ميرضينيش إن حد يئذيكِ بسببي.
نظرت إليه بهيَام لمدة، ثم تداركت نفسها وبسرعة: أنا ماشية بقى.
(حمزة): هشوفِك تاني؟
وهي تبتعد وتنظر إليه: مش عارفة!
ثم جرَت، في حين أخذ يتتبعها بناظريه وهي تعدو مسرعةً وقلبه مُعلَّق بها، وكأنها أخذَت قلبه معها وتركت صدره خاويًا، فأخذ يتنفس الصعداء ويُهَمهِم: ماذا فعلتِ بي أيتها الطفلة البريئة؟! لقد حركتِ قلبًا كان ساكنًا بلا حراك.
وأغمض عينيه، ثم استيقظَ من غفلته بعد مدةٍ على صوت بوقِ سيارةٍ تعدو بجانبه مسرعة، فدخل إلى سيارته عائدًا إلى منزله، ولا يزال الشوق والحنين يعتصرانه، ولكن ماذا يفعل، إن حدَّث والدَه في شيءٍ كهذا فربما يحدث له مكروه أو يغضب عليه أو... أو...
أخذَت تتسارعُ الأفكار السيئة في عقله وتمر أحداثها أمام عينيه، فنفضَ هذه الفكرة عن رأسه: لا لا! لا يمكن أقول لبابا حاجة عن الموضوع ده، لحسن يروح فيها ولَّا يمشيني من البيت، ده لسه متخانق معايا عشان أتجوز (بنان) بنت عمي، ولو كلمته في موضوع ظلال هيُرفض، ومش بعيد يجوِّزني (بنان) غصب عننا احنا الاتنين وفي أسرع وقت، لا يمكن أقول له أبدًا! بس أعمل إيه؟! أنا مبقتش قادر أعيش من غيرها، في تفكيري كل لحظة وكل ثانية، وأعتقد هي كمان بتبادلني الشعور ده.
ثم تمخَّضَت في رأسه فكرة، ليقول: لمَ لا؟ سأفعلها ونرى، فلن أخسر شيئًا، وربما أخرجُ منها كسبانًا!

وبالفعل، عقَد العزم على رؤيتها، ولكن هذه المرة، سيُحدِّثها ولن يقبل منها الرفض، فذهب إلى ذاك المكان ينتظرها، وحين رأته تلعثمت: مش هينفع اللي بتعمله ده يا حمزة!

(حمزة) دون تردد وهو ينظر بعينيها: ادخلي في العربية.

لتشهق (ظلال): لا طبعًا! حد يشوفني!

فقاطعها (حمزة) وبصرامة: بقول لك ادخلي العربية حالًا، مبخيَّركيش، أنا بأمرك!

فأحسَّت أنها عاجزةٌ عن الرد أمامه، وكأن لسانها قد شُلَّ أو أكلَته القطة، فلم تعرف كيف حركَت قدميها ودخلت إلى السيارة لينطلق بعدها، فاستفاقَت من غفلتها وصرخت به وأمسكت بيده: نزلني يا حمزة الله يخليك!

وكادت تبكي.

(حمزة) وقد أحسَّ بقلقها فحاول تهدئتها وأوقف السيارة: يا بنتي اهدي، أنا مش هعمل لك حاجة والله! أنا بس عاوز أكلمك في موضوع.

فهدأت وأدركت أنها ما زالت تُمسك بيده، فتركتها بخجل: قول عاوز إيه.

(حمزة) يبتسم: وأنا هعرف أتكلم مع التكشيرة دي؟! فين ضحكة البقرة الضاحكة؟

فضحكت بصوتٍ عالٍ ثم خجلت من صوتها ووضعت يدًا على شفتيها الورديتين، والأخرى ضربته بها: بقى أنا بقرة يا حمزة؟!

(حمزة) بابتسامته العذبة التي تأسرها: أحلى بقرة شافتها عيوني!

فخجلت وحاولت أن تُدارِي خجلها بسؤال: طب إنتَ عاوز إيه مني؟

(حمزة): يعني مش عارفة؟!

(ظلال) بخجل خافضةً رأسها: لا مش عارفة!

فرفع رأسها إليه بإصبعه: طب عيني في عينك كده.

(ظلال) بخجل: قول بقى!

فباغتها (حمزة) بردِّه: ب ح ب ك!

فجحظت عيناها ونطقت بسرعة: روَّحني يا حمزة بسرعة أو نزلني!

(حمزة) مُهدِّئًا إياها: ظلال، أنا بحبك فعلًا، ومش قادر أفكر في حد غيرك،

وغرضي شريف على فكرة، أنا عاوز أتجوزك.

***

(٤)

تهلَّلت أساريرها ثم تراجعت: تتجوزني ازاي؟! أنا لسه في تانية ثانوي، أهلي مش هيرضوا، أنا لسه صغيرة.

(حمزة): المهم إنتِ عندي، لو موافقة سيبي الباقي عليا.

(ظلال) بفزع: هتعمل إيه؟

(حمزة) بابتسامة: إنتِ مالك يا حشرية! ده كلام رجالة ملكيش فيه.

(ظلال): بقى كده! طب أنا مش موافقة بقى.

(حمزة) وهو ينظر إليها نصف نظرة ويبدأ في إدارة محرك السيارة: مين دي اللي مش موافقة؟! عينيكِ قالت كل اللي عاوزه.

فأخفضتهما من خجلها واعتدلت بجلستها، ليقود السيارة ويعود بها إلى المكان الذي أخذها منه، فرجعت إلى بيتها وهي في حالة هيام، حتى إنها لم تأخذ بالها من والدتها الواقفة واتجهت إلى حجرتها مباشرة.

تبعتها والدتها بنظراتٍ حائرة وهي تضرب كفًّا على كف: عوَّض عليا عوَض الصابرين يا رب! البتَ دي مالها؟ صبرني يا رب!

ثم دخلت الأم عليهما في حجرتهما: على فكرة، خالكم هينقل مصر قريب هو وولاده وهيسيبوا المنصورة.

(ظلال): خالنا مين؟

أم (فاروق): خالِك جابر، هو آه مبيجيش من بعد إصابته في الجيش وطلوعه المعاش المبكر من زمان، بس عياله جالهم شغل في القاهرة، وقالوا ينقلوا كلهم وييجوا هنا.

(إسراء): با مراحب يا مراحب! أنا أصلا مشوفتهوش من زماااان.

أم (فاروق): ما هو من يوم ستِّك ما ماتت لا بيروح ولا بييجي، بس من وقت للتاني بيتصل بيا يتطمن.

(إسراء): طب إيه المطلوب منا دوقتي؟

والدتها: ولا حاجة، أنا بقول لكم عشان أما ييجوا هيبقوا ملخومين في النقل، فهنعزمهم وتبقوا معايا، مش تخلعوا!

قامت (إسراء) تحتضن والدتها: احنا وش ذلك يا ست الكل؟!
والدتها: إنتم ذلك نفسه، وبتسيبوني معكوكة لوحدي.
(ظلال): نوعدك هنتعَك معاكي، بس يبقى يوم مفيهوش دروس.
والدتها: اللي هو امتى ده؟! هو حد بيشوفك، ده كل يوم دروس!
(ظلال): يعني أعمل إيه بقى، أسقط ولا أسقط!
والدتها: امشي غوري إنتِ وهي، أنا غلطانة، عوَّض عليا عوض الصابرين يا رب!
(إسراء) بابتسامة: خلاص، أنا هأجِّز يومها من المعهد وأبقى معاكِ، بس بلغيني قبلها عشان أوَصِّي البنات صاحباتي يصوروا اللي هيفوتني.
والدتها: ماشي حبيبتي.
ثم أزاحت (ظلال) بيدها: وإنتِ غوري من وشي.
(ظلال): الله! ليه كده طاا!!
فنظرت إليها والدتها بغيظٍ وتركتها ثم انصرفت.
(ظلال) تستند على أختها: أنا بدأت أشك إني لقيطة.
فنظرت إليها أختها باستغراب، لتومئ (ظلال) برأسها: أيوه، لقوني على باب جامع وعطفوا عليا وربوني.
فضحكت (إسراء): لا والله!
(ظلال): مش شايفة أمك بتزُقِّني وهي ماشية وبتعاملني ازاي.
(إسراء) تنظر إلى أختها: إنما تعالي، إنتِ كنتِ داخلة مش شايفة قدامك، مالك يا بت؟
(ظلال) بضحكة: مالي في البنك.
(إسراء) بتعجب: لا والله! إنتِ حيلتك ربع جنيه أصلا! ماشي ماشي، مسيري هعرف.
(ظلال) بتلعثم: تعرفي إيه بس، مفيش حاجة، يعني هيبقي في إيه، سيبيني بقى متعطلينيش، ورايا مذاكرة كتيييرة خالص.
(إسراء) تنظر إليها: ماشي يا مجتهدة، بكرة نقعد جنب الحيط ونسمع الزيط.

***

في ألمانيا..

(ظافر) لصديقه (زاهر): أنا مسافر النهارده، وظبطت الشغل، بس ابقى تابع كده معايا لو في أي مشكلة تقدر تحلها، إنتَ ليك اتصالات هنا كبيرة.
(زاهر): إنتَ تؤمر متقلقش، بس بلاش تهور.
(ظافر): ده أنا هطلَّع روح أمها، بتكسر كلامي، أما أشوف أنا ولا هي، مفكراني سوسن، أمشي من هنا وتجري هي على أمها وأنا قايل لها متسافرش.
(زاهر): يا عم طلقها واخلص.
(ظافر): إنتَ مش عارفني ولا إيه، أسيب حد علم عليا؟!
(زاهر): أنا نصحتك كتير وإنتَ كده هتضيع نفسك.
(ظافر): أظن رجعت دلوقت.
(زاهر): آه، في المطار بلغوني بوصولها.
(ظافر): طبعًا مضبطة، ما هي عارفة مش هقدر أتحرك من هنا عشان الشغل إلا النهارده، ماشي ماشي، حسابها تقل معايا قوي.
(زاهر): أنا تعبت من الكلام معاك، سلام.
(ظافر): أشوف وشك بخير يا صاحبي.
(زاهر): يا ريت بلاش تهور.
(ظافر): ربنا يسهل.
(زاهر) بضحك: مش مطمن لك!
(ظافر) بضحك: ليه يا جدع؟! مصاحب دراكولا!
وسافر (ظافر).
دخل (ظافر) إلى منزله، فوجدها قابعة على «الفوتيه» ترتشف من الكأس وتشاهد التلفاز، وعندما رأته تركت الكأس وتوجهت إليه تحتضنه: تُقبرني حياتي، ليش طولت ها القد؟!
(ظافر) بخبث: إيه؟ وحشتك للدرجة دي!
(مادلين): إيه، كتير كتير، ما تطول عليّ مرة تاني.
(ظافر): لا، باين عليكِ فضلتي هنا لوحدك تعدِّي الساعات لحد ما جيت.
(مادلين) بتلعثم: إيه حياتي، حتى اتصلت ببيِّي وإمي وخبرتهم ما بقدر سافر، وزعلوا كتير عن جد.

وهنا لم يتمالك أعصابه وضربها كفًّا أفقدَها توازنها، فسقطت على الأرض.
(مادلين): ليش ظافر تعمل هيك؟!
(ظافر): بتستكرديني يا بت! بتقرطسيني وتقولي لي قاعدة مستنياك وإنتِ سافرتي لأمك وأبوكِ!
(مادلين): أنا! لاااا مين قال هيك!
(ظافر): إنتِ لسه هتنطقي! قدامي.
وهمَّ بضربها، فجَرَت من أمامه وأغلقت على نفسها، ليهيج أكثر ويخبط: افتحي بقول لك، لو كسرته هقتلك!
(مادلين): ظافر بليز! أمي خبرتني إنها مريضة وناطرِتني.
(ظافر) وهو يجز على أسنانه: وجوزك منبه مفيش سفر، ماتصلتيش ليه؟ مفكراني مش هعرف؟!
(مادلين): خفت بحكي معك تعيط علي، إنت خابر إمي هونيك ببلجيكا وحدها لأنها لبنانية وبيِّي من بلجيكا، ما قدرت أتركها لحالها وخفت أتصل ما توافق.
(ظافر): وتكسري كلامي، مفكراني قرطاس مش هعرف! ماشي، أنا هوريكِ، هتشوفي مني وش عمرك مشوفتيه.
وتركها وصفقَ الباب خلفه ليهدأ بدلًا من أن يقتلها، أما هي فقد تناولت هاتفها لتتصل بوالدتها: مو قلت لك إلُه عيون بكل مكان.
والدتها: إيه شو بيعمل؟
(مادلين): شو بيعمل! ما بتعرفي ظافر! إبيضربني.
والدتها: العمى، شو! يمد يده، وليش ما تركتي الضيعة وجيتينا ببلجيكا، هو مفكر ما إلِك أهل؟ كيف بيضربك هاااا الزلمة؟!
(مادلين): ما بتعرفي ليش ما تركته؟ إبحبه!
والدتها: العمى! قطع هاااا الحب يلِّي مضيعك، خلصنا بقى ما تشتكي، ولو مد يده بتيجي فورًا، ماله إلياس ابن خالك، زلمة يفرح، مو هاااا الزلمة كل إشي ضرب ضرب!
(مادلين): ما بعرف شو بعمل، بحبه مامي.

والدتها: حمارة، ما بتعرفي شو مصلحتك، لو فكر يمد يده مره تاني بتتصلي وباجي بفرجيه شو مفكر نفسه، ما بيعرف بيِّك شو بيعمل، وإلُه إتصالات بألمانيا.

(مادلين): لا مامي، ما تخبري بيِّي بليز، أنا بيرجع بهديه وبعتذر له.

والدتها: العمى! شو هاي البنت، بتجيب لي جلطة!

وأغلقت الخط مع ابنتها.

(إلياس): شو عمتي؟ صوتك لهونيك!

(سوزي): هاد الزلمة ما بعرف شو بعمل معه.

(إلياس): شو؟!

(سوزي): ظافر زوج مادلين.

(إلياس): هاي اختيارها، شو بنعمل،

(سوزي): إيه شو بنعمل!

***

(٥)

رجع (ظافر) إلى بيته، وكانت هي قابعةٌ في حين هو لا يطيق النظر إليها، فقامت مسرعةً إليه: ما بدك تصفى؟ والله بحبك وما بقدر على زعلك ولا بعدك.

حاولت أن تشُبَّ على قدميها وتتعلق به، إلا أنه أبعد يديها وتركها وجلس على «الفوتيه» واضعًا ساقًا على ساق، ثم أخرج غليونه لينفُثَ به غضبه ويتأفف، فلم تيأس منه، وأتت على قدميه فتمددت ولفت يديها حول عنقه متشبثةً به.

(ظافر): وبعدين معاكي؟!

(مادلين): آسفة حياتي، ما عادت تتكرر.

(ظافر) ينظر إليها بعدم تصديق.

(مادلين): والله بحلف لك، ما فيني أعمل هيك مرة تاني، بليز ظافر، خلصنا بقى، ما تنطرني هيك، والله بحبك.

فحملها على ذراعيه إلى حجرتهما.

(مادلين): تُقبرني حياتي.

وينظر إليها: بس لو عملتيها تاني هروَّحك لأمك في تلاجة، إنتِ فاهمة؟

نظرت إليه بصدمة وجحظت عيناها، فردَّد بصوتٍ مرعب: فاااااهمة؟

(مادلين): إيه فهمت عليك، ماني غبية.

فابتسم: أما نشوف.

وأغلق الباب بقدمه خلفه، ثم وضعها على الفراش برفقٍ وأخذ يخلع قميصه ويفتح أزراره، وإذا بهاتفه يرن، فأجاب عليه الهاتف وتغيَّر لونه، وقال بحدةٍ للمتصل إنه ليس لديه الوقت، ثم أغلق الهاتف.

نظرت إليه (مادلين) بريبة: شو؟

(ظافر): مفيش حاجة.

(مادلين) وقفت أمامه: لا ظافر، أنا سمعت، مين هاي البنت؟

(ظافر): يووووه! ما قلنا ولا حاجة.

ففزعت من صوته وحاولت تخفيف الأمر واحتضانه: خلاص حبيبي، ما تعصب عليّ!

حملها مرةً أخرى، فهي تستطيع امتصاصَ غضبه، بل وإشعال النيران بداخله وبعدها تنام على ذراعه، حاول نزع ذراعه من تحتها وجلس على الفراش، ثم أشعل غليونه ونظر إليها وهي نائمة بجانبه كالملاك.

تذكر ذلك الهاتف، والذي كان لفتاة عرفها في الحانة وأخذها إلى الفندق ليقضي معها ليلة ثم تركها، اتصلت به تعنفه، فكان ردُّ فعله أعنفَ معها، مما دعاه إلى أن يبتسم في غرور، إذ لا تستطيع أنثى مقاومته، فهو المسيطر دائمًا!

***

أما عند (ظلال)..

استيقظَت كعادتها إلى مدرستها، ولكن هذا اليوم مميز، فهو يوم انتقال خالها وأولاده إلى القاهرة، ولكن (ظلال) تنحَّت عن المسئولية وتركَت أختها تقوم بها كاملةً مع والدتها في هذه الزيارة.

حضر الخال والأولاد، وسلموا على مَن في البيت، سلَّم (أحمد) على (إسراء) وأطال النظر حين كانت أمها تعرفه بها، كانت (إسراء) تخجل من نظراته، فأخفضت رأسها وابتسم لخجلها، لتذهب مسرعةً لتعد الطعام وتأتي به.

تناول الجميع الطعام، ومن وقتٍ إلى آخر كانت ترفع (إسراء) رأسها بعيدًا عن طبقها الذي لم تستطِع تناول أي شيء منه بسبب نظرات (أحمد) المُسلَّطة عليها، فتخجل وتخفضها مرةً أخرى بطبقها، وهكذا استمرت الحال حتى تناول الجميع الطعام، وأمرتها والدتها بأن تنظف المكان وتُدخِل الأشياء إلى المطبخ.

فأخذت بعضًا من الصحون ودخلت مسرعةً إلى المطبخ، وهمَّ (أحمد) بأخذ بعض الأشياء كمساعدةٍ لها، ولكن نهرته عمته، وأمرته بأن يترك كل شيء وأن (إسراء) ستقوم بذلك، وأن عليه ألا يشغل باله، ولكنه تحجج بأنه يريد كوب ماءٍ من الداخل.

ذهب إليها، فوضع ما بيده، لتلتفت وبيدها كوب فوقع من يدها، فشهقت، ولكن كانت سرعة استجابة (أحمد) للحدث أسرع، وأخفض يده ليلتقطه قبل أن يقع، فأغمضت عينيها.

(أحمد): مش تحاسبي! ماسكة ديل قطة!
(إسراء): لا، بس اتخضيت.
(أحمد): ليه؟ شكلي وحش قوي كده شبه العفريت!
(إسراء): لا مش قصدي، بس متوقعتش وجودك هنا.
فاقترب منها: وفيها إيه؟ وجودي بيوتَّرك؟
فابتعدت وأنقذها صوت أمها: الشاي يا إسراء!
ردت: حاضر يا ماما.
فابتعد مبتسمًا وعاد إلى الموجودين في الصالة، فوضعت يديها على قلبها الذي كاد يخرُج من بين الضلوع حتى إنها كانت تخاف أن يسمَع صوت دقاته أو يصل صوته إلى القابعين بالخارج.
استيقظت من كل هذا وصنعت الشاي ثم ذهبت به، فقام (أحمد) مسرعًا ليتناول منها الشاي وقبض على يديها، فخجلت ونظرت إليه، وسحبت يديها من تحت يديه وجرَت مسرعةً إلى حجرتها، ليتبعها بنظراته ويجد نفسه واقفًا بالصينية.
أيقظته عمته من غفلته: حُط الصنية عنك يا ابني.
(أحمد) وقد استيقظ: هاااا اااه اه! اتفضلوا الشاي.
وجلس معهم ولكنه ليس معهم، بل مع تلك المتوارية خلف بابها والتي سرقَت قلبه معها، لا يدري لماذا، فهي كبقية الفتيات بل أقل جمالًا منهن، ولكن القلب وما يريد، فتلك تحكماته.
جلس يفكر كيف يراها، هل ينادي عليها لتأتي؟ لاا لااا كلَّا، فهذه فكرة مستبعدة، وأخذ يحدث نفسه: هل أقتحِم عليها خلوتها وأعنفها؟ كيف تتركني وحدي وتذهب هكذا؟
ثم نفضَ هذه الأفكار، وانتشلته عمته من هذه الأفكار البائسة لتسأله عن أحواله وعن مجال عمله.
ردَّ عليها بعد استفاقته من الأفكار: هاااا اااه! أنا معايا معهد حاسبات ومعلومات، وشغال في شركة هنا يا عمتي، قريبة منكم.
عمته: خلاص، يبقى تحوِّد عليا على طول وإنتَ راجع، مش تمشي وتقول عدولي،

لو حتى تيجي تتغدى معانا.
(أحمد): ربنا يخليك يا عمتي.
ثم وجدته يتلفت علّه يجدها متوارية هنا أو هناك، وحين لاحظت ذلك سألته: مالك يا ابني؟ بتدور على حاجة؟
(أحمد) بتوتر وقد انكشف أمره: لاااا أبدًا، هدور على إيه! آه، هو الحمام فين؟
عمته: جوه يا ابني، جنب أوضة البنات، والمطبخ اللي روحت تجيب مية منه.
فأحس (أحمد) أن خطته أفلحت وهم بالقيام، ليستوقفه أخوه (ياسر) الأصغر: إيه يا ابو حميد، على فين العزم إن شاء الله؟
وقد فهم أخاه، (أحمد) بضيق: اتلَم يا بارد!
(ياسر): الله يسهل له يا عم!
فنظر إليه بضيق، وكان لا يسمع حوارهما غيرهما.
أبوهما: في حاجة يا أحمد؟
(أحمد): لا أبدًا، ده أنا داخل الحمام بس.
(ياسر) يجذب قميص (أحمد): حمام برضه يا كداب؟! مش عارف إن الكدب حرام!
فنظر إليه: والله لو ماتلميت لأقتلك.
(ياسر) ينظر إليه: تقتل أخوك يا قاسي!
فاستشاط (أحمد) منه وتركه، في حين أخذ (ياسر) يضحك عليه.
دخل (أحمد) يستكشف الغرف، ففتح عليها فجأة، فشهقت وهي تحاول أخذ طرحتها التي بحانبها وتلملم بها شعرها المنسدل.
(أحمد) وقد أحس بإحراجها: أنا آسف...
ولم يُكمِل، لتلاحقه: في إيه يا بني آدم إنتَ؟! حد يدخل على حد كده بدون استئذان؟! مش فيه باب تخبط قبل ما تدخل!
فاقترب منها وهي تحاول النهوض من فراشها: ما خلصنا وقلنا آسفين، هو أنا فتحت عليكِ باب الحمام! ثم أنا فكرته الحمام فدخلت.
فنظرت إليهِ بغيظ: لا وبجح كمان!

فاقترب أكثر: تصدقي إنك عاوزة...
فجحظت عيناها: إنتَ هتعمل إيه؟!
فتراجع: ولا حاجة!
فنظرت إليه: ثم إنتَ قاعد تبص لي طول القعدة ليه؟
فابتسم: وإنتِ إيه عرفك؟
فخجلت لأنها فهمت ما يرمي إليه، فلاحقها: هاااا! مقلتيش، عرفتي منين يا أم لسانين؟
فاستشاطَت وقويَت لتقف أمامه: أكيد مش زي ما تقصد، أنا كل ما برفع عيني ألاقيك مركز عليا، ده كل الموضوع.
فعقَد ساعديه: وأنا كمان، زي ما بتبصي لي ببُص لك، فيها حاجة دي؟
ثم أخفض رأسه وهمس بأذنيها: بنت عمتي ووحشاني.
فتراجع، لتقع على فراشها الذي خلفها: إنتَ قليل الأدب! اتفضل أخرج بره!
فهمَّ بالخروج، والتفَتَ نحوها وأشار برأسه إلى الخارج: مش ناوية تخرجي شوية؟ أظن عيب تسيبي خالك ومرات خالك وولاد خالك اللي مشوفتِهمش من زمن.
لترُد بحدة: ملكش دعوة!
وكاد يغلق الباب مرة أخرى ويتجه إليها، ولكنه سمع صوتًا يقترب فخرج مسرعًا، فضحكت عليه: جتَك خيبة في هبلك!
وظلت تضحك على فراشها، لتدخل (ظلال) وتجدها هكذا: مالك يا إسراء؟ اتجننتي؟ بتضحكِ لوحدك!
وتجسُّها: طبيعية مش سخنة! في إيه؟
(إسراء): مفيش، افتكرت نكتة.
(ظلال): طب ما تضحكينا معاكِ.
(إسراء): لا، أصلها بايخة.
(ظلال) تضرب كفًّا على كف.
(إسراء): المهم، شوفتي خالك ومراته والثنائي المرح اللي معاه.
(ظلال): لاااا، طالما فيها ثنائي مرح ونكتة بايخة بنضحك عليها، في إيه يا بت؟

هو أنا هفضل زي الأطرش في الزفة كده!

***

(٦)

حاولت (إسراء) عدم إعطاء أهمية للموضوع: متكبَّريش الموضوع، دي حاجة تافهة.

(ظلال): ده هو موضوع كبير أصلًا شكله كده، ولازم أرسى على الدور، في إيه؟ حد منهم رذل عليكِ؟ قولي لي وأنا أطلع أجيب رقبته.

(إسراء) بضحك: هدِّي خُلقك يا أبو سريع، إيه ده يا شيرس، تصدقي إنتِ فنجرية بُق ولو حد بصلك هيُغمى عليكِ!

(ظلال): آه والله، إنتِ بتقولي فيها، نفسي أنشف كده زي بقية البنات وأبقى قوية، لكن أختك خيبة خالص، لا بتصد ولا بترد وبتغرق في شبر مَية.

(إسراء) بتفهُّم: خليكِ كده أحسن، على الفطرة، مش زي البنات الخبيثة، دي ميزة فيكِ على فكرة.

(ظلال) بتأفُّف: بس ساعات بحس إنهم بيعاملوني إني هبلة أو جاية من كوكب تاني، عشان بحب البساطة والعفوية واللي في قلبي على لساني.

(إسراء) تحتضن أختها: ودي أحلى حاجة فيكِ يا هبلة، متضيعهاش منك.

فحزنت (ظلال): حتى إنتِ بتقولي لي يا هبلة!

فحاولت (إسراء) تدارُك ما قالت والتخفيف عن أختها: مأقصدش والله حبيبتي، إنتِ ست العاقلين كمان.

(ظلال) منتهزةً الفرصة: مش هتقولي لي على اللي حصل بقى؟

فقصَّت (إسراء) بعد إلحاح أختها ما حدث.

لتضع (ظلال) يدها على فمها وتشهق مما سمعت: ده جريء قوي! ازاي يدخل عليكِ أوضتك كده؟!

(إسراء) بتضجر: إنسان متخلف، تعملي إيه بقى.

(ظلال) بضحك: بس شكله وقع على بوزه من أول نظرة!

وتضحك ليرتفع صوتها.

لتستفز (إسراء): يقع ولا يروح في داهية حتى ميهمنيش، واد ثقيل، واسكتي بقى متترفزنيش عشان كان هاين عليا أديله بالبوكس في وشه.

(ظلال) بمزاح: يا خطِر إنتَ!
فنظرت إليها أختها بغيظ، لتجد صوت والدتها يستدعيهما لتُسلِّما على خالهما وأبنائه.
(إسراء) وهي تضرب بقدميها الأرض: يووووه! مش عاوزه أشوفه.
(ظلال) تهدأها: معلش، يلا عشان ماما متزعلش.
وفعلًا، خرجتا لتجدا عينَي (أحمد) مسلطتين عليها كعادته، فأخفضت رأسها وحاولت تجنبه متجهةً إلى خالها تودعه وزوجته، ولكن والدتها أمرتها أن تسلم على (أحمد) و(ياسر)، وقد ظنت أنها قد انتهت.
فاتجهت تسلم عليه متجهمة، ليخفض رأسه ويهمس بأذنيها: افردي وشك، بتودعيني بالشكل ده بدل ما تضحكي في وشي! ولما آجي تاني يا ريت متحبسيش نفسك في أوضتك.
فنظرت إليه بغيظ، وبصوت هامس لا يسمعه غيرهما: يا ريت أما تيجي تاني تعرفني قبلها، عشان مجيش البيت يومها.
وسحبت يدها من يده وانطلقت إلى غرفتها، ليتبعها هو بنظراته وابتسامته العذبة، ثم وجد أخاه يضربه ليوقظه: ماتيلا يا عم بقى!
وأتت (ظلال) لتسلم، فهمس لها (ياسر): هو القمر بيطلع الساعة كام؟!
نظرت إليه (ظلال): مع طلوع روحك إن شاء الله!
فضحك بصوتٍ عالٍ حتى نظر إليه الجميع، فأُحرجت (ظلال) وجرت إلى حجرتها ودخلتها ثم أغلقت خلفها الباب، ونظرت إلى أختها: إيه السافل اللي بره ده؟!
(إسراء) بتساؤل: مين فيهم؟
(ظلال): سي زفت الصغير، بيقول لي القمر بيطلع الساعة كام، قلت له مع طلوع روحك إن شاء الله، ضحك قوي وكسفني.
فأومأت (إسراء) برأسها: ياسر! هي أيام بيضا هنشوفها من أولها، بس ياسر ده حتة عيل ثانوي عامة، إنما المشكلة في اللوح الكبير، مستفز فعلًا، قال افردي وشك، إنتَ مالَك أساسًا، هي خِلقتي كده، أغيرها؟! ثقيل، ثقيل... من هنا لبكرة.
(ظلال) باستنكار: طب والله شكله محترم وطول بعرض، مش زي السافل الصغير.

(إسراء) بضحك: السافل الصغير! هو بقى لقب خلاص؟! ثم أحمد محترم! ما هو اللي ميعرفش يقول عدس، سيبك سيبك، المهم خلصنا منهم حاليًّا ويا رب ما تتكرر.

(ظلال) لتستفز أختها: ده أكيد هيبقى فيه رد للعزومة، ومرات خالك وخالك هيعزمونا.

(إسراء) باستنكار: لاااااا ميحلموش! مع نفسهم بقى، أروح له بنفسي، ده بُعده!

نامت الفتاتان ولا تدري كل واحدة منهما ماذا يُخبِّئ لها الغد، لتستيقظ كل واحدة وتذهب في طريقها، مَن تذهب إلى مدرستها ومن تذهب إلى معهدها.

فنجد (إسراء) تسير مندفعة لأنها تأخرت، وتحاول وضع بعض الأشياء في حقيبتها، لتصطدم بأحدهم ويقع منها المحمول، لتجثوا وتلتقطه وتزيح عنه التراب بتأفف، فوجدت من يجلس معها يلتقطه ويلامس يديها، فجذبتها بسرعة وهي تحاول النهوض، فقالت متهكمة: متشكرة جدًّا والله، ده لو انكسر لكنت هدفّعك تمنه، مش تفتح!

ونظرت إليه فوجدته (أحمد)، فجحظت عيناها: يووووه! إنتَ تاني! أنا ما صدقت خلصت منك، هتنط لي في كل حتة زي فرقع لوز.

فنظر إليها بغضب: فرقع لوز! ما تحترمي نفسك يا بت بدل ما أقص لك لسانك اللي عاوز قطعه ده.

فنظرت إليه بغيظ: لما أنا لساني عاوز قطعه يا بارد، بتطاردني ليه؟!

(أحمد) باستفزاز: متديش لنفسك يا ماما حجم أكبر من حجمك، إيه بطاردك دي؟! أظن سمعتيني وأنا بقول شغلي جنبكم بشارعين، وقلت أخرم من هنا أسهل، ثم بيتنا بعديكم بمحطتين، يعني بتمشاهم وبخرم عشان أسهِّل على نفسي المشوار، مش بطاردك زي ما إنتِ فاهمة!

(إسراء) بعدم اكتراث: طب احتفظ بخط سيرك لنفسك يا بابا، وسع بقى عشان اتأخرت.

وأزاحته بيدها في إهمال، فجذب يدها بقوة، فتململت منه: إيه؟! إيدي سيبني! ده مش لسانك بس اللي عاوز قطعه، ده إيدك كمان!

ليقول: ده إنتِ عاوزة إعادة تربية من أول وجديد، وعلى إيدي إن شاء الله.
فنظرت إليه وقد استشاطت منه غيظًا: أنا متربية غصب عنك وأحسن منك، ومش إنتَ -مشيرةً بإصبعها نحوه في استنكار- اللي هتيجي تربيني، روح ربي نفسك الأول، عن إذنك يا بابا، وكمان مفيش عن إذنك.
فمالَ على أذنها: هنشوف!
فنظرت إليه باستشاطه ومشت تضرب بقدميها بالأرض كالأطفال، ليتبعها بناظريه ويضرب كفًّا على كف: آه يا مجنونة! أما نشوف كلام مين اللي هيمشي.
وذهب إلى عمله، وذهبت هي إلى معهدها متأخرة.
قرعت الباب وفتحت، وجدت المعيد الذي تعشقه لوسامته وابتسامته، ولكن هذه المرة كان متجهمًا وعابس الوجهه.
عنفها على تأخيرها لأنه لا يسمح لأحد أن يدخل بعده، فرجعت مرةً أخرى وجلست بالخارج تبكي، فهذا مَن تعشقه يفعل بها هكذا!
حتى انتهت المحاضرة، ودخلت بعد أن خرجَ فالتقت عيناها الدامعتان بعينيه، إلا أنه لم يُعِرها اهتمامًا.
دخلت إلى صديقتها مروة، فقالت لها (مروة) وقد وجدت عينيها حمراوين: مالك يا بت؟ فيكِ إيه؟ حد مات؟
(إسراء) تهز رأسها بالنفي وتجيب: يعني مشوفتيش اللي عمله.
فأشاحت بيدها: يا اختي ما أنا ياما اتهزأت منه، ولا أنا اللي جتتي نحَّسِت من التهزيء، تاخدي ساندوتش؟
(إسراء) وهي تنظر إليها: إنتِ مبتبطليش حشر؟! إيه يا شيخة، هتنفجري في مرة فينا!
(مروة) وهي تنظر إليها: حقودة! ده عز، إيش فهمك إنتِ يا معصعصة.
(إسراء) بغيظ: سيبنا لك المفهومية.
(مروة) بعد عن أخرجت صديقتها من حالتها: بصي حبيبتي، إنتِ عارفة إنك أعز أصدقائي وبحبك جدًّا ولا لأ؟
(إسراء) بانتباه: طبعًا يا مروة، إنتِ زي أختي.
(مروة) باستطراد وقد تجرأت لقول هذا: سيبك من كمال المعيد، عمره

لا بص لك ولا هيبص لك، وإنتِ عارفة غنه مغرور وبيحب بس لمة البنات حواليه.
(إسراء) بتفهمك مش بإيدي يا مروة، بحبه! بس حتى مهَمُّهوش دموعي لما شافني ولا همه يبهدلني قدام الدفعة.
(مروة) بانتصار: عشان أقول لك إنه مبيهِمُّوش غير نفسه بس، وشايف نفسه تقوليش آسر ياسين!
فضحكت عليها (إسراء): ده آخرِك يعني، آسر! إن جيتي للحق هو أحلى من آسر بمراحل.
(مروة) بتحدٍّ: لا يا اختي، آسر أحلى، واد سمارة وكنيش كده.
فضحكت (إسراء) على صديقتها، رغم وزنها الكبير فإن دمها خفيف وتُخرِج أي أحد من حالته.
استطردت (مروة): هما ضيَّقوا الكراسي ولا إيه؟!
(إسراء) بضحك: آه، كشِّت من الساقعة!
(مروة) تستطرد: طب ابعتي هاتي الونش يطلعني، أنا لزقت في الكرسي!
في حين لم تحتمل (إسراء) الوقوف من كثرة الضحك حتى كادت تسقط أرضًا وهي تشد في صديقتها.
و(مروة) تعاني ويستفزها ضحك (إسراء): اوعي يا بت يا خيبة، أنا هكسره، ولا قشروه من عليا.
وبعد وصلةِ الضحك هذه، استطاعت (مروة) الخروج بالسلامة من ذلك الكرسي اللعين.
(إسراء) تنظر إلى ساعتها: يلا بسرعة بدل ما ننطرد، اصطبحت بوش مين بس يا ربي! هو مفيش غيره بغباوته، أحمد ابن خالي.
(مروة) وقد سمعت الاسم: مين ده يا بت؟ تعرفي شباب من ورايا!
(إسراء) بتجاهل: يا اختي اسكتي شباب إيه، بلا نيلة، حتة فلاح جاي قال هيربيني قال، وهو اللي عاوز يربيه.
(مروة): لاااااا، شكل الموضوع كبيييير كبيييير ولازمن ولا بد أعرف، عريس يابوي، طُخُّه ومتموتوش يابوي، ما تدهوني لفة.

فضحكت (إسراء) على صديقتها التي تحول كل شيءٍ إلى ضحك: طب يلا وفي الطريق هحكي لك.
وفعلًا قصَّت عليها ما حدث، لتجد (مروة) جاحظة العينين: يالهو بالي يا امه! ده أنا حبيته، ما تسلفيلي ابن خالك يابت.
(إسراء) بغيظ: استلفيه يا اختي ومترجعيهوش.
(مروة) بغضب: والله إنتِ خايبة، عندك ابن خال زي ده وتروحي تبصي لكمال المعفن!
(إسراء): بقى كمال أبو عيون زرقا معفن وأحمد اللي... ليكِ حق، ما إنتِ آخرك آسر، يلا عشان أنا اتخنقت منكم إنتِ وظلال، هي كمان تقول لي ده محترم وطول بعرض، عُمْي دول ولا إيه حكايتهم؟! ده لو آخر راجل في الكون مش هبص له، قال يقطع لساني وإيدي قال، جاه قطع إيده المتخلف ده.
أما (ظلال)، فقد ذهبت كعادتها إلى مدرستها وخرجت لتجد بعض الصبية يعاكسون ويشاكسون البنات، فوجدت منهم (ياسر)، إذ إن مدرسته قريبة منها، فحاولت التخفي حتى لا يلاحظها ثم ذهبت مسرعةً إلى دروسها، لتجد (حمزة) ينتظرها كعادته.
(ظلال) بخوف: أرجوك يا حمزة، متجيش هنا تاني، أنا خايفة حد يشوفنا ويقول لأبويا هيموتني.
(حمزة): مش قادر يا ظلال أبعد عنك، مش هنكر، حاولت بس مقدرتش، إنتِ شاغلة تفكيري في كل لحظة بتخيُّلك، أنا قررت آجي أتقدم لوالدك واللي يحصل يحصل.
فلطمت على وجهها: يا نهار مش فايت! تتقدم لي ازاي؟! إنتَ فين وأنا فين، ويقولوا عرفتك ازاي!
(حمزة): ميهمنيش كل ده، المهم تبقي معايا.
ونظر بعينيها، ثم تابع: ظلال هسألك لآخر مرة، إنتِ عوزاني ولا لأ؟ لو عوزاني هعمل المستحيل، ولو مش عوزاني...
فوضعت يدها على شفتيه: لاااااا!
فأغمض عينيه وسحبت يدها، ليقول: خلااص، يبقى تسيبيني أتصرف، وإن شاء

الله ربنا يقدرني وأقنعهم.
نظرت إليه (ظلال) بعينين منكسرتين: خايفة يا حمزة ميوافقوش وكده، يبقي انقطع آخر أمل.
(حمزة) ناظرًا بعينيها: متخافيش يا حبيبتي، مش هسيبك مهما حصل.

***

(٧)

ذهبت (ظلال) إلى بيتها كالمُخدَّرة، وفي الوقت نفسه تحسُّ بتوتر شديد، تناديها والدتها فلا تسمع ولا ترى، وتدخل حجرتها ووالدتها تضرب كفًّا على كفٍّ وتتعجب من حال ابنتها هذه الفترة، وقد أحسَّت بالقلق عليها.

دخلت إليها وطلبت من (إسراء) الخروج بعض الوقت من الغرفة لأنها تريد الانفراد بـ(ظلال) لمحادثتها في أمرٍ هام، فأطاعتها (إسراء) دون تردد لأنها رأت علامات القلق على وجه والدتها فلم ترغب في أن تستفيض معها بالحديث.

نظرت (ظلال) إلى والدتها بتعجُّب بعد خروج أختها: خير يا ماما؟ في حاجة؟

أمها تجذبها إليها: إنتِ اللي فيه إيه؟ من فترة مش على بعضك، وداخلة سرحانة، في إيه يا بت؟ والله قسمًا عظمًا لو ما قلتي الحقيقة لأقول لأبوكِ وأخوكِ وهما يتصرفوا معاكِ!

(ظلال) تسقط على قدم والدتها: بالله عليكِ يا ماما متقوليلهومش حاجة وأنا هحكي لك كل حاجة.

وفعلًا، جلست بجانب والدتها وقصَّت عليها كل ما حدث.

لتجيبها أمها: لما هو شاريكِ وبيحبك، ما جاش اتقدِّم من ساعتها وقاعد يلف ويدور عليكِ ليه؟

(ظلال) بتلعثم: والله يا ماما هو عاوز ييجي، لكن أنا اللي خايفة لو جه أبويا ميوافقش ويقول له صغيرة ولا يقول عرفتها منين ويضربني، أنا خايفة جدًّا يا ماما، بس والله هو عاوز ييجي، مش بيلعب بيا ولا حاجة، ده محترم جدًّا وبيحبني والله.

فأخذتها الأم بحضنها لتعمل على تهدأتها، فكذلك الأم دائمًا تعمل على احتواء ابنتها وطمأنتها بدلًا من أن تخرج من عبائتها وتتعمد الكذب عليها إذا عنفتها.

وبعد أن استكانت (ظلال) بأحضان أمها، باغتتها بردها: خليه ييجي وملكيش دعوة، وبلاش تقابليه تاني.

(ظلال) بخوف: بس بابا...

والدتها بتفهُّم: ملكيش دعوة، أنا هتصرف وأفهمه وأشكر في حمزة.

فقبَّلتها (ظلال) بفرح: متشكرة جدًّا يا ماما، أنا بحبك قوي يا ماما.
فاستشاطت الأم: خلاص اتهدِّي بقى، أما أشوف هقول لأبوكِ إيه.
وتركتها، لتدخل بعدها (إسراء): هو فيه إيه بالضبط؟ ومالك فرحانة كده ليه، ده شكل أمك وهي داخلة قلت هسمع ضرب نار، إيه سحرتي لأمك يا بت؟!
(ظلال) بفرح: طب اقعدي وهحكي لك، وقصَّت لها ما حدث، فجحظت عينَي أختها وبتعجب: اااه يا سهنة! بقى إنتِ يا مفعوصة يطلع منك كل ده وأنا اللي بقول ساذجة وعلى نياتها وهبلة، طلع أنا اللي هبلة، اوعدنا يا رب، ناس ليها حمزة وناس موعودة بالمتخلفين عقليًّا، مكتوب على وشي جاذب للمتخلفين!
(ظلال) وقد أدركت ما ترمي إليه أختها: والله أحمد ابن خالك عسول، مش زي التحفه التاني لقيته بيعاكس البنات بتاعة المدرسة.
(إسراء): وإيه جابه عندك.
(ظلال) بعدم فهم وتقلب شفتيها: أنا عارفة يا اختي، قلة أدب.
(إسراء) وقد تذكرت ما حدث مع (أحمد) وقول أختها عنه: بقى سي أحمد عسول؟ ما إنتِ نايمة في العسل ومتعرفيش.
(ظلال) بتعجب: طلع لك في الحلم؟!
(إسراء) بضيق: حلم إيه إنتِ كمان، لا طبعًا، قابلته الصبح.
(ظلال) باستغراب: إنتم لحقتوا تاخدوا مواعيد من بعض!
(إسراء) بغضب: تصدقي أنا غلطانة إني بكلم واحدة زيك.
وغطت وجهها، لتنزع (ظلال) الغطاء: طب فهميني بس.
فقصت عليها ما حدث، لتضحك (ظلال): والله عسل، تستاهلي.
فخبطتها (إسراء) بالوسادة وأخذت تسبها، في حين أخذت (ظلال) تضحك لأنها استطاعت إغاظتها.
ونامت الفتاتان وكل واحدةٍ بحال، مَن تحلم بالمستقبل مع حبيبها ومن تحلم بالمستحيل مع من لا يُدرِك وجودها وتُهمِل من أحبها.
فمن سيتحقق حلمه يا ترى؟

***

أما عند (حمزة)، بعد أن أعطى لأبيه التقرير اليومي، تشاجر مع (بنان) ومع

أخته الصغيرة، واتصل ليطمئن على الكبرى وأولادها وزوجها، فهو حنون على الجميع، ثم اتصل بأخيه لإنجاز بعض الأعمال والتنسيق بين عملٍ هنا وهناك، ثم اطمأن على أخيه وزوجته، وحثه على النزول ليرى أباه، فهو مريض ويخشى أن توافيه المنيه وهو لم يره.

ولكن رد (ظافر) كان عكس التوقعات: إنتَ الخير والبركة يا حمزة وحبيب أبوك، أنا مطمن طول ما إنتَ موجود معاه وعارف إنه بيحبك.

(حمزة) وقد أحسَّ من أخيه بالحزن: وبيحبك إنتَ كمان يا ظافر، هو بس بيكره الهلس بتاعك.

(ظافر) محاولًا إنهاء المكالمة: ماشي حبيبي، عاوز حاجة؟

(حمزة) وقد علم أنه لا جدوى من الكلام، بل إنه سيزيد حزن أخيه: لا يا حبيبي، أشوفك طيب وبخير.

ثم ذهب إلى غرفته يُفكِّر ماذا سيفعل، هل سيتزوج (ظلال) دون علم أبيه؟ وكيف الحال إذا علم بعد زواجه؟ وإلى متى سيُخفي عنه؟ وماذا سيفعل إن علم وأصرَّ على أن يطلقها؟

فاستبعد الفكرة: لا لا، لن أطلقها، وماذا عن بنان إذا أصرَّ على تزويجنا؟ هل ستتفهم الموضوع أم ماذا سيحدث؟ هل أنا أناني؟ ولكنني أنا من سأتزوج، وهذه مَن أحبها قلبي وتحركت لها مشاعري.

وغلبه النوم من التفكير.

***

أما (ظافر)، فاستند على ذراعيه يفكر في كلام أخيه: بيحبني! عمري ما شوفت منه الحب ده، دايمًا قاسي عليا، عمره ما قال لي كلمة واحدة حلوة لو عملت حاجة كويسة، كان بيبص بطرف عينه وبس وكأني نكرة، لدرجة إنه خلاني أكره أعمل حاجة كويسة في حياتي عشان مشوفش النظرة دي، وبقيت أتعمد أعاند معاه وما صدقت إني كبرت وسافرت أمسك الشغل هنا عشان مشوفهوش، بتفكرني بيه يا حمزة ليه؟!

ودفع بالأشياء الموجودة على الكومودينو المجاور للفراش، لتأتي زوجته مسرعة: تقبرني حبيبي، كيفك؟ شو ياللي حصل؟

(ظافر) بحدة: مفيش مفيش، شيلي الحاجات دي، أنا خارج.
وتناول المعطف بيده ليضعه على كتفه، فنظرت إليه: شو ها الحكي؟ كيف تخرج بهالوقت؟
فنظر إليها نظرةً مرعبة: وإنتِ مالك؟ إنتِ نسيتي نفسك؟ هتحكمي عليا ولا إيه.
لتتأخر عن مواجهته ويمر من أمامها ويصفق الباب خلفه.

***

أما عند (أحمد)، فالحال مختلفة، فقد ذهب إلى أبيه وأمه في حجرتهما ليحدثهما بأمر هام.
والده: خير يا حبيبي.
(أحمد): خير يا بابا، أنا عاوز أتجوز.
والده: إنتَ بتقول إيه يا ابني؟! إنتَ لسه ماسك الشغل وممعكش حتى تمن دبلة، وأنا اللي بِعتُه في المنصورة جبت لكم بيه البيت ده تلات أدوار، دور لنا ودور لك ودور لأخوك، وكده ده اللي أقدر عليه.
(أحمد): وأنا قلت لك هتجوز بكرة! ده ربط كلام بس عشان العروسة متطيرش مني، لكن على ما تخلص دراستها ونتخطب وكده لسه فترة.
والدته بتعجب: ومين دي اللي عرفتها بسرعة كده؟
(أحمد) بابتسامة: إسراء بنت عمتي.
والده باستحسان: يا زين ما اخترت، البت شكلها مؤدب.
والدته بفرح: وشاطرة، ده هي اللي بتساعد أمها، بس على طول كده؟ إيه سحرت لك؟
(أحمد): لا سحر ولا حاجة يا ست الكل، زي ما بتقولي كده شاطرة ومؤدبة، وبنت عمتي ومش هتَّقل عليا في المصاريف.
والده بعد تفكير: طب سيب الموضوع ده عليا وهكلم أختي وهي مبتردليش طلب.
فاحتضنه (أحمد): متشكر قوي يا بابا.
فنظرت إليه أمه: شوف الواد، قال شاطرة ومؤدبة قال!

قدِم والد (ظلال) إلى المنزل، فحضرت له الأم الطعام وأدخلته إلى الحجرة:
جيت بدري النهارده، مش بعادة.
زوجها: حسيت إني تعبان شوية، قلت لابنك يكمل وأنا هروح ارتاح.
فباغتتة بدعاءٍ من القلب: بعد الشر عليك يا اخويا، ألف مليون سلامة، طب كل وارتاح، ولو إني...
فباغتها: إيه؟ عاوزة إيه قولي؟ فلوس؟ لسه مأخدتش حساب الشغل اللي عملته.
لترد بسرعة منكرةً حديثه: لا يا اخويا، خيرك مغرقنا.
زوجها بتعجب: أمال إيه؟ خلصي مش فايق لك!
فتلعثمت ثم تشجعت: في واحد عاوز يتجوز ظلال.
فغضب وجذبها من يدها: مين ده يا ولية؟ وعرفها منين؟
فردت بخوف: والله مش زي ما إنتَ فاهم، إنتَ عارف بناتك متربيين أحسن ربايا.
زوجها: أمال إيه؟ انطقي لأقتلك.
فردت بخوف: شوف بقى، البت كان في شباب هيتهجموا عليها، والجدع -الله يكرمه ويباركله في صحته وعافيته- وقفلهم وقفة أسد وجراهم قدامه ووصلها.
فأمسكَ عليها كلمتها: كمان وصلها! وأنا نايم على وداني! بت يا ظلاااال.
أمها بقلق، اسمعني بس، ده بيه وقيمة وسيما، ومش هيكلفك حاجة، وإنتَ عارف الظروف، أهو تشيل عنك، ده الحمل تقيل، وهو لو بنتك مش مؤدبة كان بقى عاوز ييجي جري يتقدم؟!
فأنصَت إلى كلامها، ولكن: بس ده كله ومخبية عني؟! طرطور أنا في البيت!
حاولت تهدئته: راجل وسيد الرجالة كمان، بس قلنا حاجة وعدت وربنا سلم، وإنتَ فيك اللي مكفيك، لكن الواد بقى لما شاف أدبها حبها وعاوز يدخل البيت من بابه.
فماذا سيحدث؟
هل سيوافق الأب؟ وهل سيتقدم (حمزة) لخطبة (ظلال)؟
وماذا عن (أحمد)؟ هل ستوافق (إسراء)؟

***

(٨)

اقتنع والد (ظلال) أخيرًا أن يقابل (حمزة) ويعلم ما يريده، علَّه شاب فرصة كما تقول له زوجته ويخف أحد الأحمال عليه، وطلب منها أن تجعله يأتي إلى المنزل ليتعرفوا عليه.

فرحت وكادت تعلو بالزراغيط، ليوقفها بإشارة منه: في إيه يا ولية يا هبلة؟! هتفضحينا، هو لسه حصل حاجة!

أم (ظلال): يوه يا اخويا من فرحتي! ربنا يتمم بخير، البت دي غلبانة وطيبة وعلى نياتها.

فرد عليها زوجها: طب يلا شيلي الأكل واعملي كوباية شاي حبر، منك لله صدعتيني وأنا جاي مصدع أصلا.

فنهضت مسرعة: حاضر يا اخويا.

وجرَت تنادي (ظلال)، لتخرج إليها مسرعة بتخوف، أحسَّت والدتها بخوفها فطمأنتها: متخافيش يا بت، أبوكِ وافق يشوفه، خليه ييجي.

وقبل أن تجيب (ظلال)، أسكتهم صوت والدها الذي يصيح: فين الشاي يا ولية؟ إيه الشاي الجملي ده؟!

فجرت الأم على المطبخ وهي تصيح: حاضر يا اخويا هواااا.

ودخلت (ظلال) فرحانة وسعيدة، لتنظر إليها (إسراء): خير يا حبيبتي، ما هو مبقاش على الحِجر غيرك.

(ظلال) بفرحة عارمة: بابا وافق يقابل حمزة.

فقامت (إسراء) تحتضن أختها وتبارك لها وتتمنى لها أن يُتِم الله لها بالخير، لتنام الفتاتان وتستيقظان كلٌّ إلى حال سبيلها كعادتهما.

أما (إسراء) فوجدت (أحمد) يقابلها بابتسامته ويُلقي عليها السلام وكأنه ينتظر قدومها ليراها قبل ذهابه إلى عمله، فزفرت بالضيق: لا والله ده كتير! إنتَ فاضي يا ابني؟ مش لاقي حد غيري ترزِّل عليه؟! والله لو ما اتلمِّيت يا أحمد واتعدلت وبطلت حركاتك دي اللي مش هتجيب نتيجة، لأقول لماما وإنتَ حُر.

فهمس لها بلطف في أذنها: هي زمانها عرفت.

فجحظت عيناها: يعني إيه مش فاهمة؟!
فضحك وهو يمشي ويصيح مشيرًا إليها: بكرة تكبري وتفهمي.
وهي تصيح وتبدل بقدميها في الأرض: يابااااي على رزالتك.
فازدادت ضحكاته عليها، وذهبت هي مسرعة إلى معهدها.
وجدت أم (فاروق) الهاتف يرن، فالتقطت السماعة لتجد أخاها يهاتفها، فاستغربت وردت: خير يا اخويا فيك حاجة؟
أخوها بضحك: بلاش أطمن على أختي؟!
فضحكت: سألت عليك العافيه يا اخويا، مأتحرمش منك، بس أصلي استغربت، الوقت بدري قوي، إيه اللي مصحيك حالًا؟ إنتَ تعبان؟ ألبس وأجيلك؟
فأجابها أخوها: هنعمل إيه في ابن أخوكِ؟
فاستغربت: مين؟ أحمد ولا ياسر؟
فأجابها: أحمد يا ستي، من ساعة ما شاف إسراء وهو هابلني أنا وأمه، وعاوز يتقدم لها قبل ما حد يسبقه.
ففرحت أم (إسراء): يا ألف نهار أبيض! وأنا في ديك الساعة لما أجوِّز إسراء لأحمد، ده أنا أجيبها بشوارها لحد البيت.
ففرح أخوها بردها، ولكن ازداد قلقه وتراجع: بس...
فحاولت طمأنته: بس إيه يا اخويا، هو احنا بيننا بس، اللي معاك يا اخويا ونكمل، والمليان يكُب على الفاضي، ده احنا أهل، عيب عليك والله أزعل.
ففرح أخوها: طمنتي قلبي ربنا يطمن قلبك، إنتِ عارفة الواد لسه ماسك الشغل وعامل جمعيات بمرتبه، بس شقته الحمد لله موجودة وجاهزة، ده ربنا كرمنا بالبيت اللي جوزك جابه متفصل علينا، شقة لينا وشقة لأحمد وشقة لياسر.
فدعَت لزوجها: مش أبو فاروق ربنا يكرمه ويبارك لنا فيه هو قال كده، عنده ولدين هيحتاج لهم بدل ما يلف ويدوخ لهم على شقق، واستلقط البيت من واحد كان مسافر وبيبيعه وهيجيب في حتة ألافرانكة من بتوع الناس الجامدة، وخده منه برخص التراب عشان كان صاحبه وله جمايل عليه.
فدعا له أخوها: ربنا يبارك له يا رب، بس جوزك هيوافق؟

فحاولت طمأنته: جوزي طيب وغلبان، هو حمقي شوية بس ابن حلال، اطمن هكلمه، واللي فيه الخير يقدمه ربنا.

وأغلقت الخط وحدثت نفسها: وبعدين في الحوسة السودة دي! ده أنا لسه قايلة له على ظلال، الراجل هيلاحقها منين ولا منين، بااس، أنا أول ما يصحى أطسها في وشه وهو لسه مفاقش، ميحطش منطق.

وتضحك على كلامها: والله أنا خايفه لحسن أنا اللي محطش منطق من اللي هيعمله فيا، وآجي في الفيس يقولوا المرحومة كانت بتضحك وهما بيغسلوها، يلا العمر واحد والرب واحد!

واستيقظ زوجها لتقابله بقنبلتها الموقوتة قبل أن يستوعب: أحمد عاوز يتجوز إسراء.

فحاول استيعاب الكلمات: أحمد مين وإسراء مين؟

فحاولت إفهامه: أحمد ابن أخويا وإسراء بنتك يا راجل.

فجذبها من يدها: إنتِ إيه حكايتك معايا بالضبط؟! سايبك تشتغلي خاطبة ولا بتوفقي راسين في الحلال!

فحاولت نزع يدها منه: يووووه! رزق وجه للبنات، وجواز البنات سترة، مبتشوفش الخطف والحاجات اللي بتحصل؟! ثم إسراء خلاص قربت تخلص، وأنا قلت لك هتقوم تتجوز، ده بيحجزها بس لحسن حد يسبقه، وبعد كده خطوبة وبعدها الجواز، وإنتَ عارف حالهم من حالنا، لا تعايرني ولا أعايرك، ده الهم طايلني وطايلك.

أبو (فاروق): إيه بلاعة الأمثال اللي فتحتيها في وشي على الصبح دي، غوري حضري الفطار، ولية سَوّ بصحيح.

فجرت لتحضر الإفطار وهو ذهب إلى الحمام ليستفيق، ثم حضرت بالطعام: هاااا، إيه رأيك؟ الواد أحمد أخلاق ومتربي، ده تربية أخويا وطول بعرض، والبت إسراء غلبانة وحظها قليل، مش جميلة قوي زي أختها.

فرد والدها: بس مش قردة، ما هي حلوة وكويسة وألف مين يتمناها.

فردت عليه: يعني لا هي حلوة قوي ولا وحشة قوي، وبصراحة مش هلاقي زي أحمد لها، اتوظف وله شقته وشكله حبها، وعارفين أخويا، ومراته غلبانة وطيبة

مش زي الحماوات اللي بنسمع عنهم، هاا، قلت إيه؟
فرد بضيق: ربنا يسهل، مش كله مرة واحدة، أما نخلص من الغريب الأول، أما القريب في إيدنا في أي وقت نقول له تعالى هييجي.
فأيَّدت رأيه: صح يا اخويا عين العقل.
فرد عليها: طب قومي اعملي الشاي وشوفي المحروس ابنك مقامش فتح الورشه ليه.
فردت بغيظ: الواد جاي يا حبة عين أمه متأخر من الورشة على ما خلص، إنتَ مش سيبته وجيت امبارح، انزل إنتَ افتحها وسيبه يريح شوية، هو بيسهر لوقت متأخر فيها.
فاستغرب من ردها: شوف الولية! ماشي، دلعي فيه يا اختي لما هتبوظيه.
فأشاحت بيدها، فاغتاظ هو: والله! عاوزة تضربيني على كبر! يظهر نسيتي عُلَق زمان وعوزاني أفكرك بيها!
فنظرت إليه: يلا خد المفاتيح وروح لأكل عيشك، ربنا يرزقك برزقنا.
فابتسم: ماشي، عشان خاطر الدعوة دي بس.

***

أما (ظلال)، فبعد انتهاء دروسها وجدت (حمزة) بانتظارها.
وحدثته: أمي عرفت كل حاجة وقالت لأبويا، وقال تروح تقابله.
(حمزة): وأنا كنت جاي عشان أقول لك تاخدي موعد من والدك، خلاص شوفي بكرة، لو مناسب آجي لكم بعد العشا وكلميني على الرقم ده.
وأعطاها الكارت الخاص به، فنظرت إلى الكارت: حاضر، هي إسراء أختي اللي معاها موبايل، كانت بتعمل تريكو وحوشت واشترته، هبقى أكلمك منه أقول لك.
فضحك (حمزة): لا خدي الموبايل ده بشريحته ومعايا رقمه.
وأخرجه من السيارة وأعطاه لها: ابقي كلميني منه.
فابتعدت: لا مأقدرش، لو أبويا شافه يموتني ويقول جبته منين.
فهمس إليها: قولي له جوزي جابهولي.
فأغمضت عينيها وشعرت برجفة خفيفة تزلزل جسدها الصغير، ثم استفاقت

لتبتعد: لا يا حمزة، مأقدرش، لما نتخطب رسمي، لكن دلوقت مأقدرش.
فابتسم لها: خلاص، بكرة هجيبه وأديهولك قدامهم.
وكادت تمشي، لتجد (ياسر) ابن خالها: الله الله! بقى أنا هتطلعي روحي، وماسكة في روح واحد تاني!
اغتاظت منه: إنتَ إيه اللي بتقوله ده.
جذبها من يدها: مين ده يا بت؟
ليجد قبضةً حديديةً تجذب يده من عليها بقوة، وهي يد (حمزة) لتبعده عنها، فهو رغم ضآلته يملك الحزام الاسود في الكاراتيه.
لفَّ يد (ياسر) خلفه، وجز على أسنانه: لو قربت من خطيبتي تاني يبقى تقول على روحك يا رحمن يا رحيم!
فتوجع (ياسر): خطيبتك منين يا عم؟!
(ظلال) بثقة: أيوه خطيبته، وماما وبابا عارفين، وقالوا لي أقول له ييجي يقابل بابا بكرة ويخطبني.
فحاول (ياسر) التنصُّل من (حمزة)، ولكن لا محالة: خلاص يا عم مكنتش أعرف، ربنا يهني سعيد بسعيدة.
فتركه (حمزة) وأبعده، وحاولت (ظلال) تهدئته، فهو دائمًا رقيق ولأول مرة ترى عصبيته.
(حمزة) وكأن شيئًا لم يكن: خلاص حصل خير، بس نرفزني لما مد إيده عليكِ، يلا روحي، وعلى معادنا اتصلي بلغيني.
فنظرت إليه بتفهُّم: حاضر.
وذهبت إلى والدتها تقصُّ عليها ما حدث.
والدتها تطمئنها: حصل خير، بس هيروح يقول لخالك ومش عاوزين شوشرة قبل الموضوع ما يتم، أنا عارفة ياسر مش طالع لأخوه ليه! عالعموم، هكلم أبوكِ لو المعاد مناسب تبلغيه، بس لما يرجع من الورشة عشان منطولش وحد تاني يشوفكم.
فأومأت (ظلال) برأسها متفهمة.
فيا ترى، ما الذي سيحدث في اللقاء؟

وهل سيُقنِع (حمزة) والد (ظلال) بزواجهما؟

***

(٩)

عندما قدِم العم (محمود) تلقَّفته زوجته بما حدث، وأن (حمزة) أعطاها الكارت الذي به رقمه لتُهاتفه عليه وتخبره بالموعد.

ليستشيط الرجل: ازاي يعني تكلمه، وأنا كيس جوافة هنا؟! لتجيبه منكرة حديثه، لا يا أخويا، لا عاش ولا كان اللي يقول عليك كده ده، حتى كان بيديها موبايل تتصل منه وبنتك رفضت.

ليجيبها: طب هاتي الكارت، وبكرة لما ابنك يصحى ويحصلني على الورشة أبقى أخليه يتصل لي بالرقم من موبايله.

لتذهب مسرعة إلى (ظلال) وتأخذ منها الكارت تعطيه لزوجها.

فأجابها: روحي بقى حضري لي لقمة لحسن واقع من الصبح على كعوب رجلي، والآخر نطلب من ده فلوس يقول أما تخلص، والأسعار بتغلى في اليوم عشر مرات، يعني أتفق مع حد وأروح أشتري ألاقيها الضعف، آجي أكلمه يقول لي أنا مالي مش بينا اتفاق، وبقت عيشة ما يعلم بيها إلا ربنا، مبيجوش إلا عالغلبان.

فحاولت زوجته التخفيف عنه: معلش يا اخويا، بكرة تتعدل، والعبد في التفكير والرب في التدبير، ويمكن جوازة ظلال دي تشيل وتخف الحمل عنك، دي بتقول غني قوي. طب وموضوع إسراء هتعمل فيه إيه عشان أرد على أخويا.

فاستشاط مرة أخرى: ما تهمدي يا ولية بقى، مش لما نخلص من جوازة نشوف التانية، ولو إن البت ظلال صغيرة قوي، دي لسه ١٧ سنة.

فأجابته بسرعة: يعني هي هتقوم تجوز حالا! مش على ما ييجي ونتفق، ونبقى نكتب لما تتم ١٨، وأهو يتجوزها ويصرف عليها في الجامعة ويخف عنا الحمل.

فقاطعها: خلاص، لما نخلص من موضوعها ونتفق ونعرف راسنا من رجلينا نبقي نشوف ابن أخوكِ، أهو متلقح في بيتهم مش هيحمض.

فتحدثت بصوتٍ خافت: يا ستِّير، عمرك ما تريحني أبدًا!

فنهرها: بتقولي إيه؟!

فأجابته: ولا حاجة، هقوم أحضر لك الأكل على ما تأخذ حمَّامك عشان جسمك يرتاح.

وأخفضت صوتها: لو مكنتش خلقي وحمقي كده وبتقفش.
ليتحدث هو بصوتٍ عالٍ: اللهم طوِّلك يا روح، مش هنبطل برطمة بقى!

***

وفي اليوم التالي، ذهب كعادته إلى الورشة في الصباح، وعندما استيقظ (فاروق) تناول إفطاره بسرعة وذهب إلى أبيه (محمود)، فأخبره والده أن يتصل بهذا الرقم.
(فاروق) باستظراف: مين ده يا حاج؟ إنتَ تعرف ناس أكابر كده منين؟ ده إنتَ آخرك عم عبد العاطي النقاش.
ليرد عليه أبوه: إنتَ هتستظرف يا روح أمك! اخلص ياد واتصل.
فرد مسرعًا: حاضر بتصل أهو، في إيه مالك بنكشك يا حاج.
واتصل وأعطاه الموبايل، ليتحدث (محمود): ألووووو.
فرد (حمزة): أيوه مين معايا؟
وقبل أن يرد (محمود)، دخلت السكرتيرة إلى (حمزة)، فنهرها: أنا مش قلت باقي الكراتين تتحول للمخازن وتتعدم؟ إنتم عاوزين تدمروا سمعة الشركة اللي بنيتها؟!
السكرتيرة بحذر: بس أستاذ أشرف اللي قال نستنى شوية على ما يكلمك.
(حمزة) بضيق: يستنى إيه ويهبب إيه، أنا قلت تتلم وتتعدم، مش عشان شوية ملايين أخسر سمعتي وأهدد الشركة، اللي قلته يتنفذ، وأشرف أنا ليا تصرف تاني معاه.
السكرتيرة باستسلام: حاضر يا فندم.
ثم تذكر التليفون: آسف معلش، مين معايا؟
ليستفيق أبو (ظلال) بعد سماعه الكلام: أنا أبو ظلال يا باشا.
(حمزة) بترحيب: أهلًا وسهلًا يا عمي، يا ترى ظلال عرضت عليك الأمر؟
(محمود) بسرعة: آه طبعًا، بنتي مبتخبيش علينا حاجة أبدًا، ومنتظرينك تشرفنا بعد العشا بأذن الله.
(حمزة): الشرف ليا يا عمي.
وأغلق معه الخط، ثم سرح (محمود) ليهزه ولده: هاااا في إيه ما تفهمني؟

(محمود): ده واحد عاوز يخطب ظلال.
(فاروق): ظلال المفعوصة يا آبه.
(محمود): بس إنتَ ادعي يسلَك الموضوع، ده بيه كبير قوي، ما إنتَ لو سمعت اللي سمعته، ده عاوز يعدم طلبيات بملايين، يبقى هو معاه كام، والله وباضت لك في القفص يا ظلال لو الواد ده طلع من نصيبك، عاوزين نقفل بدري ونطلع نستحمى ونجهز، واجري قول لأمك تجيب ساقع وتجهز فاكهة، عاوزين حاجة تشرف، خد الفلوس دي ادهالها وتجيب فرخة وتعمل عشا حلو كده.
(فاروق) باستسلام: أوامرك يا حاج.
ومشى تاركًا والده يقول: أهي دي الجوازات اللي تشرف ولا بلاش، مش مستعجلالي على ابن أخوها، ما هو موجود هيروح فين.

***

وجاء وقت اللقاء، وتجهز الجميع وفي انتظار (حمزة) وأهله، ولكن حينما فتح (محمود) لم يجد سوى (حمزة)، فلم يأخذ بباله، ربما لأنها المرة الأولى، وعندما يتم الاتفاق يحضرهم جميعًا.
وجلس (حمزة) ليتحدث: أنا يشرفني يا عمي إني أطلب إيد ظلال من حضرتك.
(محمود) بسرعة: الشرف ليا أنا يا ابني.
(حمزة) يستطرد: يمكن حضرتك متعرفنيش، أنا حمزة البنهاوي، صاحب سلسله شركات ومطاعم (البنهاوي).
فظهرت على (فاروق) علامات التعجب والاندهاش: إنتَ البنهاوي اللي إعلاناته في التليفزيون وعلى النت بتكعبل فيها؟
(حمزة) أومأ برأسه: أيوه، أنا البنهاوي بتاع الإعلانات.
(فاروق) باستغراب: وجاي تخطب ظلال أختي! ده بيطلع في إعلاناتك مُزَز.
(حمزة) بتفهم: بس مع الأسف محسيتش مع أي واحدة باللي حسيته مع ظلال، يمكن برائتها وطبيعتها وتلقائيتها هي السبب.
(محمود) ينتشله من كل هذا: وأهلك فين يا ابني؟
ليفكر (حمزة) بعض الوقت، ثم أجاب: والدي متقاعد ومريض، عشان كده كتب لي كل حاجة هنا وأمّني عليها بعد وفاته أعطي لأخواتي حقوقهم، وأنا

حملت الأمانه دي، وأخويا ماسك فروع أوروبا ومبينزلش مصر ومتجوز أجنبية هناك، ووالدي مش هيقدر يتحرك بسبب المرض، وأظن أنا شخصية معروفة، وده الكارت بتاعي، لو مش مصدقني اسأل عني في شركاتي.

ودخلت (ظلال) وفي يدها العصير، ليلتقطه (حمزة) منها، فقال أبوها: لا عصير إيه، حضروا العشا.

(حمزة) باستحياء: لا والله ملوش لزوم، ده أنا هستأذن عشان والدي، ومعاكم الكارت اسألوا عني وردوا عليا.

ليحلف (محمود): والله أبدًا، لازم تتعشى معانا، ولا احنا مش قد المقام ومش هنقدر نقوم معاك بالواجب؟!

(حمزة) وقد حاصره والدها: لا ازاي، قد المقام ونص كمان، وأنا مش هوقع حلفانك.

وحضروا العشاء، ليتناول (محمود) و(فاروق) و(حمزة) العشاء معًا ويتجاذبوا أطراف الحديث، وكلما تحدث (حمزة) انبهر (محمود) أكثر وأكثر.

استطرد (حمزة): هو طبعًا عندنا فيلا فيها والدي، بس أنا عندي شقة فخمة جنب مقر الشركة الرئيسي، عشان لو متأخر أو مُجهَد برتاح فيها، وفيها كل شيء، أنا مصممها على أحدث طراز وجايب الأثاث من باريس، ودي اللي هتجوز فيها عشان تبقى براحتها.

فدعا له (محمود): ربنا يزيدك من نعيمه يا ابني، احنا اتشرفنا بمعرفتك جدًّا، وخير إن شاء الله، انتظر مني تليفون.

وقبل أن يودعه، طلبَ (حمزة) من والد (ظلال) أن يعطيها الموبايل هدية منه، ويستسمحه أن يتصل بها للاطمئنان عليها، وأيضًا لو أمكنه أن يوصلها عندما يكون الدرس متأخرًا، لأنه يخشى تكرار ما حدث.

فوافق الأب لأنه أحس أن (حمزة) شخصية ملتزمة ومحترمة وسيأمن على ابنته معه، وهذا ما يتمناه الأب لابنته حقًّا.

نادى الأب على (ظلال) لتأخذ الموبايل من (حمزة)، وأومأ لها برأسه دليلًا على الموافقة، لتخفض رأسها بخجل: متشكرة قوي.

ليسلم عليها ويهمس بأذنها: تشحني البطارية دايمًا ويبقى مفتوح، مش عاوز

أتصل ألاقيه مقفول، مفهوم؟
فأومأت برأسها بتفهم: حاضر.
فاستطرد: هبقى أتصل بيكِ آخد مواعيد دروسك.
فأجابته: حاضر.
فقال: يلا سلام.
لتجيبه: حاضر.
فابتسم: أنا بقولك سلام.
فاستفاقت: هاااا ااه سلام.
ورحل (حمزة) على أمل اتصال والدها به.

***

بعد أن رحل (حمزة)، دخلت (ظلال) لتُخرِج الهاتف من صندوقه وتمسكه بيدها وتنبهر به، فوجدته يرن بيدها، كادت تلقيه أرضًا من الخضة لولا أنها تداركت ذلك.
نظرت إليه: هو بيتفتح؟ أرد ازاي عليه؟
فقد شاهدت اسمه مدون على الشاشة، لتأتي (إسراء) تفتحه وتقول: عدي الجمايل، وتاتش كمان، الله يرحم! حطيه بقى على ودنك.
فردت: أيوه.
(حمزة) يباغتها: وحشتيني!
فألقت به على الفراش.
استغربت (إسراء): في إيه؟ لسعك تعبان!
لتتناوله مرةً أخرى، فوجدته يتحدث: روحتي فين؟
(ظلال) بتلعثم: هاااا أنا هنا موجودة.
فابتسم: أمال مبترديش ليه؟
فردت بصوت خافت: حمزة بلاش الكلام ده عشان بتخض.
فضحك: بتتخضي عشان بقولك وحشتيني! أمال المفروض أقول لك هقتلك؟!
(ظلال) بتلعثم: لا، بس أنا جسمي بيسيب وبرتعش لما بتقول لي كده.
فضحك: خلاص، لما أكلمك تاني هقول لك (وحشـ...) وأقفل، وأتصل أكملها

وأقول لك (...تيني).
فضحكت (ظلال): لا مش قوي كده يعني.
(حمزة) بجدية: المهم قولي لي مواعيد دروسك عشان آجي لك أوصلك أو أبعت لك السواق لو مش فاضي.
(ظلال) بإحراج: مش لازم يا حمزة، مش عاوزة اتعبك.
(حمزة) بعصبية: هاااا قلنا إيه؟ نسمع الكلام ونقول حاضر، الموضوع ده مفروغ منه عشان ميحصلش زي يوم ما شوفتك.
فأحست بضيقه وعصبيته: حاضر متزعلش.
وأعطته مواعيد دروسها حتى يجعل سائقًا من الشركة يتفرغ لإيصالها.

***

أما عند (أحمد) مستشيطًا بحجرته، ليخرج إلى والديه بالصالة: عمتي مردتش عليكم؟ هما مش موافقين ولا إيه؟
وكان (ياسر) موجودًا: تلاقيهم ملخومين في جوازة البت ظلال.
أصلي شوفتها مع واحد وكنت هضربه، بس قلت الطيب أحسن، وقالت إن أهلها عارفين وإنها بتديه معاد عشان رايح يتقدم لها.
(أحمد) بضيق: طب وأنا مش أولى؟ ده أنا ابن أخوها.
(ياسر): هو إنتَ عاوز ظلال؟
(أحمد) بضيق: لاا يا غبي، عاوز إسراء، وأبوك كلم عمتك ومردوش.
(ياسر): يمكن قالوا يخلصوا واحدة واحدة، اصبر وخليك تقيل، التقل صنعة.
(أحمد): تصدق إني غلطان إني بكلمك، وحضرتك يا بابا رأيك إيه؟ مش أنا أولى الأول ثم إسراء الكبيرة، المفروض إن الأول جوازتنا.
(محمد) لتهدئته: زي ما قال لك أخوك، يمكن بيخلصوا ظلال جايز الموضوع كان قبلك، اصبر وأنا هبقى أكلم أختي وأشوف الوضع.
ثم اتصل بأخته، وبعد السلامات: خير يا أختي، مردتيش عليا في موضوع أحمد.
أم (فاروق): والله ما عارفة أقول لك إيه، بس دلوقتي في واحد متقدم لظلال، وبنخلص موضوعه عشان غريب، لكن احنا أهل ويَّا بعض، وأنا مش هلاقي زي أحمد لإسراء، طمنه يا حبيبي، بس نخلص من اللي احنا فيه وهقول لك.

ليتفهم أخوها: ماشي يا اختي.
وقصَّ لابنه ما حدث، ليزفر بضيقٍ ويدخل إلى حجرته.

***

وفي الصباح، قابل (إسراء) كعادته، لتزفر بضيق: ربنا يصبرني!
فمال عليها: مش كنا احنا أولى؟
فلم تفهم ما يقول وتركته وذهبت: عاوز إيه المجنون ده، مخه لاسع أساسًا!
وأيضًا (ظلال) وجدت سيارةً تنتظرها وخرج رجل كبير.
(عم مرسي): حضرتك الآنسة ظلال.
(ظلال) باستغراب: أيوه أنا، مين حضرتك؟ وعاوز مني إيه؟
(عم مرسي): حمزة بيه باعتني ليكِ أبقى تحت أمرك طول اليوم.
وقبل أن تتلفظ (ظلال) قال: اتفضلي، السيارة أهي منتظراكي.
لتجد (حمزة) يتصل: جالك عم مرسي؟
(ظلال): مش قلت الدروس بس؟ ليه المدرسة كمان؟
(حمزة): مش عاوز كلام كتير، هو هيبقى معاكي من الصبح لحد أما تروحي، يلا سلام عشان سايق ومعايا تليفون انتظار.
وقبل أن تتلفظ أغلق الخط، لتزفر: إيه ده؟ كله أوامر عنده كده؟ مفيش تفاهم!
يا ترى، هل ستتم زيجة (ظلال) و(حمزة) أم سيحدث أمر يفسد فرحتهما؟
وهل سيتزوج (أحمد) بـ(إسراء) أم سيظل (كمال) يشغل بالها؟

***

(١٠)

استسلمت (ظلال) لما قاله (حمزة)، فهي تعلم أنه يخشى عليها تكرار ما حدث بالأمس القريب، لذلك لم تُجادِله فيما قال وذهبت إلى مدرستها ودروسها، وعندما توجهت إلى السيارة بعد آخر درس كما تركتها، فوجِئت بسيارةٍ أخرى ولكنها تعلمها جيدًا، فهي سيارة (حمزة)، ليفتح لها الباب ويشير إليها بالدخول.

(ظلال) وكأنه لا يهمها مجيئه: تعَبت نفسك وجيت ليه؟ ما هو عم مرسي بيوصلني.

لينظر إليها ويمسك الهاتف: إيه مش عاوزاني أتصل لك بيه؟ ألِف وأرجع؟

لتسرع (ظلال) بالرد: لاااااا مش قصدي! بس مش عاوزة أعطلك.

فأجابها (حمزة) بابتسامته الهادئة العذبة التي تسحرها: هو أنا اشتكيت لك!

ومال عليها فغمز لها: مش جعانة؟ تيجي نتعشى سوا؟

لتصرخ في وجهه: لاا طبعًا! أروح معاك فين وأتعشى إيه! روَّحني يا حمزة.

ليغضب هو الآخر ويزفر بضيق: في إيه يا ظلال؟! هو أنا بقول لك هاخدك شقة مفروشة، ده مكان عام، ثم أنا مش جيت البيت وأبوكِ خد كل بياناتي يسأل عني، ولو عاوزاني أكتب عليكِ حالًا أنا موافق، أنا مش بلعب بيكِ، ولو كنت من دول فالأساليب كتير، وأولها يوم ما كنتِ ضعيفة وخلصتك من الشباب اللي كانوا هيخطفوكِ، كان ممكن أستغل الموقف، لكن أنا مش كده، على العموم براحتك، يلا أروحك.

لتنظر إليه ببراءتها: أنا آسفة يا حمزة، مش قصدي كل ده، أنا عارفة إنك كويس ومحترم وجاد، وإلا مكانوش أهلي وثقوا فيك، بس احنا ناس شعبيين وسمعتنا رأس مالنا، إنتَ مش شوفت ياسر لما شافني عمل إيه، أنا مش عاوزة حد يتكلم عليا، وإنتَ مش ترضاها لي.

ليغمض عينيه ويخلل أصابعه في خصلات شعره ثم يرفعه فترتد بعض الشعيرات المتناثرة، في حين تنظر هي إلى رد فعله وما سيقول، فأجاب تساؤلها بنظرة مطولة: حاضر يا ست ظلال، بس تسمحي لي أنزل أشتري لنا ساندوتشين لأني

على لحم بطني من الصبح وكنت ناوي أتعشى معاكِ؟
لتلاحقه: وازاي تسيب نفسك من غير أكل لحد دلوقتي؟!
فابتسم: يعني إنتِ أكلتي؟
فأخفضت رأسها ثم نظرت إليه مرة أخرى: الصراحة لأ، هو ساندوتش كلته في الفسحة تصبيرة على ما أروَّح.
فنظر إليها وفعل كما فعلت: وازاي تسيبي نفسك من غير أكل لدلوقتي؟!
فشعرت أنه يُقلِّدها فضحكت: يعني بتردها لي واحدة بواحدة!
فنظر إليها: الصراحة آاااه! يلا بقى نخطف لنا حاجة سريعة على ما قُسُم.
فضحكت وأجابته: ماشي.
وبالفعل، اشترى وجبتين سريعتين ساخنتين، فتناولت منه واحدة، وأخذ هو ينظر إليها، ليجد بعض الكاتشب على جنب شفتيها، فمسحه بإصبعه والتهمه، فأحست بالخجل من أفعاله هذه.
فقالت بخجل: يلا بقى عشان اتأخرت.
فأجابها: أؤمر يا قمر، أمرك يمشي.
فابتسمت بخجل وأخفضت رأسها، ليتوجه بها إلى حيث مسكنها ويودعها بابتسامة ساحرة: هتوحشيني، قولي لأبوكِ ينجز وميتأخرش في الرد.
لتذهب إلى شقتها وتدق الباب بفرحة عارمة.
ففتحت والدتها: في إيه يا بت؟ الصبر!
فوجدتها فرحةً بصورةٍ مقلقة، فاستغربت الأم وسألها عن سبب فرحتها، لتجيبها بما حدث، فتضايقت الأم: لا ما ينفعش كده، الناس تقول إيه علينا؟! خليه يصبر على ما أبوكِ يرد ويبقى فيه خطوبة رسمي، إنما كده الناس تاكل وشنا وتقول سايبينها على حلّ شعرها.
فزفرت (ظلال) وتحدثت بضيق: ليه بتقولي كده؟! هو مش جه لحد هنا ومستعد يكتب عليا من دلوقت بس بابا يوافق، يعني غرضه شريف مش بيلعب بينا.
فاحتضنتها أمها: عارفة يا حبيبتي، وربي يعلم قلبي اتفتح له من ساعة ما دخل البيت، بس كلام الناس كتير ومبيرحمش، ومش هنروح نكلم كل واحد ونفهِّمه،

ولَّا حد يجيب سيرتك قدام أبوكِ بحاجة بطالة، فأبوكِ يتنرفز ويفركش الجوازة، أنا هكلم أبوكِ يسأل بسرعة عشان نخلص ونعمل الخطوبة، وعلى ما تخلصي نكتب الكتاب وإنتم أحرار.

فاقتنعت (ظلال): حاضر يا ماما، هقول له كفاية عم مرسي بيوصلني وهو يخف من مجيُّه شوية على ما تحصل الخطوبة.

وبالفعل، اتصلت به وقصَّت له ما حدث، فتفهم الأمر ولكنه أصرَّ على أن ينتظرها فقط في الأيام المتأخرة ليطمئن عليها، فوافقت.,وعندما حضر الأب، تلقَّفته زوجته بالأخبار لتشير عليه بالإسراع في السؤال عليه والتأكد مما قال.

(محمود): ماشي يا ست المستعجلة، كان عندي شغل في الورشة مفضيتش، هروح بكرة أسأل، ولو تمام نقول له ييجي يخطبها، بس حتة أهله مسافرين وأبوه عيان مبيتحركش دي قلقاني.

لتبدد زوجته مخاوفه: مش شايفُه بيه قد الدنيا وعربيته بتسد الشارع، أكيد طبعًا عايشين في بلاد بره، وتلاقي أبوه يا كبدي مكسَّح، هيجيبه متشال يعني ويحرجه قدامنا؟!

(محمود): ماشي، أما أشوف آخرتها في المشي وَراكِ.

أم (فاروق): آخرتها خير إن شاء الله، ده شيء يفرح وشكله ابن ناس ونضيف كده، والله قلبي انفتح له لما شوفته.

(محمود): طب اجري انجزي وهاتي لي لقمة، لحسن بسقَّط من التعب.

فردت بسرعة وهي تجري: حاضر يا اخويا.

***

أما (ظلال)، فدخلت إلى حجرتها لتجد أختها شاردة، فنسيت ما بها وحدثتها: مالك يا سوسو؟

فانتبهت إليها: أنا! مفيش، مالي؟

فردت (ظلال) بإنكار: لأ في وفي كمان!

(إسراء): سيبك مني، مالك فيه إيه؟

لتقص عليها ما حدث من (حمزة) ومن والدتها.

(إسراء) في غيظ: الله الله! إيه الرومانسية دي، ناس لها هوت دوج وناس

ساندوتشات فول بالعافية، اشمعنى أنا اللي حظي كده! أكونش أنا اللي فقرية، ولا سي أحمد ده كمان اللي كل يوم أتكعبل فيه، والنهارده مفهمتش بيقول إيه، زي ما يكون مخاوي ولا بيقول طلاسم، ربنا يريحني منه في جيّة قطر سواقه أضبش ويطلع من قضبانه وييجي ياكله.

(ظلال) باستنكار: يااااا إيه ده اللي بتقوليه؟! وهتطلعي له القطر لحد هنا ييجي ياكله يا مفتريه، والله خسارة فيكِ! يلا ننام بقى، أنا خلاص من الصبح لما صدعت.

(إسراء) بتعجب: من إيه يا أختي؟! من ركوب العربية العشرة متر!

(ظلال): لأ، من كتر الدروس والشرح، تعبت صدعت من هنا لهنا، هو أنا مكنة!

(إسراء) بزهق: طب نامي نامي.

وفي الصباح أُعيدَت الكرَّة مرةً أخرى، وجدت (ظلال) السيارة أمام المنزل و(عم مرسي) بها ينتظرها.

أما (إسراء)، حاولت النزول مبكرة أو متأخرة، فلا بد أن تجد (أحمد) يمر ويسلم عليها ويضايقها بابتسامته، وهذه المرة وهو يمر ويسلم وينظر إليها، خبطت به إحداهن، فتأسف لها، لتقول له: مش تحاسب يا اسمك إيه؟!

(أحمد) بتوتر: معلش، أنا آسف مأقصدش.

فردت الفتاة: ولا يهمك، حصل خير.

فكانت الفتاة تنظر إليه، في حين أنه ينظر إلى (إسراء)، والتي كانت تنظر إليهما ثم أدارت له ظهرها ومشَت بعيدًا، وهو ترك الفتاة التي تحادثه وذهب إلى عمله، أما (إسراء) فذهبت إلى معهدها، لتلاقي صديقتها.

صديقتها: مالك ضاربة بوز ليه؟

لتتعصب (إسراء): الله يكرمك سيبيني في حالي، أنا مش طايقة نفسي وعايزة أولع في أحدهم.

فردت صديقتها: يا واد يا خِطر إنتَ، في إيه بجد؟

فقصت لها ما حدث: أنا مش عارفة البني آدم ده واقف لي بالعرض في زوري ليه، ومش عارفة مستحمل نفسه ازاي، واد بارد! أنزل بدري ولا متأخر ألاقيه

مستنيني، تعبت واتخنقت منه، ولَّا ما صدَّق الحيوان البت خبطت فيه وهاتك يا رغي، واد زبالة!

صديقتها لتغيظها: وإنت مالك؟ ولا غيرانة؟!

(إسراء): أغير على ده! إنتِ هبلة ولا إيه! ده لو آخر واحد في الدنيا، لو هيدوني مليون جنيه عليه، ما أوافق بيه، اسكتي بقى، كمال جاي، ده أنا جاية من بدري عشانه يعني، عشان ميعملش فيا زي المرة اللي فاتت.

صديقتها وهي تعلم: اااه يا اختي، فاهمة فاهمة.

***

في بيت (أحمد).

(أحمد) لأهله: مش المفروض برضه نرد العزومة بتاعه عمتي؟

أبوه في استحسان: آه والله يا ابني، عندك حق، إيه رأيك يا أم أحمد؟

أمه: آه والله يا ابني، أنا مبحبش جميلة عليا من حد، خلاص نعزمهم الجمعة الجاية، أهي بتبقى أجازة والكل موجود.

وفعلًا، اتصل أخوها ليعزمها هي وزوجها والأولاد، فوافقت ورحبت.

فماذا سيحدث في العزيمة؟

وماذا سيفعل (محمود) بعد أن سأل عن (حمزة)؟

***

(١١)

انتظرت أم (فاروق) زوجها لتخبره بالعزيمة، فرحب هو الآخر، فاستطردت لتسأله عما سيفعل بموضوع (ظلال).

ليجيبها بعد تفكير مليء: بصراحة، أنا سألت على الشاب، مفيهوش غلطة، ومليونير والناس كلها بتشكر فيه وفي أخلاقه، بس برضه قلقان.

فأجابته بسرعة: من إيه بقى؟

ليجيبها عن تخوفاته: لا في أهل له شوفناهم ولا أي حد، يعني كله مسافر وأبوه عاجز، طب ما يعزمنا نروح له.

لتُبدِّد مخاوفه: يمكن أبوه ممنوع عنه الزيارة ولا حاجة ولا عشان ميحرجهوش، ده مهما كان بيه كبير ويرقد الرقدة دي بيصعب على الواحد نفسه.

فأومأ برأسه في اقتناع: عندك حق يا أم فاروق، ربنا ما يورينا رقدته.

فدعت له: بعيد الشر عنك يا أبو فاروق، هقول للبنات عن العزومة عشان يجهزوا نفسهم.

ودخلت تخبرهم، لتقول (ظلال): عندي دروس يا ماما، هحاول أخلص وآجي لكم، أنا عارفة البيت، جنب المدرس بتاعي، شوفت (ياسر) طالع منه مرة.

فتفهمت الأم الأمر.

أما (إسراء) فنهضت بسرعة: لا أنا مش عاوزة أروح هناك.

لتنظر إليها أمها باستغراب: ليه بقى إن شاء الله؟!

(إسراء) بتلعثم: مفيش، هو كده، مش عاوزة أروح.

أمها بغضب: يا سلام! وأروح أنا وأبوكِ وخلاص! يقولوا إيه، مش طايقينهم؟! ما هما جم كلهم عندنا.

(إسراء) بغضب: يا ستي مليش نفس أروح، هو أخوكِ ولا أخويا.

لتغضب الأم وتحسم الأمر: شوفي بقى، هتروحي ورجلك فوق رقبتك، إيه المياعة دي!

وتركتها وانصرفت، لتنظر (إسراء) إلى أختها التي تخفي ابتسامتها، فقذفتها بالوسادة: فرحانة إنتِ وخلعتي عندي دروس، وأمك هتصحينا من بدري ويلا

نساعد مرات خالك دي لوحدها معندهاش بنات تساعدها، عارفة أنا القصة دي، كان يوم مطلعلوش ملامح يوم ما جم القاهرة.
و(ظلال) تحبس ضحكتها ولكنها لم تستطِع، فانفجرت ضحكًا من مشهد أختها وهي تكلم نفسها بطريقة مضحكة.

***

وفي يوم العزيمة، استيقظت الأم وأيقظت بناتها وزوجها للفطور وحتى يتجهزوا للذهاب إلى العزيمة.
زوجها: أنا رايح الورشة أنا وفاروق، وابقي قولي لأخوكِ ييجي يقعد معايا هناك ونيجي على الغدا، وإنتِ روحي بالبنات.
فأجابته أم (فاروق): هروح أنا و(إسراء) نساعد أم أحمد، لكن (ظلال) هتخلص دروسها وتيجي علينا.
فوافق الرجل.
وبالفعل، ذهب كلٌّ إلى حال سبيله وتبقت (ظلال) بالبيت، لتتصل بـ(حمزة) وتسأله: إنتَ بتعمل إيه؟
ليتثاءب: هو مش النهارده الجمعة؟! إيه مصحيكِ بدري كده؟
فردت: بدري إيه! دي قربت على الحادية عشرة، قوم عشان صلاة الجمعة، وأنا عندي دروس.
(حمزة): أبعت لك العربية؟
(ظلال): لأ، ده الدروس جنبنا هنا وبدري، وبعدها معزومة عند خالي.
فاستشاط: مش الولد اللي ضربته ده ابن خالك؟! متروحيش!
فحزنت وأجابته: مينفعش، أمي وأختي وكلنا معزومين، أنا قلت لهم هخلص وآجي أتغدى وأمشي، والله هروح أتغدى وأرجع على طول.
فأزال خصلات شعره المتناثرة ورد عليها: طب ما تيجي نتغدى سوا.
فشهقت: لاا طبعًا مينفعش!
فغضب مرة أخرى: خلاص، تروحي تاكلي وتنزلي جري، وإياه الولد ده يكلمك وتردي عليه.
فأجابته: حاضر، بس متتعصبش كده.

فأجابها بزهق: مش هتعصب، اقفلي بقى.
فحزنت: شوفت! متعصب أهو.
وكادت تبكي، فلَانَ لسماع صوتها: خلاص يا ظلال، قلت مش متعصب يا حبيبتي، يلا روحي عشان دروسك، متتأخريش.

***

أما عند الخال، فقد أخبرته أخته أن يذهب ليتسلى مع زوجها إلى حين الغداء، فوافق وذهب.
أما أم (فاروق) وأم (أحمد) فذهبتا إلى المطبخ مع (إسراء) لتجهيز الطعام، والتي كانت تخرج بعض الأشياء على السفرة أو تأتي ببعض الأكواب من الصالة.
وفي أثناء خروجها مندفعة كان (أحمد) قد استيقظ ووضع المنشفة على كتفه للذهاب إلى الحمام، ليتلقفها بين أحضانه ويمسك منها الأواني قبل إفلاتها بإحدى يديه وأيضًا يسندها والأخرى حول وسطها قبل وقوعها.
حاولت أن تتشبث به حتى لا تقع، ثم اعتدلت وكلمته بخفوت حتى لا يسمع أحد: خلاص وسع، مش تفتح وإنتَ ماشي وتاخد بالك؟!
ليبتسم: ده أنا برضه اللي أفتح وآخد بالي، ولا إنتِ اللي واخدة في وشك!
لتنظر إليه وتذهب غاضبة وتحدث نفسها: هو يوم باين من أوله! عديه على خير يا رب بدل ما أصور قتيل.
دخل ليتوضأ وذهب إليهم في المطبخ: عاوزة حاجة يا ماما؟ أنا نازل أصلي، ازيك يا عمتي؟
فردت عمته: إن شاء الله، تسلم يا حبيبي.
أما أمه فردت عليه: لا يا حبيبي، أعوزك طيب.
وانطلق إلى صلاته، ثم عاد ليجدها بالبلكونة، فذهب إليها.
كادت تدخل فمنعها بيده، لتنظر إليه: وبعدين معاك بقى؟!
(أحمد) باصرار: كنت عاوز أوضح لك لما البنت خبطِت فيا...
ولم يُكمل، لتباغته: ميهمنيش، بتبرر لي ليه؟!
(أحمدَ) بضيق: عشان بصتي لي بصة معجبتنيش، وأنا مش كده ولا زي ما إنتِ فاهمة، أنا اعتذرت، وهي اللي كانت بتجر كلام.

فتباغتته: لو صحيح محترم زي ما بتقول كنت قطمت معاها لكز، كلكم صنف واحد ما بتصدقوا.
ليمسكها من ذراعها بغيظ: هو في إيه؟! من ساعة ما شوفتيني نازلة هجوم عليا، وكإنك عرفاني من زمن، مع إنك متعرفيش حاجة عني.
لتتأوه منه: آي! سيب إيدي.
أدرك هذا فتركها: أنا آسف، بس إنتِ الصراحة تستفزي بلد.
فسألته: إنتَ مالك بيا يا أخي؟! عاوز مني إيه؟
فصعقها بردِّه: عاوزك حلالي، عاوزك مراتي!
فجحظت عيناها ولم تستطِع الرد، وكأنها لُجِمت، ثم استيقظت من الصدمة: ده لما تكون آخر راجل في الكون والبشرية كلها انقرضت، مش هوافق.
وهمَّت بالخروج، ليمسك ذراعها بقوة: ليه بقى إن شاء الله؟! ناقص إيد ولا رجل!
فنظرت إلى موضع يده: سيب إيدي لو سمحت، قلت لك ده مستحيل.
فنظر إليها بغيظ: وأنا بقى بقول لك ده قريب قوي.
فنزعت يده وتركته ودخلت وهي مستشيطة وكادت تخرج منها نيران مستعرة.
أتى الجميع، وتناولوا الغداء، وبعدها قامت (إسراء) لتدخل الطعام كما أمرتها والدتها ولتُعِد الشاي، في حين جلس الكبار في الصالون.
أما (أحمد) فساعدها في إدخال الأطباق، لتلتفت إليه وتجز على أسنانها: ممكن تروح تقعد وأنا هشيل؟ مش عاوزة مساعدة منك.
(أحمد) يبتسم ابتسامته التي تجعلها تستشيط غيظًا: الحق عليا، خلاص هعمل الشاي.
فطفح بها الكيل: أنا هتنيل أعمله، اتفضل من غير مطرود.
(أحمد): وأنا مقدرش أسيبك تتنيلي لوحدك، نتنيل سوا، الملافظ سعد يا عبعال.
فتركت ما بيدها ووضعت يدها بوسطها: يعني هو مفيش فايدة فيك؟! أصوت وأقول لهم بيتحرش بيا وأخلي أبويا وأخويا يعجنوك؟!
(أحمد) لاستفزازها: وأهون عليكِ أتعجن؟

فترد بغيظ: تصدق آه!
وهمت برفع صوتها، فكتم فمها قبل أن يخرج صوتها وهي تحاول إخراج صوتها وهو يكتمها: إنتِ مجنونة يا بت ولا إيه؟! يخربيت جنانك! أنا ماشي، جاتِك القرف، البسي بقى في الشغل كله، وأنا شاي سكر خفيف.
فرمته بقطعة قماش كانت بيدها: غور جاتك القرف! ده إيه الوقعة الهباب دي، لا عزومتين كمان وهولع في خالي نفسه عشان خلفه.

***

تحدث أبو (أحمد): أختي كلمتك في موضوع إسراء وأحمد يا أبو فاروق؟
(محمود): آه طبعًا، واحنا عندنا أغلى من أحمد، ده زي فاروق يا راجل، وأنا هنسى وقفتك جنبي أما جيت المنصورة ومليش متوى، واديتني شقة في بيتكم وجوزتني أختك، إنت مش صاحبي بس، إنت أخويا! لولا أكل العيش وإني اتنقلت هنا من زمان وفتحت ورشتي، لكن عمري ما أنسى وقفتك جنبي.
أبو (أحمد): متقولش كده، إنتَ جدع من يومك، ولولا شوفت مجدعتك لما خدت علقة عشان تدافع عن أختي من شوية الشباب اللي عاكسوها ومهمكش كترتهم، حسيت إنك جدع وعندك نخوة وشهامة مش في أي حد، وعشان كده أمنتك على أختي.
(محمود): ربنا يديم المعروف بينا، هو بس موضوع ظلال عاوز أخلص منه، إنما احنا أهل ويًّا بعضينا.
أبو (أحمد) بسرعة: طب نقرأ الفاتحة، واحنا مش هنختلف سوا، بس نريح الواد.
أبو (فاروق): ولا تزعل، نقرأ الفاتحة.
زوجته: طب مش نقول للبت؟
أبو (فاروق): هو في قول بعد قولي يا ولية؟!
فرقعت زرغوطة.
و(إسراء) بالداخل: يا ريته كان صويت ويصوتوا عليا ويريحوني منه.
فدخل ياخذ منها الشاي: مبروك يا حياتي.
فاندهشت: على إيه؟!

ليصعقها بهذا الخبر غير المتوقع، فوقفت مشدوهة فاغرة فاهها.
فباغتها: أنا قلت كده، الفرحة هتفقدك النطق.
وتركها على حالها، لتجري بعدها وتنظر إلى أمها لتشدها بجانبها وهي تحدثها:
إنتم ازاي تقرأو فاتحتي من غير ما تقولوا.
فغمزت لها أمها: عدي الليلة بدل ما أبوكِ يولع فيكِ، مفيش قول بعد قوله.
فاستكانت وهي في قمة غضبها ولم تطِق ذلك الناظر إليها.
فماذا سيحدث يا ترى؟

***

(١٢)

رجع الجميع إلى المنزل و(إسراء) لا ترى أمامها من الضيق، لتجد أختها بالغرفة، فصفقت الباب خلفها، لتتفوه (ظلال): شكلها والعة...

ولم تكمل، إذ وجدت قنبلة موقوتة أمامها: بنت إنتِ، أنا مش ناقصاكي ولا طايقة نَفسي، ونِفسي أرتكب جريمة ومش لاقية غيرك في وشي، اتقي شرِّي الساعة دي أحسن لكِ!

(ظلال) تنتبه لأختها بجدية: في إيه يا سوسو؟ مالك؟ أول مرة أشوفك كده.

لترتمي على فراشها وتنفجر باكية، فذهبت إليها أختها وربتت على كتفها وأقامتها: في إيه؟ أول مرة أشوفك كده! أحمد عمل لك حاجة؟

فارتمت بأحضان أختها: بابا قرأ فاتحتي على أحمد البارد مع خالي، وبدون حتى ما يسألني رأيك إيه في الجوازة المهببة دي! تقوليش هو اللي هيجوز مش أنا.

فحاولت أختها تهدئتها: يا ستي دي قراءة فاتحة، هو جوزهولك! والله الواد كويس ومحترم وبيحبك، ما تجربي يمكن تحبيه، ولو محبيتيهوش قولي مش موافقة، اخترعي أي حجة، يمكن يطلع بخيل ولا أي عيب فيه، وساعتها محدش هيقول لك لا.

(إسراء): ازاي يعني؟! هو في كده! بهيمة مليش رأي! ازاي بابا يمحيني كده وأكني مش موجودة، ده كله عشان يرد الجميل لخالي على اللي عمله معاه زمان، يقوم يضحي بيا؟!

(ظلال): وليه متقوليش إنه واثق في تربية أحمد وإنه راجل هيحافظ عليكِ، ولو لقاه عكس كده أكيد مش هيوافق تكملوا.

فاقتنعت برأي أختها: تفتكري كده؟ ممكن بابا يرفض يكمل الجوازة لو أنا قلت له مش عاوزاه؟

(ظلال) لتهدئتها: أكيد طبعًا حبيبتي، بابا غرضه مصلحتنا.

(إسراء) تباغتها: يعني لو رفض حمزة، هتعملي إيه؟

ففزعت (ظلال): تفي من بقك، لأ، إن شاء الله يوافق، بس لو رفض هعمل إيه يعني، أنا مسلماها لله، واللي عاوزه ربنا هيكون، عمري ما اعترضت على قضائه

وهو دايمًا بيعمل لي الخير.
فاحتضنتها أختها: أكيد حبيبتي، إنتِ تستاهلي كل خير، وآسفة إني انفعلت عليكِ، ربنا يخليكِ ليا.
فاحتضنتها (ظلال): ويخليكِ ليا حبيبتي.
فدخلت الأم في هذا الوضع: ربنا يشفي! في إيه؟ طقم الحنية اللي على غفلة ده، ما كنت سامعة زعيق من شوية.
فقامت (إسراء) أمام والدتها: يعني يرضي مين ده اللي عمله بابا؟! ازاي يوافق من غير ما يستشيرني؟! هو مين هيجوز!
فكتمت الأم فم (إسراء): اتلمي يا بت بدل ما أبوكِ ييجي يرنك علقة، إنتِ عاوزة تكسري كلامه وتصغريه قدام الرجالة؟! هو خالك حرجُه ومقدرش يفلفص، وده كلام رجالة.
(إسراء) بتعجب: بس كان استنى يقول لهم هاخد رأي الجاموسة اللي هتتجوز، مش ساحبني زي الدبيحة للمدبح.
الأم: أما إنتِ عليكِ تشبيهات! إيه الزريبة اللي دخلتها دي، بهيمة وجاموسة! روحي يا بت نامي مش فايقة لك، وإياكِ الكلام ده تقوليه لأبوكِ، هو مخه صعيدي ولما بيتربس يلا السلامة، خلينا عايشين في سلام يا بنتي، إنتِ مش عارفة أبوكِ يعني، بدل ما تخليه يحلف بالطلاق، وإنتِ عارفاه.
فرأفت بحال أمها: حاضر يا ماما، مش هتكلم.
وذهبت إلى فراشها تتدثر، وأغلقت الأم الأضواء وتركت الفتاتين نائمتين لا تدري كل واحدة منهما كيف سيكون مصيرها.
وفي الصباح، كادت (ظلال) تخرج، ليستوقفها والدها: أنا هكلم حمزة النهارده ونشوف الموضوع هيرسى على إيه.
فأومأت برأسها وخرجت.
أما (إسراء) فقد حاولت تجاهل نظرات والدها إليها وخرجت مسرعة، لتقابل (أحمد) وهي لا تطيق النظر إليه.
فنظر إليها: طب قولي صباح الخير حتى!
فنظرت إليه: ممكن متتكلمش معايا خالص.

(أحمد) باستفهام: طب ليه طاا!! ده احنا اتقرأت فاتحتنا رسمي.
فجزت على أسنانها: يعني إنتَ عارف إني مش طايقاك ورايح تتقدم لي يا بارد!
فاقترب منها: إذا كنت بسمح لك زمان تتكلمي على مزاجك، دلوقت في حدود متتخطيهاش، عشان هبقى زوجك ولازم تحترمي زوجك يا آنسة يا مهذبة.
فحاولت التحدث: زوج مين؟! إنتَ...
ولم تكمل: أنا لسه مخلصتش كلامي.
وبصوت حاد لتتوقف عن الكلام: أنا لو مش واثق إنك هتحبيني مكنتش خطيت الخطوة دي، ثم إنتِ إيه اللي مش عاجبك فيا، ولا عاوزة واد فافي سيس من بتوع اليومين دول اللي مسقطين بنطالوناتهم؟!
(إسراء): لأ طبعًا، مش عاوزة من دول، بس أنا مبحبكش.
(أحمد): وإنتِ تعرفيني منين عشان تحبيني؟!
(إسراء): أهو إنتَ اللي قلت، أعرفك منين عشان أحبك؟!
فمال عليها وهمس بأذنها: يبقي لازم تعرفيني الأول!
وتركها وذهب.
لتضرب كفًّا على كف: والله ما شوفت برود أكتر من كده! الواد ده هيجيب لي جلطة وأنا في عز شبابي، أمال لو اتجوزته، هيجيب لي شلل رباعي؟! منك لله يا بابا عاللي عملته فيا.
لتدخل محاضرتها، وتجد آخر غير (كمال).
فمالت على صديقتها: أمال فين كمال؟
فأجابتها: عقبال عندك كانت خطوبته امبارح، وشكله خربها ومقدرش يقوم الصبح ونام قتيل، ودخل البيه بداله.
لتصدم صدمة عمرها، فقد أصبحت كالإسفنج تتلقى الصدمات وتمتصها، لتنظر إليها صديقتها: مالك؟ لهو إنتِ كان عندك أمل فيه لسه؟!
(إسراء) بنفي وبحزن: لأ، بس أنا كمان اتقرأت فاتحتي امبارح.
فصُدمت صديقتها ووبختها: يا جبانة، ومتقوليش!
(إسراء): مش لما أعرف أنا الأول.
فأجابتها صديقتها بسخرية: إيه فزورة؟!

(إسراء): آه، أبويا عملها لي مفاجأة.
فمالت عليها: ومين سعيد الحظ؟ عأحمد؟
فضحكت على أسلوب صاحبتها: أيوه يا اختي، ومقابلني الصبح يديني كورس في الأخلاق والزوجة الصالحة.
فمالت عليها صديقتها: لأ مينفعش بالهمس كده، بعد الهبابة دي نروح الكافيتريا نرزع لنا سنكوتشين نتقوِّت بيهم وتقولي لي ما عندك، كلي آذان صاغية.
لتصحَبها وتقص عليها ما حدث.
فردت صديقتها: والله الولد ده كويس وبيحبك وشاريكي، واحدة تقول لخطيبها بارد! كويس إنه مألافكيش جوزين أقلام يعدلوكِ.
(إسراء): مين ده! والله كنت صوَّتت ولميت عليه أمه لا إله إلا الله وقلت بيتحرش بيا وعجنوه وطحنوه.
فضحكت صديقتها: قادرة وقوية ومفترية! جايبة القوة دي منين يا بت؟! ده إنتِ شبر واقطع، ده أنا اللي طول بعرض لو قال لي كلمة بس هطُب ساكتة، يدي الحلق للي بلا ودان!
(إسراء): أقلعهولك يا حبيبتي، والفردتين كمان.
فأجابتها صديقتها: مع الأسف، القلب وما يريد!
لتستأذنها (إسراء): أنا ماشيه بقى لحسن حمزة جاي اليوم، وهشوف لو ماما عاوزة حاجة أجيبها أو أعملها، لأن ظلال إيدها في المية الباردة وكل حاجة دروس دروس.

***

أما (ظلال)، فأنهت دروسها لتجد (حمزة) منتظرها ليصطحبها معه إلى بيتها لأن أباها أخبره أنه سينتظره اليوم، فذهبت معه بعد محايلة خوفًا من أن يراهما أحد معًا.
ولكن (حمزة) أوضح لها أنه سيذهب معها إلى البيت، فما المشكلة، واقتنعت أخيرًا، ليذهبا معًا ويستقبلهما والدها وينظر إلى (ظلال) التي تجري إلى الداخل بسبب نظراته.
أما (حمزة) ففهم نظرات والدها: متلومهاش هي، والله ما كانت عاوزة ترجع

معايا، أنا اللي أصريت لأني جاي البيت، وعشان كده يا ريت نعمل الخطوبة عشان تبقى حاجة رسمي وتبطل الرعب اللي هي فيه، وساعات بتبقى متأخرة وأقول لها أعزمك مترضاش، فلو رسمي والناس عارفة هيبقى مفيش مشكلة.

ليبغاته والدها: بس هتبقى خطوبة من غير أهلك؟

(حمزة) بتلعثم: ما أنا قلت لحضرتك اللي فيها، وأكيد سألت وعرفت إن ظافر في ألمانيا ووالدي قعيد، وتأكدت من صدق كلامي، وإلا مكنتش بعت لي النهارده.

ليومئ (محمود) برأسه: فعلًا يا ابني، ومشوفتش حد اتكلم وحش في حقك، كل الناس شكرت فيك، خلاص يا ابني، على بركة الله، نتفق ونقرأ الفاتحة.

(حمزة): مش هنختلف، أنا عاوز ظلال بس، من غير شنطة هدومها، أنا شقتي جاهزة، واللي عاوزاه هجيبه، حتى لو عاوزة تغير العفش كله.

(محمود): لا يا ابني ده إنتَ قلت جايبه من بره، يبقى نقرأ الفاتحة.

(حمزة): طب والخطوبة؟

(محمود): أنا بقول تبقى عائلية هنا، والفرح يبقى في قاعة، عشان في دراسة لسه.

(حمزة) مجيبًا: وأنا تحت أمرك في أي شيء، ولو عاوزة الفستان والكوافير وكل شيء ييجيلها البيت، أنا مسئول عن كل شيء.

ففرح (محمود): خلاص اتفقنا، ونعمل خطوبة أختها كمان، حتى لو هيلبسوا الدبل.

(حمزة): وأنا هبعت الجواهرجي بتاع العيلة تنقي اللي عاوزاه، ولو طنط عاوزة حاجة تاخدها.

فجحظت عين الأم.

ليستطرد: ودبل أختها كمان هدية من عندي للعروسين.

(محمود) بنفي: لا يا ابني، ده كتير قوي!

(حمزة): مفيش حاجة تكتر على ظلال، أنا فعلًا بحبها وشاريها وبخاف عليها، وعمرك ما هتندم إنك اديتني بنتك، وبكرة تعرف.

(محمود) بتفهم: عارف يا ابني، سيماهم في وجوههم.

لتنهض الأم: يلا يا إسراء نجهز العشاء.
فاستحى (حمزة): مش كل مرة أتعبكم!
الأم: تعبك راحة يا حبيبي والله يا ابني، إنتَ محبتك زي ولادي بالضبط.
وانصرفت لتُفرِح أخاها بالخبر السار وتعد العشاء.
فماذا سيحدث بعد ذلك يا ترى؟

***

(١٣)

تركت الأم البنات يجهزن العشاء، وانطلقت تُفرِّح أخاها وتخبره أن (حمزة) يريد إهداء (إسراء) و(أحمد) الشبكة، ففرحَ أخوها بعد أن قصَّت عليه كل شيء، ليعلق الخط ويخبر (أحمد) ويفرحه.

ولكن رد فعل (أحمد) كان عكس التوقعات، فقد زفر بضيق: يعني إيه يهاديني بالشبكة؟! مستقل بيا!

وذهب إلى غرفته وهو يكاد يختنق وأغلق عليه الباب.

أما عند (ظلال)، بعد أن ذهب (حمزة)، جاءت (إسراء) تحدث والدتها: يعني إيه بالمرة أنا أتخطب مع ظلال؟! هو إنتم ليه مش عاوزين تفهموني، جوازة غصب ومستكترين عليا أقول رأيي في أي شيء! هو أنا مش بنتكم ولا جايبني من الملجأ، ليه مستكترين عليا الفرحة اللي بتتمناها كل بنت.

لتجلسها أمها بجانبها وتربت على كتفها: بصي يا ابنتي، مش هكدب عليكِ، أنا ما صدقت أحمد يتقدم لك، إنتِ حظك من الجمال مش زي أختك.

فنظرت إليها (إسراء) باستغراب: في إيه يا حاجة؟! شايفاني شمبانزي!

فتراجعت الأم: لا يا حبيبتي، بس جمالك مش اللي هو يجيب مليونير زي حمزة على بوزه، شوفتي إنتِ قربتي تخلصي معهد ولا حد سأل فيكِ، وأنا خايفة تعنسي زي بنت أبلتك فتحية، شايفة قربت على أربعين ولسه مجاش عدلها، وكانت بتتبغدد على ده وده في شبابها، ده أنا أكبر منها بشوية صغيرة ومعايا شباب، فأنا خايفة عليكِ يفوتك القطر يا حبيبتي، مش هستحملها.

(إسراء) بضيق: يا ماما ده نصيب، وهي نصيبها لسه مجاش، يعني كانت اتجوزت وخلفت واتطلقت وجات جرة عيالها؟!

أمها: كان يبقى أحسن بدل ما يقولوا عنست.

فنظرت إليها (إسراء) باستغراب: منطق عجيب!

ونهضت، لتجلسها أمها وتشدها من يدها: بقولك إيه، ابن خالك واد زي الفل، متطيريهوش من إيدك لهكون قاطمة رقبتك، إنتِ فاهمة؟!

فاستسلمت وبضيق: خلاص فاهمة.

وأخذت تتحدث بخفوت: سي زفت ده كمان اللي طالع لي في المقدر جديد.
وذهبت لتأوي إلى فراشها وتتمني لو حجرة (أحمد) يقع سقفها عليه وتتخلص منه نهائيًّا.
لتستيقظ في الصباح وتذهب إلى معهدها، ولكن يقابلها (أحمد) وهو واجم، فتستغرب من منظره، فيباغتها: أبوك فوق؟
فأومأت برأسها إيجابًا، فأشأر إليها برأسه وجذبها من ذراعها: طب قدامي نروح له.
فشدت ذراعها منه: في إيه؟! ما تروح له إنتَ، وأنا مالي؟! أنا هتأخر على المعهد.
فنهرها وسبَّ بالمعهد وتعصَّب، وحين وجدته في قمة غضبه استجابت له، ومشت معه توصله إلى أبيها، فهي لم ترَه هكذا من قبل.
وفتحت والدتها الباب: في إيه يا بت؟ رجعتي ليه؟
فوجدت (أحمد) خلفها، فرحبت به وأدخلته.
(أحمد) باستعجال: معلش يا عمتي، نادي عمي محمود عشان عندي شغل.
فذهبت المرأة على عجالة لتنادي زوجها.
أما (إسراء) فنظرت إليه: يعني إنتَ مستعجل عشان الشغل وأنا طظ في المعهد؟!
(أحمد) ينظر إليها: لأن الشغل ده اللي هيأكلنا، أما معهدك ده ميلزمنيش، ومتعفرتينيش أكتر منا متعفرت، عشان أما بأتضايق مبعرفش بقول إيه!
وجاء الأب ورحب به: خير يا ابني؟ فيه إيه؟
(أحمد): يعني إيه خطيب ظلال عاوز يهادينا بالشبكة؟! مفكر اشترانا بفلوسه وأنا فوق البيعة؟! وازاي متردش عليه وتقول له أحمد عمره ما يقبل كده؟! شوف يا عمي، أنا آه لسه في بداية حياتي، ومغشيتكوش وعارفين إمكانياتي كويس، ولو أطول أجيب لها حتة من السما هجيبها، لكن أنا محكوم بإمكانياتي، ولازم مراتي تعيش على قدي وتراعي الكلام ده، ولو إمكانياتي دبلة صفيح، أنا شاريها من حر مالي، تلبسها وهي مبسوطة بيها أكتر من دهب تلبسه وأنا مش تعبان فيه، أنا بقدركم جدًّا يا عمي، بس إنتم رخصتوني قدامه جدًّا!
(محمود) وهو ينظر إليه بفخر: فعلًا أبوك ربَّى راجل، ويا ابني لا رخصناك

ولا شيء، الراجل عرض كتر خيره، واحنا قلنا له لأ، ودي حاجة براحتكم، تقبلوا ترفضوا محدش هيغصبكم، متضايقش نفسك كده وتاخد كل حاجة على أعصابك، وربنا يتمم لكم بخير يا ابني.

(أحمد) يستطرد: وأنا كنت عامل جمعية وقبضتها، وهجيب بيها الدبل، وإن شاء الله ربنا هيرزقني وأجيب لها كل حاجة.

واستأذن، وهي نزلت أيضًا لتلحق معهدها.

وتنظر إليه: كل الغاغة دي عشان كده! أقرع ونزهي.

ليجذبها من ذراعها على السلم: لما تكلمي خطيبك يبقى باحترام أكتر من كده، ولو أهلك معلموكيش، أعلمك أنا.

وترك ذراعها بقوة وأكمل الدرج بسرعة، لتمسك مكان قبضته وتتأفف: يا رب تموت!

ذهبت إلى المعهد وقابلت (مروة) صديقتها: إيه يا بت، نموسيِّتك فُحلقي.

(إسراء) وتمسك ذراعها: سيبيني في حالي، كفاية اللي أنا فيه.

(مروة) باستغراب: ماسكة دراعك ليه؟ حادثة؟

(إسراء) بسخرية: اااه، عدى عليا قطر الصعيد.

(مروة) باستهزاء: وإيه اللي ودَّاكِ لقطر الصعيد؟!

(إسراء) تضحك: هو جالي لحد البيت!

لتتعجب (مروة): هو صنف المدعوق الحشيش اللي بتشربيه اليومين دول اسمه إيه؟ عاوزة أجربه، أصله صنف عالي قوي.

(إسراء): اتريقي يا اختي اتريقي، اسمه أحمد.

فتهيم (مروة) وتشبك يديها: اااااه! الحب كله.

واستفاقت: عمل إيه أبو زيد الهلالي خليفة؟

فضحكت (إسراء): الاتنين سوا! هو يا أبو زيد الهلالي يا الزناتي خليفة، ده شخص وده شخص تاني.

فأجابت (مروة): هو اتنين في واحد، شامبو وبلسم مع بعض، المهم انجزي، ورانا محاضرة.

فقصت لها ما حدث، فازداد إعجابها به: راجل يا واد، والله خسارة فيكِ، ما

تجيبيه وحطيه في قفص نتفرج بس وممنوع اللمس، والله مش هعمل فيه حاجة.
فضحكت (إسراء) على أسلوب صديقتها: إنتِ عمرك ما تبقي جد أبدًا!
(مروة): ده أنا أكِش لو بقيت جد!

***

أرسل (حمزة) الجواهرجيَّ الخاص بالعائلة إلى (ظلال) لتختار ما يحلو لها، وطبعًا، أبى (أحمد) أن يأخذ أي شيءٍ على سبيل الهدية، واعترض بشدة ولم يُثنيه أحد عن قراره، وأخذ (إسراء) ووالدته ووالدتها لتختار دبلةً خفيفةً وخاتمًا يناسبان إمكانياته، وتفهم الجميع الوضع، ما عدا (إسراء) التي تفعل ما يُطلَب منها على مَضَض، وذهبت مع والدتها لتؤجر فستانًا ولوازم الخِطبة.
أما (ظلال)، فقد أخذها (حمزة) في وقتٍ آخر مع والدتها لتشتري ما يحلو لها، وكانت في قمة سعادتها.
وجاء الموعد المحدد للخِطبة بالمنزل، فقد فضَّلوا أن تكون عائليةً لأن الفتاتين ما زالتا في فترة الدراسة، وأتى (حمزة) بمفرده، أما (أحمد) فجاء ومعه عائلته، وتمت الخطبة واستمتعوا.
واقترح (حمزة) أن يعزم (إسراء) و(أحمد) و(ظلال) لإكمال الحفل في مطعم فاخر، فوافق (أحمد) على مضض، وفي أثناء وجودهم بالسيارة اقترح (حمزة) أن ينزل الجميع على الكورنيش بعض الشيء.
وفي أثناء سير كل ثنائي بجهة..
(أحمد) يحدث (إسراء): أنا عارف إنك متعرفينيش ولا اتعاملتي معايا، بس أنا واثق إنك لما تعاشريني هتفهميني وتحبيني.
فنظرت إليه بضيق: وإنتَ واثق كده ليه؟
فأمسكَ ياقة قميصة بثقة: قدرات يا بنتي، إش فهمك إنتِ!
فنَحَت نظرها عنه إلى الجانب الآخر ونظرت إلى النيل، ليجدها تحتضن نفسها من البرد، فخلع جاكيت البدلة ليضعه على كتفها، فرفضت بشدة ونهرته: مش عاوزة!
ليعنفها: إنتِ بترتعشي، بلاش عِند في كل حاجة.

أما (ظلال)، ففستانها له كاب وضعه (حمزة) لها قبل النزول، وفي أثناء مرور بعض الشباب أمام (إسراء) و(أحمد).

شاب يستظرف: ما تسيب لنا المُزَّة ساعة ونمنجهك.

ليستشيط (أحمد) ويناوله بوكسًا يوقعه، فيأتي الآخران، ولكن (حمزة) يأتي مسرعًا ويساعد (أحمد) ويجري الشباب من أمامهم، فتنظر له (إسراء) بضيق: لازم تتهور يعني! عجبك الفضايح دي! هو الكلام بيلزق؟! ما هو كان ماشي وخلاص.

فجحظت عيناه: ليه؟! ماشية مع سوسن! تسمحي لما أعمل حاجة متعقبيش عليها تاني!

وبعدها ذهبوا إلى مطعم، و(إسراء) و(أحمد) في قمة غضبهما، أما (حمزة) فيلاطف (ظلال) ويتحدث معها وكأنه لا يوجد بالكون غيرهما، ليري من بعيد (بنان) قادمة.

فيقوم: مش كفاية كده؟ اسبقوني على العربية وأنا هحصلكم.

فاستغرب الجميع موقفه، ولكن لم يُعقِّب أحد.

وبالفعل، دفع الفاتورة وانصرف قبل أن تراه (بنان)، حتى لا تقول لوالده وينكشف الأمر قبل أن يتم.

فماذا سيحدث؟ وهل رأته (بنان) أم لم ترَه؟

***

(١٤)

لمحَت (بنان) (حمزة) وهو يطير مسرعًا من المطعم، فحاولت أن تنادي عليه فلم يستجِب، ولكنها استغربت مجيئه، فهي تعلم أنه من العمل إلى الفيلا ولا يذهب إلى أي مكان، ولكنها ظنت أنه ربما تأخر به الوقت وكان جائعًا فجاء إلى هنا، ولم تأخذ الموضوع بعين الاعتبار، إذ كانت معها صديقاتها يلهينها.

أما هو، فحمد ربه أنها لم ترَه مع (ظلال) وتفضحه أمام العائلة، فلو تطرَّق الخبر إلى مسامع الأب ربما عنفه وحتَّم عليه إلغاء الزيجة، فهو لا يريد أن يعرف أحد حتى تتم الزيجة على خير، فلن يقبل التنازل عن (ظلال) بهذه السهولة.

وأخذ الجميع بسيارته وذهب لإيصالهم إلى المنزل، ثم رجع هو إلى والده يطمئن عليه ويخبره بحال العمل ككل يوم، ليشعره أنه معه خطوة بخطوة ويستشيره في بعض المواقف والأشياء التي تقابله في العمل.

أما (بنان)، فقد رجعت متأخرة وكان قد نام، لتدخل فتتجادل مع أخت (حمزة) الصغرى وتتذكر وجود (حمزة) بالمطعم وتخبرها، لتستغرب وجوده ليلًا بمطعم، ربما في الغداء ولكن ليلًا، لماذا؟! وليس معه وفد للعمل! ولكنهما نسيَتا الموضوع وتسامرتا معًا.

***

أصبح (حمزة) ينتظر (ظلال) إن كان الوقت متأخرًا، ويعزمها على العشاء أحيانًا، ويذهب أحيانًا أخرى عندهم فيجلس بضعًا من الوقت مع أسرتها، وكذلك (أحمد)، أحيانًا يأتي ولكنه لا يجِد وجهًا يسُرُّه من (إسراء).

وفي إحدى المرات، تصادف وجود (حمزة) و(أحمد) في الوقت نفسه، ليسأل (حمزة) (أحمد) عن عمله وتخصصه.

فيجيب (أحمد): أنا مسيبتش كورسات ولا دورات إلا كنت راشق فيها، وبقيت أحسن من أي خبير أجنبي، وأقدر بعون الله أعمل أجدع سيستم لأكبر شركة، بس بلدنا بقى مش بتاعة تخصصات ومبتديناش حقنا.

فانتبه (حمزة): طب ليه محاولتش تشتغل في مجالك ده في أي شركة كبيرة

وتعرض دوراتك وكورساتك؟
(أحمد): أصلي غاوي فقر بعيد عنك! ما أكيد روحت، بس بيبصوا لمنظري ويرفضوا، قلت مبدهاش، أي حاجة تقضي الغرض.
(حمزة) بجدية: طب ما تيجي تشتغل معايا.
(أحمد) بسرعة: متشكر جدًّا، أنا مرتاح كده.
وجاءت (ظلال)، فقد كانت بالداخل، أما (إسراء) فتتابع الحديث، لتنهره فيما بينهما: تصدق إنك فقري فعلا! الراجل عارض عليك وظيفة لما عرف قيمتك، هو هيجَبِّي عليك! ما هو مش هيديك إلا لو اشتغلت.
(أحمد) باعتزاز: لأ، كرامتي فوق كل اعتبار.
(إسراء): يا ابني دي فرصة عمرك، تثبت نفسك وفي مجالك، لو زي ما بتقول متمكن قوي وتعمل اللي ما يعمل، على فكرة أنا مش بكلمك عشان خطيبتك، لو أي حد كنت هنصحه كده، دي فرصه متتكرش.
(أحمد): يعني رأيك عشان الكورسات وكده عرض عليا الشغل، مش مساعدة يعني؟
(إسراء): يا ابني افهم، الناس اللي زي دي لو مأخدتش من وراك تُقلَك دهب مش هتشغَّلك، ده الدقيقة بفلوس عندهم.
(أحمد) بتعفف: لا أنا أتحرج!
فذهبت (إسراء) إلى (حمزة): معاك كارت يا حمزة؟ عشان لما أحمد ييجي لك ميستناش وكده ويدخلوه.
فقال (حمزة): قوي قوي.
وأخرجه من سترته وأعطاها إياه، لتذهب إلى (أحمد): اتفضل.
لينهرها: ليه عملتي كده؟! يقول ما صدق!
(إسراء) بغيظ: يقول اللي يقوله، الحق عليا، قلت أعمل فيك جميلة، خيرًا تعمل شرًّا تلقى!
وانتهت الجلسة وذهب كلٌّ إلى حاله.
ليعرِض (أحمد) الأمر على أسرته، فيستحسن والده ووالدته ما فعلته (إسراء): واللهِ خير ما فعلت.

هكذا قال الأب، أما الأم فقالت: والله البت دي طلعت جدعة، روح يا ابني وربنا يبارك لك، يمكن تكون فاتحة خير ووش البت إسراء حلو عليك.
فاستسلم (أحمد) لما قالاه: خلاص، أنا بكرة هروح شغلي أستأذن وأطلع على شركة حمزة.
ونام يفكر؛ هل فعلًا ما فعلته (إسراء) عين الصواب كما قالا أم سيَنظُر إليه (حمزة) أنه انتهازي؟ ولكنه استسلم للنوم ورمى أحماله على الله.
ليذهب في الصباح الباكر ويجد (إسراء) تخرج كعادتها مسرعة، فيعترض طريقها دون أن تأخذ بالها، فتلتفت إلى مَن يقول صباح الخير.
وتنظر إليه قائلةً باقتضاب: صباح النور.
وتهم بالسير، ليجذبها من ذراعها ويستوقفها ويهرش بأصابعه في رأسه: على فكرة أنا هروح أستأذن من الشغل وأروح لحمزة.
فنظرت إليه نظرة خاطفة وتحدثت على عجل: أوك، بالتوفيق.
وذهبت مسرعةً من أمامه، ليتعجب ويضرب كفًا على كفٍّ من تصرفاتها، ثم يذهب إلى شركة (حمزة) ليعطي السكرتيرة الكارت، فأدخلته فورًا كما نبَّه (حمزة) عليها.
دخل (أحمد) وكان (حمزة) معه (كمال) المحامي صديقه ويعمل معه بالشركة، ليقوم (حمزة) لتحية (أحمد) ويعرفه بـ(كمال).
ثم يستأذن (كمال): خلاص، زي ما اتفقنا بقى.
(حمزة) بتفهم: أوك خلاص.
ويجلس (أحمد)، وقبل أن يتفوه ويعطي (حمزة) ملفه، قاطعه (حمزة): دي إجراءات تعيينك، ٥٠٠٠ ج في الشهر كبداية كويس، وإنتَ وشغلك معانا، كل ما تجتهد أكتر ورؤساءك يثنوا عليك، مرتبك هيزيد.
(أحمد) بخجل: بس ده كتير قوي!
(حمزة) بابتسامة: لا كتير ولا حاجة، روح استكمل إجراءات تعيينك وخد الورق معاك للسكرتارية، هتعرفك كل شيء والمكان اللي هتبقى فيه.
(أحمد) بتفهم: حاضر.
ثم ذهب مع السكرتيرة، والتي سلمته إلى آخر، وهذا إلى ذاك، ليصل إلى مكانه

وهو منبهر بهذا الصرح العملاق من الداخل، فلم يكن يتوقع أنه بهذا الحجم الضخم، وبدأ بالفعل عمله وتفهم نظام العمل، وقرر أن يستقيل من العمل الآخر، فلا داعي له الآن، فهذا ما سيوصله إلى أن يتزوج بأسرع وقت بدلًا من انتظار سنوات وسنوات ولا يعلم إذا ما كان سيستطيع تدبير أمره أم لا، أما الآن، ها قد أصبح كل شيء ميسرًا.

ليذهب إلى أهله: أخيرًا طاقة القدر اتفتحت لي! ده الشغل اللي كنت بتمناه فعلًا وفي مجال تخصصي وحاجات عالمية كمان، مش أي حاجة، أنا فرحان قوي!

والده: طب اشكر خطيبتك، هي السبب.

(أحمد) بتفهم: فعلًا، لولا اللي عملته كنت طيَّرت كل ده مني، أنا هجيب لها هدية وأروح أبشرها وأشكرها لأني كنت قليل الذوق معاها شوية.

الأم: ماشي يا عنيا، ما هي لها الهدايا والشكر.

فقبَّل يدها: وإنتِ قبل الكل يا ست الكل.

فقبَّلته: تسلم يا حبيبي.

وذهب إلى (إسراء)، لتقابله ككل مرة، وتقف تسأله: تشرب إيه؟

فجذبها بجانبه: أنا آسف.

فنظرت إليه: على إيه؟!

فهرش برأسه: عشان كنت قليل الذوق شوية لما جبتي الكارت من حمزة وزعقت معاكِ، أنا آسف ومتشكر، اتفضلي.

(إسراء) تنظر إلى ما بيده: إيه ده؟

(أحمد): هدية بسيطة، وإن شاء الله مع أول مرتب هجيب لك حاجة كويسة.

(إسراء) تعطيها له: متشكرة، مش عاوزة حاجة.

فزفر بضيق: الله! أنا جبتها وخلاص، أولَّع فيها يعني!

(إسراء) بضيق: إنتَ حر، ارميها، ولع فيها، أنا مباخدش هدايا من حد.

(أحمد) باستغراب: هو أنا حد؟! أنا خطيبك يا هبلة!

(إسراء): متشتمش، أهو قلت، خطيبي، وإيه يعني خطيبي؟! أقبل منك بتاع إيه!

(أحمد) بتعجب: آه والله، ده أنا حيا الله خطيبك يا شيخة، معلش مكنتش واخد بالي والله، المرة الجاية هاخد بالي! ده أنا أستاهل ضرب الجزمة إني عبرتك والله!

فقامت، ليستأذن هو الآخر ويعطي الهدية لعمته: دي ليكِ يا جميلة عشان تتعطري لأونكل محمود كده.

فضربته في صدره: يوه! جاتك إيه يا أحمد! إنت رايح فين؟ ما تقعد.

ولكنه استأذن منها وذهب، ودخلت الأم إلى ابنتها وبيدها زجاجة العطر: إنتِ مش هتلاميها بقى؟!

لتأخذ (ظلال) الزجاجة وتفتحها: الله! ريحتها حلوة جدًّا! جبتيها منين يا ماما؟ بابا جابها لك؟

فنظرت الأم إلى (إسراء): اسألي المعدولة أختك.

(إسراء) بغيظ: أنا عاوزة أنام.

لتمشي الأم، فتنظر (ظلال) إلى أختها: في إيه؟

لتبكي (إسراء): مبطيقوش، أعمل إيه! حاجة غصب عني، دمه تقيل على قلبي، حتى وهو بيهزر مش متقبلاه، حاسة إنه مفروض عليا، مخنوقة! يمكن لو كان في فرصة للرفض أو القبول كنت حبيته، بس نظام الفرض اللي فرضوه عليا خلوني كرهته.

فأخذتها (ظلال) بحضنها: طب اهدي حبيبتي، ربنا يهديكِ ويصلح حالك، حاولي تدي له وتدي لنفسك فرصة، يمكن تحبيه، والله واد جدع ومحترم، حتى (حمزة) بيشكر فيه وفي أخلاقه.

(إسراء) بتفهم: عارفة ومتأكدة من كده، بس مش بالعاه، واقف في زوري بالعرض، مش هاضماه، مش متقبلاه كزوج، ممكن أخ، صديق... لكن زوج! لأ!

لتهدئها أختها.

***

انقضت الدراسة، وصمم (حمزة) على كتب الكتاب والزواج من (ظلال)، وأن تكمل دراستها معه، وسيتكفل بكل شيء ويأتي بالخدم لها والمدرسين إلى البيت،

أما عن أبيه، فقد قال إنه ذهب عند أخيه في رحلة علاج طويلة ربما لا يعود، وربما سيذهب (حمزة) و(ظلال) إليه زيارة في الخارج بعد الزواج، هكذا قال لهم (حمزة).

وأيضًا تحجَّج، إنه رجل معروف، وستكون الأضواء والصحافة عليه لو عمل فرحًا كبيرًا، لذلك فالفرح سيكون بقاعة عادية وليست بمكان فخم حتى لا يُفتَضح أمره، وقرر الأب كتب كتاب (إسراء) معهما أيضًا.

فماذا تخبئ لهم الأيام يا ترى؟

***

(١٥)

عندما تطرق إلى مسامع (إسراء) هذا الخبر التعيس، انفطر قلبها مرة أخرى، وذهبت مسرعة إلى والدها: هو أنا دايمًا فوق البيعة؟ ليه بتعاملوني كده؟! بالمرة مع ظلال نعمل لإسراء! إنتَ أكيد مش أب ولا يمكن تكون أبويا!

ليعطي لها كفًّا يوقعها أرضًا: هي حصَّلت يا بت تقولي لي أنا الكلام ده؟!

وينظر إلى زوجته: دي آخرة دلعك فيهم، بقى دي تربيتك يا هانم! جاية تقل أدبها على أبوها، طب قسمًا بالله لو كان معاه يدخل، لكنت دخلتك إنتِ كمان وخلصت منك ومن عارك! ماله أحمد يا بت؟! سايقة العوج عليه ليه؟! أنا ملاحظ ومتابع، مش أهبل وبريالة، وشايف دلعك عليه، والواد ساكت وشاريكِ، وإنتِ ولا طمران فيكِ وبتتبتري على النعمة إلى في إيدك.

وجذبها من يدها والشرر يتطاير من عينيه وينظر بعينيها: إنتِ تعرفي حد تاني يا فاجرة؟!

فتلعثمت وارتعدت أوصالها: لا والله ما أعرف حد، أنا... بس...

فقاطعها: يبقى تعملي اللي أنا شايفه في صالحك، البنات ملهاش الاعتراض، لحسن يمين بالله أكون جايب خبرك.

فأخذتها أمها بأحضانها وجذبتها منه: لا دي إسراء متقدرش تكسر كلمتك يا أبو فاروق، ده إنتَ الخير والبركة ومحدش له قول بعد قولك.

فتحدث بغضب: خلاص، غوروا من خلقتي، فورتوا دمي، عاوزة تصغرني قدام الناس بعد ما اتفقت، يقولوا عليا عيل وبريالة، أنا! عشان أبقى لبانة في بَق الناس ويقولوا عيل بيرجع في كلامه، غوروا من خلقتي!

قالها بصوتٍ أرعبهما وجعلهما تجريان كالفئران من أمامه، ليجلس على فراشه ويخرج غليونه لينفث فيه غضبه علَّه يهدأ بعد هذا التوتر المزعج الذي سببته ابنته له.

أما الأم، فأخذت ابنتها لتهدئ من روعها بعد تعنيف والدها لها، وأيضًا لتعلمها بخطئها بما تفوهت به مع أبيها بهذه الوقاحة، وأنها ربما لو طرحت فكرتها بأدب كان استجابَ لها، ولكن طريقتها زادت حالة الاحتقان بينهما، فاعتذرت

(إسراء) لوالدتها على طريقة الكلام هذه، وبررت هذا بحالتها النفسية، وأنها لا تحب (أحمد) وكأنه مفروض عليها، لتفهمها أمها أن الحب يأتي بعد الزواج بالعشرة الطيبة بين الزوجين، وأنها عندما تتعامل معه كزوج بعد زواجها ستفهم ما تقوله والدتها، لأنها تعلم تربية (أحمد)، فقد نشأ بقرية وتعلم بها الأخلاق الحميدة على يد أبيه، فهي تعلم تربية أخيها لـ(أحمد) جيدًا، غير (ياسر) تمامًا، لأن أخاها كان قد مرض وأهمل في تربية (ياسر)، أما (أحمد) فهو مَن يقف دائمًا بجانب أسرته ويتحمل المسؤلية، فالرجل بأخلاقه ونشأته السليمة ورعايته لأهله، فمن ليس به خيرٌ في أهله ليس به خيرٌ في أحد، فقد قال رسول الله: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».

لتهدأ (إسراء) بعض الشيء بعد حديثها مع والدتها، ولأنها لا تريد زيادة الأمر سوءًا، فقد رأت ما فعله أبوها، فقد كاد أن يقتلها.

***

ودخلت على أختها وعيناها حمراوان كأنهما كأسان من الدماء، لتفزع (ظلال) وتلقي بالمحمول الذي تحادث به (حمزة) : في إيه يا إسراء؟ مالك حبيبتي؟

(إسراء) لتطمئن أختها: مفيش حاجة، ده رمش دخل في عيني.

(ظلال) بتعجب: رمش إيه وزفت إيه؟! أنا سامعة زعيق أبوكِ بره معاكِ.

فألقت بنفسها على فراشها تبكي: محدش قادر يفهمني، أعمل إيه بس يا ربي؟! أنتحر وأخلصكم مني!

ليأتي بعدها يوم الفرح، والفتاتان عند الكوافير متزينتان بأحلى الثياب، ويأتي العريسان بسيارات تصطحبهما، والجميع يحسد الفتاتان على العريسان، فرغم جمال (ظلال)، فإن (حمزة) رجل مقتدر مليونير والجميع يتمنى مثله لأبنته أما (إسراء)، رغم أن (أحمد) فقير، فإنه طول بعرض وسيم ولديه شقة ووظيفة وتتمناه أي فتاة من الوسط نفسه، ويحسدون (إسراء) على نظره إليها وتفضيله إياها على غيرها رغم أن معه بالعمل أجمل منها بمراحل، ولكن القلب وما يريد، لا يملك من أمره شيئًا، لا يعرف لماذا هذه بالذات، هل لأنها لا تعطي له وجهًا؟! فأحيانًا القط يحب من يناكفه، أم سكنَ حبها قلبه من النظرة الأولى دون سابق إنذار؟!

وفي الحفل، كتب كتاب الأختين، واستمتع (حمزة) و(ظلال) بالرقص، أما (إسراء) فرفضت، وكان (أحمد) يرقص مع أصدقائه ويلاحظ (إسراء) وهي حزينة في الكوشة وتنظر إلى أختها السعيدة بزواجها من حبيبها (حمزة)، فيتنهد ويرجع يتناغم مع أصدقائه.

انقضى الحفل، وذهبت (إسراء) مع (أحمد) يوصلها إلى بيتها، وعلى الباب باغتها بقوله: مالك يا إسراء؟ حاسك مش سعيدة!

فكتمت دموعها: أنا... أبدًا، مش سعيدة ازاي، ده اليوم اللي بتتمناه كل بنت.

فنظر بعينيها: مش حاسك!

فنظرت إليه: ازاي بقى؟!

(أحمد) باستنكار: مش عارف، بس حاسس بحاجة غريبة فيكِ، أنا عارف إني مباجيش كتير، عشان الدراسة زي ما قلتِ وشغلي واخد وقتي وماتعرفناش كويس، بس لما تعرفيني أنا واثق هتحبينيز

فردت باقتضاب: إن شاء الله.

فنظر إليها بسبب ردها واستطرد: مش هتقولي لي اتفضل؟

(إسراء): محدش هنا، راحوا يوصلوا ظلال.

فهمس لها بأذنها: على فكرة أنا جوزك ولسه جايين من الفرح طازة.

فابتعدت: برضه، لسه يا دوب كتب كتاب.

فزفر: ماشي يا إسراء! اتفضلي واقفلي على نفسك على ما ييجوا، سلام.

وجرى على الدرج، أما (حمزة) فقد اصطحب (ظلال) إلى شقتهما بصحبة الأهل الذين ودعوهما، ثم تركوهما وتمنوا لهما مستقبلًا مشرقًا معًا.

ليحمل (حمزة) (ظلال) بطريقة فجائية، فتفزع وتقول: اخس عليك يا حمزة، خضتني!

فرد: سلامتك من الخضه يا قلبي.

وأنزلها بالداخل، ليحتضنها: يااااه يا ظلال، فاكرة الحضن ده لما جريتي عليا يوم الحادثة اللي اتعرفت عليكِ فيها؟

فنظرت إليه: فاكرة، معرفش عملت كده ازاي، بس حسيت ساعتها إنك إنتَ اللي قادر تحميني وإن أماني في حضنك إنتَ بس.

فرد عليها: وأنا كمان، كان أول مرة أحس إني مسئول عن حد بالشكل ده، وإنه مربوط فيا، بقيت مش عاوزك تسيبيني، ومن ساعتها قررت تبقي بتاعتي أنا بس، حتى لو هخطفك من أهلك لو مرضيوش بالجوازة دي.

فأُحرِجت ونظرت إلى الأسفل، فأقام وجهها بأصابعه: يلا بقى، اقلعي الفستان المنفوش ده، مش عارف أحضنك!

فجحظت عيناها: لا، أقلعه إيه؟!

فنظر إليها: أمال هتنامي بيه؟!

فقالت له: لا، اتديَّر يا اخويا.

فاستوعب ما تقول: اتديَّر وأخويا! الاتنين في جملة واحدة! ثم اتديَّر دي انقرضت من التلاتينات، عثرتي عليها في أنهي متحف دي؟! دي من الحفريات يا ظلال!

فضحكت على كلماته: خلاص لِف، بلاش اتديَّر.

فحدثها بخبث: خلاص، هقعد وأحط إيدي على وشي.

ففهمت ما يرمي إليه: لا يا اخويا، أنا مش هبلة، وتفتح صوابعك وتشوف!

فضحك على طريقتها العفوية الطفولية: خلاص، خشي الحمام أهو وغيري براحتك، بس متتأخريش.

وأعطاها قميص نوم، فأخذت تنظر وتقلب فيه وتجحظ عيناها: أنا ألبس ده؟! مش ممكن!

فنظر إليها: ليه مش جوزك؟! وأنا بقول لك اخرجي بيه! ده احنا في حجرة النوم!

فردت بخجل: لاااا أكسف!

فمثَّل أنه قد انتابه الضيق منها: وبعدين بقى، هنفضل على كده كتير؟! خشي غيري قلت.

فأخذته منه وجرَت مفزوعة من طريقته، ليضحك ويضرب كفًّا على كفٍّ مما تفعله به: هتجنني البت دي! أنا متجوز طفلة فعلًا، بس أعمل إيه، بحبها!

وارتدى ترنجه، ثم خرجت هي، فتحاول أن تشد من الأسفل فينزل من الأعلى، وترفع من الأعلى فيقصر من الأسفل!

لتقول له: لا، أنا هخش أغيره!

فجذبها وحملها: والله ماهو راجع!,وقبَّلها، لتغوص معه في هذه الدنيا الجديدة التي يصحبها فيها وهي عاجزة عن المقاومة، فقط سلَّمت نفسها لتياره، فسبحا معًا دون مقاومة.

ليذهب الجميع لرؤيتهما في اليوم التالي، ومعهم (إسراء) و(أحمد) الذي أحضر معه طبقًا من الشيكولاته للعروسين، وانفردت الأم بابنتها لتعلم منها التفاصيل وتطمئن عليها، فوجدت ابنتها في غاية السعادة، ودعَت لها وتمنَّت لأختها وأخيها السعادة أيضًا.

أما (أحمد)، فمال على (إسراء): عقبالنا أما ييجو يباركوا لنا زي حمزة وظلال. ففزعت ونظرت إليه دون رد، فعلم ما ترمي له نظرتها، وكأنها تتمنى عدم حدوث هذا اليوم وألا يكون قريبًا، فهي لا تقول وتتمنى أن يكون إحساسه خاطئًا ويكذب إحساسه، فإن لم تكن تريده، فلماذا لا تصرح بهذا، وكان سيتقبل الأمر أو يقنعها ويحاول أن تعطيه فرصة، فإن أبت فسيتكرها، ولكنها اكتفت بالنظر إليه وفقط، هذا ما تفعله ولا يفهم، أهي رافضة أم موافقة، ويتمنى أن تخيب ظنه.

ثم انصرف الجميع متمنيين لـ(ظلال) حياة سعيدة ولإخوتها أيضًا.

ماذا تتوقعون في الأحداث القادمة؟

***

(١٦)

انتظمت الحياة بين (ظلال) و(حمزة)، وتعوَّدت على أنه لا يبيت يوميًّا، فإما مسافر كما يقول لها، ليبيت في الفيلا مع والده كي لا تشعر بأي شيء، أو أنه منهمك في العمل إلى وقت متأخر ويبيت بشقته المجاورة لعمله كما يقول لوالده، فهكذا أقلم كذبته بين الطرفين كي لا يشعر أحد بكذبته.

حتى عاد يومًا ووجد (ظلال) بالحمام تتأوه، فجرى عليها ليسندها ووجدها تتهاوى بين ذراعيه ولا يعرف ما السبب، فحملها إلى الفراش.

وبقلق: مالك حبيبتي؟ فيكِ إيه؟

وحاول إفاقتها واستدعى الطبيب، فطمأنه عليها وأنها بخير، وأنه مجرد إغماء بسبب الحمل، ويجب عمل بعض الفحوصات والتحاليل للتأكد من سلامة الأمِّ والجنين.

فطار (حمزة) وكأنه يحلق بالسماء ويمسك النجوم بيديه، ليقود الطبيب إلى الخارج ويعود إليها يحتضنها: أخيرًا هبقى أب! أنا طاير من الفرحة والسعادة! وكأنه وجد غايته ومبتغاه، إذ إن هذا الطفل هو الوسيلة الوحيدة لكسب وِد أبيه وجعله يبارك هذه الزيجة، ويجب كتم الخبر حتى يولد هذا الطفل، فلا مجال للعودة بعدها.

ولكن ربما لو علم الآن يحاول إجهاضها ويرغمني على طلاقها، هكذا تلاحقت الأفكار في رأس (حمزة)، ولكن الآن هو سعيد وفرح بهذا الخبر ولا يريد أن يعكر صفوه أي شيء آخر.

ليجد من يهزه، وهي (ظلال): إيه يا حمزة؟ رُحت فين؟

فانتبه من شروده: لا يا حبيبتي هروح فين، أنا أقدر أروح في حتة والقمر معايا! أنا لا بد جنبك يا جميل، مش عاوز شقاوة وعفرتة، عندك الخدامين، ولو عاوزة غيرهم أجيب لك، وإنت تنام باشا في السرير متتحركش لحد ما يشرف ولي العهد، ده أنا منتظره على نار!

لتنظر إليه وتتأمله: بجد يا حمزة مبسوط إننا هنخلف؟

(حمزة) بتعجب: مبسوط! إلا مبسوط! مبسوط دي أقل شيء ممكن يتقال،

أنا هطير من الفرحة.
ثم تداركت ما قالته مسبقًا: أنام إيه وبتاع إيه، إنتَ ناسي إني داخلة ثانوية؟! ولا ناوي تقعدني في البيت ومأكملش زي ما وعدتني؟!
وأعلنت عن تكشيرة بوجهها، ليبتسم لها: لا حبيبتي، طبعًا أنا وعدتك، وكل المدرسين هييجوا لحد عندك، وأحسن ناس متخصصة كمان، وبدل الواحد عشرة لو عاوزة.
فضحكت: ليه يعني؟! هاخد الدكتوراه في الثانوية!
فضحك هو الآخر: خلاص، نخليهم تسعة.
وضحِكا معًا.

***

أما عند (إسراء)، فقد جاء (أحمد)، فهو قلما يأتي لضيق الوقت وعمله الذي يجتهد فيه لينول استحسان مرؤوسيه ويتدرج في السلم الوظيفي، وينول مرتبًا أكبر حتى يستطيع أن يتزوج في أقرب وقت، فهو يميت نفسه بالعمل.
ولكنه عندما يأتي إلى (إسراء) يتمنى أن يجدها تقابله بابتسامة تُعينه على تحمل المشاق بدلًا من تعنيفه دائمًا، ويتحمل لأنه يحبها، وهذه المرة كان أبوها وأخوها في العمل، وأمها نامت لأنها تشعر بالصداع، فاستقبلته (إسراء) كعادتها وأدخلته الصالون: على فكرة، بابا وفاروق مش هنا، وماما نايمة مصدعة.
فاقترب منها، لتبتعد: وده معناه إيه؟ أمشي يعني؟
فتلعثمت: لأ مأقصدش، بس ميصحش.
فاقترب أكثر: على فكرة أنا جوزك، وقريب جدًّا هتبقي في بيتي.
فجحظت عيناها ونظرت إليه بسبب وقع الكلمة عليها، ليلاحظ ذلك فيبتسم: إنتِ مفكرانا ده آخرنا ولا إيه؟! مش في دُخلة بعد كتب الكتاب ولا لغوها على أيامنا؟!
فحاولت أن تتفوه، ولكنها كالملجمة: هاااا أنا رايحة أعمل لك شاي.
لتحاول الهرب من أمامه، فيجذب يدها لترتطم بصدره، فتحاول الابتعاد فيُحكِم قبضته على خصرها، لتتململ منه: أحمد، مينفعش اللي بتعمله ده، سيبني لو سمحت.

فنظر بعينيها العسليتين وتأمل بشرتها البرونزية وحاول إسدال شعرها الكستنائي لون عينيها، وخلل أصابعه بشعرها، وهي تحاول التملص منه دون جدوى، ليُقبِّلها، فضربته على وجهه ثم أدركت ما فعلت، فأغمضت عينيها بشدة منتظرة ردَّ فعله، إذ تركها ورفع يده وكاد يبطش بها، ولكنه نظر إلى خوفها فأخفض يده وأغمض عينيه ليُهدِّئ نفسه، وتركها وانصرف.

لتفتح عينيها على صوت الباب الذي أُغلِق بقوة، وتتهاوي على الكرسي وتلوم نفسها: أنا إيه اللي عملته ده؟! لو قال لماما ولا بابا وعرفوا هيدبحوني! بس مأعتقدش يقول، هيقول لهم إيه؟! كنت ببوسها لطشتني بالقلم! هو اللي يستاهل، بيبوسني ليه، عشان يحرم يعملها تاني، جاته القرف سيِّب مفاصلي، بس اللي عملته ده صح ولا غلط؟! طبعًا صح، هو إيه اللي يخليه يعمل كده قليل الأدب ده!

انطلق (أحمد) إلى أهله وأحس الجميع بتغيره وأنه جاء بسرعة.

والدته: إيه يا ابني؟ ملقيتش حد؟

(أحمد) بتلعثم: هاااا أاه لاااااء، لقيت إسراء، بس عمتي كانت نايمة وعمي وابنه في الشغل، وأنا كنت تعبان من الشغل فسلمت ومشيت.

ودخل حجرته مسرعًا.

لتنظر المرأة إلى زوجها: الواد ده مش مريحني، حساه متغير وفي حاجة، كل ما يروح لبنت أختك ييجي بالشكل ده، الجوازة دي مش لادَّة عليا يا محمد.

(محمد): يا ستي احنا مالنا، هو اشتكى؟! أحمد راجل وفاهم ويعرف يدبر أموره كويس، ولو حس إنها مش مناسبة هيقول بنفسه، محدش مننا غصبه، هو اللي اختارها بنفسه، ولو مش مرتاح معاها هيقول إنه مش قادر يكمل، اخلعي إنتِ منها وهي تعمر وخليكِ في حالك، قومي حضري لنا لقمة، أنا جُعت.

الأم: حاضر يا اخويا، يقطعني.

وقامت تستند لتحاول الوصول إلى المطبخ لصنع الطعام وهي تتأوه من ركبتيها، لتعد العشاء وتنادي الجميع لتناوله، ولكن (أحمد) اعتذر عن العشاء، فلم تُرِد الأم التعقيب واكتفت بالنظر إلى زوجها، ليحيد ببصره عنها.

أما (ياسر)، فأخذ يسخر: أيوه بقى! ما هو جاي من عند المودام متغذي تمام.

فنهرته أمه: اتلم يا واد، والله ما إنت فاهم حاجة!
(ياسر) بهزار: العب! شغل الحماوات ابتدى، شوفي يا أم أحمد، المُزة بتاعتي تعامليها كويس وتحطيها في عنيكِ، مش هقبل شغل الحماوات ده معايا أبدًا، انسي.
فردت الأم: تعرف تتلهي إنتَ ومُزتك يا ساقط!
(ياسر) وهو يحاول تفادي والدته: طب ليه كده طاااا يا أم حمادة؟! ليه القسوة ليه؟! ده أنا بحبك، حتى اسألي أبو حمادة.
(محمد) لإنهاء الحديث: ولد، كُل وإنتَ ساكت، مش فايقين لك.
وبعد الانتهاء من تناول الطعام، قال له والده أن يحمل الطعام إلى الداخل لأن والدته مريضة ولا تستطيع السير إلا قليلا.
فنظر إلى والدته: حاضر يا ست الحبايب يا حبيبة.
فضحكت عليه: ماشي، يلا روح يا آخرة صبري.
أما (أحمد)، فيفكر فيما فعلته (إسراء)، أهو رفض لي أم أنها فتاة متحفظة بعض الشيء؟! ولكنني زوجها، لم أفعل معها شيئًا حرامًا أو يغضب الله، أهي تفهم الزواج والشرع خطأ؟! فأنا لم أحاول غير تقبيلها لإضفاء روح الألفة بيننا، فهي مجرد أشهر وتصبح زوجتي بالفعل وفي بيتي، ولا بد أن أكسر هذا الحاجز بيننا، ولكن لم أتوقع رد فعلها العنيف هذا، وهذا ما يقلقني، فهل أتركها ولا أذهب إليها لتأديبها وعقابًا لها حتى تشعر بالجرم الذي فعلته بحقي أم سيكون هذا وِفقَ هواها وترتاح مني؟ سأنتظر فترةً ولن أذهب، علَّها تشعر أنني تضايقت مما تفعله معي وحتى تُغيِّر طريقتها هذه.
وبالفعل، نفذ ذلك ولم يذهب هناك حتى تجاوز الشهر، و(إسراء) لم تتحدث إليه لتسأله عن عدم قدومه، وكأنها لا تشعر بغيابه.
ولكن والدتها هي من شعرت بذلك، لتستدعيها وتستجوبها وكأنه تحقيق: اجلسي يا إسراء، أحمد مبيجيش ليه؟ إنتِ زعلتيه؟ ده بقاله أكتر من شهر، عمره ما عملها!
(إسراء) بتمويه: تلاقيه مشغول في الشغل بتاعه، ما إنتِ عارفة، واكل كل وقته.

الأم: ما هو واكل وقته على طول، بس بييجي يشقر، مش يقطع رجله خالص! أكيد عملتي له حاجة!

(إسراء) بضيق: هعمل له إيه يعني؟! هو شغل.

الأم: طب تتصلي بيه ييجي يتغدى معانا؟

(إسراء) تزفر: وده وقته؟! مين هيقعد يعمل في الأكل؟!

الأم: إنتِ اللي هتعمليه، واتصلي حالًا بلغيه.

فماذا ستفعل (إسراء) في هذه الورطة؟

فقد ارتاحت هذه الفترة منه، لمَ تريد والدتها إرجاع المياه إلى مجاريها؟

وما رد فعل (أحمد) عليها؟

***

(١٧)

اتصلت (إسراء) بـ(أحمد) مجبرة، فلا خيار لديها، حتى لا تشعر والدتها بجرم ما فعلت به وتعنفها، وعندما رأى اسمها ينير الهاتف تهللت أساريره من فرط الفرحة، ولكنه تدارك نفسه حتى لا يظهر لها، وحاول أن يرسم الجدية على وجهه وهو يتحدث إليها.

لتقول: السلام عليكم.

فيرد عليها السلام بجدية، ويستطرد: إنتِ لسه فاكرة إن ليكِ زوج وجاية تسألي؟!

(إسراء) حتى لا تظهر شيئًا أمام والدتها: دي ماما فكرت إنك زعلان ومش مصدقة إنك مشغول ومصممة أتصل بيك أعزمك على الغدا.

ففهم الموقف، واستعاد حزنه لأنه تصور أنها هي من شعرت به أخيرًا وأدركت خطأها وحاولت إصلاح ما فعلت.

فأومأ برأسه: اااه، يعني عمتي اللي قالت لك؟

فأجابت مسرعة: اااه طبعًا، أمال إنتَ فاكر إيه؟!

فأجاب: لا معلش، قولي لها مشغول.

فتحدثت (إسراء) بسرعة لوالدتها: أهو شوفتي؟ بيقول لك مشغول.

فخطفت الأم الهاتف من يد ابنتها: والله لو ما جيت لأزعل منك!

(أحمد) باستسلام: وأنا مقدرش على زعلك يا عمتي، بس اعفيني من الأكل، هاجي أبص عليكم وأمشي.

فأصرت الأم ولكنه أجابها: إنتِ عارفة أمي وأبويا بعافية وبيبقوا لوحدهم، وبحب أتناول معاهم الطعام وأساعدهم.

فتفهمت الأم موقفه: طب يا ابني بس متقطعش بيننا كده، هو أنا مش زي أمك ومن حقي أطمن عليك؟!

(أحمد): طبعًا يا عمتي، إنتِ غالية عندي جدًّا، وهاجي لك حاضر بعد الشغل.

وبالفعل، بعد انتهاء عمله ذهب إلى عمته، ففتحت (إسراء)، وبعد السلام:

اتفضل، أمي جوه في الصالون.
فدخل وقبَّل يدها فاحتضنته: ده إنتَ يا واد غلاوتك من غلاوة فاروق وأكتر.
وجلس وجلست (إسراء) بجانبه، ولم ينظر إليها، بل وجَّه نظره إلى عمته، فهو قادم من أجلها وفقط، حتى أن (إسراء) سألته أن تعد له العصير، لكنه لم يلتفت لها أو يجيب عليها، فسكتت.
ظل يحادث عمته واستأذن وانصرف دون النظر لـ(إسراء) أو السؤال عنها، وأحست الأم بشيءٍ بينهما ولكنهما لا يفصحان عنه، وهو يتعمد أن يشعرها بجرم ما فعلت معه وأن تشعر به، فهذه هي طريقته في الوصول إلى ذلك، فهل سينجح؟
وذهب إلى أهله وأحست والدته بالوجوم على وجهه، فسألته: مالك يا أحمد؟ واتأخرت ليه؟
(أحمد) يُطمئنها: أبدًا يا أمي، رُحت بصيت على عمتي.
أمه وتعوج فمها: عمتك االاه، طيب!
فحاول التمويه: أكلتي بقى ولا مستنياني؟ والله ما رضيت أتغدى من غيرك.
وقبَّل يدها، لتُقبله: وأنا أقدر آكلها من غيرك ولا تبقى ليها طعم! خُش غيَّر وأنا هحضَّر الأكل.
(أحمد) بجدية: لاا يا عسل، إنتَ تقعد باشا والأكل ييجي لك لحد عندك، أنا هغير وأدخل أحضره.
أمه: لا يا حبيبي، إنتَ لسه جاي تعبان.
(أحمد) بابتسامة: قولي لي إنك خايفة أحرقه، متخافيش.
ودخل ليخلع ملابسه وينطلق إلى المطبخ، فهو يعلم أن والدته تعاني من ألم المفاصل ولا تستطيع النهوض لوقتٍ طويل، وليس لديها ابنة تساعدها، و(ياسر) يرهقها أكثر وعبئ عليها.
وبالفعل، أحضر الطعام وتناول معهم ولم يُظهِر شيئًا بل استطرد: أنا الحمد لله دخلي من الشركة بقى كبير، وعملت جمعيات وبقى معايا مبلغ أقدر أجيب العفش، وحبيت أقول لكم قبل ما أبلغ عمي محمود، عشان نشتري العفش ونقدم الزواج، طالما ربنا كرمني مفيش داعي للتأخير.

أبوه بفرح: على بركة الله يا حبيبي.
أمه تدعو له: ربنا يوسع رزقك يا ابني وييسر لك حالك.
فقبل يدها: فعلًا يا أمي، محتاج دعوتك دي.
ودخل ليفكر، هل قراره صحيح؟ هل هذه الزيجة موفقة؟ هو يحبها ويحس بمشاعر تجاهها لم يحسها مع إحداهن من قبل منذ أن رآها، وربما تجاهلها وعدم مبادلته المشاعر هما السبب في تمسكه بها، ولكنه أحس يوم أن حاول تقبيلها أنها تحس به، ولكن يوجد سد منيع يحجبها عنه، وهو يحب المغامرة والمخاطرة ويريد عبور هذا السد واجتيازه والوصول إلى قلبها، ولكنه يخشى أن يكون تقديره خاطئًا للأمور وتستمر هكذا معه حتى بعد الزواج، ولكنه نفض هذه الفكرة عنه، كلا، ستحبني رغمًا عنها!
وذهب إلى عمه (محمود) يتفق معه للذهاب لاختيار الأثاث، فرحَّب الرجل وبارك، فأثاثها موجود وأجهزتها، ويتبقى أثاثه هو، واتفقوا على يوم يذهبوا فيه جميعًا، فأصبحت أمه وأمها تسيران تتفرجان وهو وهي خلفهما.
كانت الفرحة تغمر الأمهات، أما (إسراء) فلا تشعر بالبهجة ولا حتى تريد الاشتراك بالاختيار، وكأنه ليس أثاثها، فتضايق (أحمد) ولم يُفصِح، وبدأوا التجهيز للزفاف، وبالفعل تم الزفاف وحضرت (ظلال) وهي حامل وتكاد تنفجر ومعها (حمزة)، وأخذ العريس عروسه ودخلا شقتهما.
ليحاول الاقتراب منها، فتنتفض، فيغمض عينيه: متخافيش يا إسراء، مش هعمل لك حاجة، إنتِ هنا معززة مكرمة لحد ما تحسي بالألفة معايا ومش هضغط عليكِ.
فنظرت إليه باستغراب وارتدت قميصها وتدثرت بالغطاء في آخر الفراش، لينظر إليها وينام على الطرف الآخر.
لتستيقظ في الصباح، تشعر بثقل عليها، فتجد ذراعه فتُحرَج وتزيلها وتنهض.
فهل ستستمر الحال هكذا؟ وهل ستستمر الزيجة أم ستنتهي قبل أن تبدأ؟ وما الذي سيتعرض له الزوجين من مشاكل؟ وهل ستعصِف بزواجهما؟

***

أما (ظلال)، فعادت مع (حمزة)، فهي في الشهور الأخيرة ومُتعَبة للغاية،

وأيضًا تواظب مع مدرسيها على المذاكرة، وتحاول تخطي هذا العام واللحاق بالامتحانات قبل الولادة.

***

أما (أحمد)، فعاد من عمله ليجد والدته متعبة ولا تستطيع النهوض، حاول مساعدتها فرفضت، فذهب إلى (إسراء).

(أحمد): أمي تعبانه جدًّا، ابقي انزلي شوفيها لو محتاجة حاجة وساعديها.

لتنظر إليه: أيوه بقى، قول إنك اتجوزتني عشان أبقى خدامة للست والدتك.

فنظر إليها مطولا: اتجوزتك عشان تبقي خدامة للست والدتي! لا يا إسراء، ماتجوزتكيش عشان تبقي خدامة للست والدتي، أنا زي ما باعتبر عمتي زي والدتي، باعتبر والدتي زي والدتك، لو لقيتي والدتك تعبانة مش هتساعديها؟! وعلى العموم، شكرًا يا بنت الأصول.

وتجاهلها وانصرف، فتباغته: رايح فين؟

ليلتفت إليها: رايح أخدم أمي اللي تعبت في تربيتي عشان أنا مجبتكيش خدامة ليها.

وذهب إلى والدته يخدمها ويقول لها: النهارده بقى عاوزين نرجع أيام زمان وأعمل لك الأكل وناكل سوا.

لتشعر أمه به: ومراتك؟!

(أحمد) بابتسامة: ما أنا كل يوم معاها، النهارده براءة، أجازة بقى عشان متزهقش مني.

فتقبله أمه: وإنتَ يتزهق منك يا حبيبي!

بالفعل، جهز الغداء وتناوله مع والدته.

أما (إسراء)، فجلست على الفراش تلوم نفسها: أنا إيه اللي عملته ده؟! كنت فعلًا قليلة الذوق جدًّا.

وعزمت أمرها على فعل شيء للتخفيف من فعلها.

وفي اليوم التالي، نزلت (إسراء) إلى حماتها، فاستغربت السيدة ولكن قابلتها ببشاشة، لتبادلها (إسراء) الابتسامة: إنتِ عاوزة إيه أعملهولك؟

أم (أحمد): لا يا حبيبتي، إنتِ لسه عروسة!

(إسراء) تضحك: عروسة إيه بقى، أنا بقالي شهر!

فتبتسم الأم: لسه عروسة.

فتبتسم (إسراء): طب يلا بقى على الشغل، عرفيني وملكيش دعوة، والنهارده هنعمل الأكل هنا وناكل سوا، ولا مش عوزانا ناكل سوا؟!

الأم بفرح: لا ازاي طبعًا عاوزة.

وذهبت معها تريها المطبخ وما به من أشياء، وتعرفها على محتوياته، فتقوم (إسراء) بعمل اللازم وإعداد الطعام، وأيضًا ترتيب الشقة ومسحها ووضع رائحة عطرة بها من معطر لديها.

وعندما دخل (أحمد) ليسلم على والدته كعادته، شمَّ العطر وهو يشبه ما عندهما بشقتهما، وأيضًا الشقة نظيفة جدًّا ورائحة طعام شهي، فدخل المطبخ لأمه ليجد (إسراء).

ومن خلف أذنها وجدَت من يهمس: إيه اللي نزلك؟ امشي اطلعي فوق!

لتلتفت له وتتلعثم: أاااااناااا!

فأجابها بحدة: قلت امشي اطلعي فوق، مش هكررها.

فماذا سيحدث؟, هل ستتفاقم الأمور؟ وهل بلغ (أحمد) آخره أم ماذا سيحدث؟

***

(١٨)

انتفضَت (إسراء) من طريقته، فهو لم يُعنِّفها أو يتعامل معها هكذا من قبل، فآثرَت الصمت والنظر إليه ثم تركته وانطلقت إلى شقتها، لتسمع والدته صوت الباب وهو يغلق فتقوم وتجِد (أحمد).

فتنظر إليه: إنتَ جيت يا حبيبي! حضري يلا يا إسراء الأكل على ما جوزك يغير هدومه...

فقاطعها: إسراء فوق يا ماما.

فأخبرته والدته أن يذهب ليُبدِّل ملابسه وينادي عليها.

فنظر إلى أمه وتعجَّب: وأنادي عليها ليه؟

فأخبرته والدته بما حدث، وأن (إسراء) قد رتَّبت الشقة ومسحتها وأعدت الطعام، وأيضًا أحضرت مرهمًا ودلكَت به ركبتيها، وأجلستها على الفراش وغطتها، وأنها فتاة طيبة.

فقاطعها: خلاص، هي مش عملته، هناكل وخلاص، هي تاكل فوق.

أمه: مينفعش يا ابني، هي معملتش أكل فوق، هي عملته هنا، ناكل سوا! اطلع نادي عليها.

حاول مقاطعتها فلم تُمهِله وواصلت إلحاحها، فذهب ليبدل ملابسه ودون النظر إليها: أمي بتقول لك انزلي عشان تاكلي.

فنظرت إليه: مش عاوزة آكل.

فالتفت إليها: مش إنتِ اللي نزلتي وقلتِ لها هتاكلوا سوا، يلا! أنا جاي على آخري ومش ناقص وجع دماغ!

فوقفت أمامه (إسراء): وأنا قلت لك مش هنزل!

فجذبها من ذراعها وجزَّ على أسنانه: يعني إيه مش نازلة؟! مش إنتِ اللي قلتِ ولا غصبتك!

فنظرت إليه: وأنا مش تحت أمرك، اطلعي، انزلي... أنا مش الجارية اللي اشترتها!

والتفتت، لتنصرف هي فيجذبها من ذراعها ويضربها كفًّا، فصُدِمت لفعلته وتحجَّرت الدموع بمقلتيها.

فاستطرد: إذا كان أهلك معلموكيش تتعاملي ازاي مع جوزك ومتعرفيش حقوق الزوج، أنا هربيكِ من أول وجديد!

فتركته لتذهب إلى الفراش وهي تبكي: وأنا مش نازلة معاك!

ليذهب خلفها ويحملها، وهي مندهشة من فعلته وتردد: ابعد عني! عاوز مني إيه؟!

ليذهب بها إلى الحمام: اغسلي وشك وحصليني، لحسن والله هتشوفي مني وش عمرك ما شوفتيه، وهيبقى ملكيش عيش معايا تاني!

وانصرف متجاهلًا إياها، ففعلت مثلما قال ونزلت أعدت الطعام وأنهَت كل شيء.

كان قد صعد إلى شقته، فذهبت بعدما أنهَت كل شيء، وجدته جالسًا على الفراش، فخلعت ثيابها وارتدت قميص نومها وأسدلت شعرها البني اللون عينيها، فهو ما يميزها، شعرها الطويل الناعم البني مع بشرتها البرونزية القوقازية وملامحها الصغيرة.

لينظر إليها ثم ينظر إلى الأوراق معه قبل أن تراه، ثم يرسم الجدية: اعملي لي شاي.

فنظرت إليه: ما أنا لسه عاملة تحت، مقعدتش ليه تشرب معاهم؟

فقاطعها: مزاجي أشربه هنا، في بيتي، عندك مانع؟!

فلم تجب، ليردد بصوتٍ عال: بقول عندك مانع؟!

لتجري إلى المطبخ، فأعدت الشاي وأحضرته إليه وأتت لتجلس على الفراش، فلحقها بالكلام: عاوز نعناع.

فنظرت إليه: طب مقلتش ليه وأنا جوه؟!

فاقترب منها: معرفش إن مراتي بعد شهر من الجواز متعرفش إن جوزها بيحبه بنعناع.

ويتفحص فيها، فخجلت من نظراته وأخفضت عينيها: ما هو إنتَ اللي كنت بتعمله، أعرف منين يعني؟! أنا مبشربوش.

وذهبت فأحضرت إليه النعناع.

وبعدها: أنا هنام شوية عشان راجع الشغل في الساعة الثامنة.

فنظرت إليه بتعجب: وليه بقى إن شاء الله راجع الشغل؟!
فجلس على الفراش: والله صاحب الشغل طلبنا في الساعة الثامنة في اجتماع، أقول له أنا آسف مش هقدر آجي أصلي مأخدتش الإذن من مراتي ومش عارف هتسمح لي أخرج في الوقت ده ولا لأ؟!
فضحكت لأسلوبه: لأ طبعًا، أنا مأقصدش كده، بس استغربت، أول مرة يعني يطلبوكم بالليل.
فنظر إليها قبل أن يغوص في الفراش ويتدثر بالغطاء: والله لو مش مصدقاني، كلمي أختك واسأليها.
فنزعت الفراش من عليه: إنتَ ليه كل كلمة أقولها مش طايقها وبتحملها أكتر من معنة؟!
فجذبها إليه: إنتِ عاوزة إيه في ليلتك دي؟! خلصي!
فحاولت الابتعاد واستكانت: مش عاوزة حاجة.
وأعطَت له ظهرها، لينظر إليها ويتأفف ويستدير هو الآخر للجهة الأخرى.
استيقظ على الوقت، وبسرعة حاول ارتداء ملابسه والنزول مسرعًا، وذهب إلى الاجتماع.

***

التقى (حمزة) برؤساء الأقسام وبعض الموظفين في اجتماع مغلق لدراسة بعض الأشياء، وقد نسي (حمزة) هاتفه مفتوحًا، ليجد زوجته، كاد يغلقه ولكنه يعلم أنها في الشهر الأخير وربما يكون حدث لها شيئًا.
فتناول الهاتف وتحدث بضيق: في إيه؟ أنا في اجتماع!
(ظلال) بتعب: بولد يا حمزة! الحقني!
(حمزة) بتوتر: ازاي؟! إنتِ في أول التاسع!
(ظلال) بضيق: أهو اللي حصل، اخلص وتعالى، بمووت!
فاعتذر عن إكمال الاجتماع، ولحقه (أحمد) ليستفسر: خير؟ في حاجة؟
(حمزة) وهو يسرع: ظلال بتولد وشكلها تعبان جدًّا!
فبادره (أحمد): طب أنا هجيب حماتي وإسراء وأحصلك على المستشفى، على تليفونات، لما توصل عرَّفني اسم المستشفى.

فرد (حمزة) بسرعة: حاضر حاضر.
وذهب مسرعًا إليها، حملها ووضعها بالسيارة وهي تصيح: مش قادرة! هموووت يا حمزة!
(حمزة) وقلبه يتقطع عليها: بعد الشر عليكِ حبيبتي، إن شاء الله ولي العهد هيشرف وتبقي بخير إنتِ وهو.
واتصل بـ(أحمد) يخبره باسم المستشفى، والذي كان قد وصل إلى حماته لتجهز نفسها وأخذها معه، فانتظرته عند أخيها حتى يذهب ليخبر (إسراء).
وعندما دخل عليها: أنا هاخد والدتك ونروح المستشفى.
فقاطعته قبل أن يكمل: أمي مالها؟ فيها إيه؟
(أحمد) باستغراب: يا ستي أمك كويسة وتحت مع أخوها أهي.
(إسراء) باستغراب: أمال رايحة المستشفى ليه؟!
(أحمد) بنفاد صبر: ما هو لو صبرتي كنت كملت لك! ظلال بتولد، اتصلت بحمزة وهو في الاجتماع ولغاه وقام جري.
فانهارت بالبكاء: يا حبيبتي يا ظلال! أنا هلبس وآجي معاكم، مش هقدر أستنى.
وبدأت بخلع الروب لارتداء ملابسها على عجالة، فحاول تهدئتها عندما شاهد حالها، وجذبها إليه ومسح دموعها: يا حبيبتي اطمني، هي بخير، وحمزة مطمني من المستشفى لما وصلوا، والدكاترة قالوا كويسة، خليكِ وكفاية ماما.
فتحدثت بانهيار: مش هقدر أستحمل يا أحمد، دي أختي اللي مليش غيرها!
فتفهم: عارف حبيبتي، بس اطمني، هتكون بخير إن شاء الله.
واحتضنها، لتسكن بين أحضانه وتهدأ، فيقيمها أمامه عندما شعر بسكونها ليتأملها، فخجلت من نظراته، فأقام رأسها إليه وقبلها، لتشعر بمشاعر غريبة لم تعهدها معه من قبل، ليستفيقا بعدها وينظر إليها: الحمد لله على السلامة!
فنظرت إليه: وأنا كنت مسافرة؟!
فرد عليها: سفر بعيد جدًا، أبعد مما تتخيلي.
ثم تذكَّر: البنت!
فاستغربت: بت مين؟!
(أحمد) بضحك: ظلال، نستيها؟!

فلامت نفسها: يا خبر!
فكيف لها أن تنساها، لتقول: هلبس حالا.
(أحمد): بسرعة، هستناكِ تحت مع عمتي.
وبالفعل، ذهبوا إلى المستشفى.
وجدوا (حمزة) يتحدث مع دكتور (عاصم): خير يا حمزة؟ فيه شيء؟ الوالد تعبان؟
(حمزة): الحمد لله يا دكتور، بابا بخير، لو في حاجة حضرتك أول واحد هتعرف، إنتَ الطبيب المعالج له.
فاستغرب (عاصم): أمال في إيه؟ حد من اخواتك؟
(حمزة): لأ، مراتي بتولد.
فاستغرب الطبيب: مراتك! إنتَ اتجوزت؟! كده من غير ما تعزمني!
(حمزة): معلش، الموضوع جه فجأة، وكان على الضيق، أستأذن حضرتك لأن أهل زوجتي جم.
وتركه والرجل ينظر ويستغرب.
وبعد مدة، خرجت (ظلال) إلى الغرفة والطفل إلى الحضانة، لأنه جاء مبكرًا عن موعده، وأهلها حولها يطمئنونها عليه، وهي تبكي لأنه ليس بجوارها.
(حمزة) يُطمئنها: أنا شوفته، زي العسل، ومنسجم في الحضانة بلبوص بالبامبرز، وشبهي على فكرة، يظهر إنك بتحبيني جدًّا.
(ظلال): ما إنتَ عارف إني بحبك جدًّا، بس أنا عاوزة أشوفه!
(أحمد): شوية بس أما ترتاحي وهشيلك لحد هناك تشوفيه.
وبالفعل، ذهبت لتراه وتتلمس يده الصغيرة التي تخرج من جزء دائري مفتوح في الصوبة الزجاجية التي يقبع بها، ثم ارتاحت وذهبت إلى حجرتها لتنام، أما والدتها، فلم تتركها وآثرت البقاء مع ابنتها.
أما (إسراء) و(أحمد)، فقد ذهبا إلى بيتهما، ليدخلا شقتهما، فبدأت (إسراء) في خلع ملابسها، لتجده يحاوطها بيديه: مش كفاية استضافة بقى؟!
فخجلت وأخفضت عينيها، ليكمل: منفسكيش تبقي أم إنتِ كمان؟ مغيرتيش من أختك.

ففهمت المغزي، ليقبلها وتستسلم له أخيرًا، فحملها ليبدأ معها زيجتهما.
وفي اليوم التالي، استيقظت فوجدته يحيطها وكأنه يخشى أن تهرب منه، فابتسمت ونزعت يده عنها بهدوء حتى لا توقظه، وذهبت إلى الحمام، وبعدها إلى المطبخ.
ليشعر هو بها ويذهب وراءها فيحيطها بذراعيه: إيه صحاكِ بدري كده؟!
(إسراء): عارفة إن ماما مبتحبش أكل المستشفيات ولا اللي بره، لأن حمزة أكيد مش هيسيبها ويجيب لها وهتتحرج، وبتتعب من أكل بره، فقلت أعمل لها أكل بيتي وتوصلني وإنتَ ماشي.
فوافق على طلبها: طب هدخل الحمام على ما تخلصي وتعملي لنا الفطار والشاي، لحسن صاحي مصدع.
فنظرت إليه بخضة: سلامتك حبيبي! فيك إيه؟!
فابتسم: مفيش حبيبتي، شوية صداع بس.
فهل ستظل الحياة هكذا؟
وماذا سيحدث لـ(حمزة) و(ظلال) بعد أن أنجبت المولود الذي يتمناه؟

***

(١٩)

أخذ (أحمد) زوجته إلى المستشفى في طريقه، لتعطي الطعام لوالدتها وتطمئن على أختها، وظلت الحال هكذا حتى خرجت (ظلال) من المستشفى وذهبت بوليدها إلى شقتها، حاولت أن تستأنف دراستها، فقد أحضر لها دادة للطفل تراعيه غير الخدم حتى تتفرغ لدراستها، فلم يعد الوقت يحتمل، وبالفعل داومَت (ظلال) على مذاكرتها وامتحنت بالثانوية.

أما (ظافر)، فكان يجلس كعادته مع صديقه بالبار.

ليجد من تتقدم نحوه، (ظافر) بضيق: يووووه!

صديقه بتعجب: مالك؟!

(ظافر) بعدم اهتمام: البنت اللي جاية دي، رافقتها يومين وزهقت، هي بقى مش سايباني، تيجي الشركة وأقول لهم يمشوها، تتصل ومأردش.

صديقه: هي مين دي أصلًا؟!

(ظافر): بنت من أصول عربية.

وجاءت (كارولين) نحوه: أنا بهاتفك وما بترد عليّ، وبريدك في موضوع ضروري.

(ظافر) بعدم اكتراث: خير!

(كارولين): ممكن على انفراد؟

(ظافر): ده صاحبي ومبخبيش عنه حاجة، قولي.

(كارولين): أنا حامل.

(ظافر): ألف مبروك، بس أنا مالي؟!

(كارولين) باستغراب: ده ابنك اللي ببطني!

فانتفض (ظافر): نعم يا حلوة! اللعبه دي تلعبيها على غيري، لأن لعبتك مفقوسة، شوفي يا ماما جبتيه من مين وناسيه.

(كارولين) وكادت تبكي: والله ما بعرف غيرك!

(ظافر) بضيق: بنت إنتِ، أنا من الآخر مبخلفش، فروحي ارمي بلاكِ على غيري، فاهمة! ودلوقتي امشي من وشي.

فذهبت (كارولين) تجر أذيال الخيبة وليس أمامها إلا الإجهاض بعد إنكاره

للطفل، ليلتفت إلى صديقه: مفكراني أهبل!
صديقه: تلاقيها كانت عاوزة قرشين وجاية تبتزك.
(ظافر) بضحك: متعرفنيش، وقعت مع من لا يرحم.
***

أما في فيلا (البنهاوي).
(البنهاوي) ينادي على ابنته (ناهد) الكبرى، فتجيبه فيستطرد: اتصلي بالدكتور، معاد الشيك آب، يشوف ضغط وسكر وياخد العينات يحللها في المعمل عنده في المستشفى كالعادة.
(ناهد) دون تردد: حاضر يا بابا، أنا فاكرة والله يا حبيبي، وجاية عشان كده النهارده، واتصلت بالدكتور.
ليأتي الطبيب على الفور ويسلم على (ناهد)، لتقوده إلى غرفة والدها.
الطبيب: أخبار العجوز بتاعنا إيه؟
(البنهاوي): كبرنا يا دكتور بقى.
الطبيب: بس أنا زعلان منك، بقى دي عشره العمر، ابنك يتجوز ولا تقوليش ولا أحضر الفرح!
(البنهاوي): إنتَ لسه فاكر! يعني أنا اللي حضرت، ما إنتَ عارف ظافر، هاجر ومش بيرجع، واتجوز واحدة ولا نعرفها ولا شوفناها ولا حضرنا فرحه.
الطبيب: لا أنا باتكلم عن حمزة.
(البنهاوي): أاااه! أكيد أما يتجوز هعزمك...
فقاطعه: دي مراته خلفت، هتعزمني في فرح ابنه بقى!
فاعتدل الرجل: مين اتجوز وخلف؟!
الطبيب: حمزة! لقيته مع مراته في المستشفى وبتولد، الكلام ده من فترة.
فاستشاط الرجل ولم يُبيِّن لصديقه: طب شوف شغلك وخد العينات.
الطبيب: إنتَ ضغطك عالي جدًّا! ليه كده؟! خف من التوتر ده، قولت لك مئة مرة.
فلم يعقب الرجل، وخرج الطبيب بعد عمل اللازم.
***

اما عند (أحمد)، دخل المنزل متألمًا.
فقابلته (إسراء) بلهفة: مالك يا أحمد؟ في إيه؟
وتسنده إلى الفراش.
(أحمد) وهو يحاول إخفاء الألم الذي يعتصره: بخير حبيبتي، متقلقيش.
(إسراء) بضيق: ازاي يعني مأقلقش وأنا شايفاك كده؟! طيب نروح المستشفى؟
(أحمد) لطمأنتها: مفيش لزوم، هستريح شوية وهبقى كويس.
فدثرته في الفراش ودخلت المطبخ، لتسمعه بعد فترة يصيح بألم، فجرَت عليه: لا مش هينفع كده! هقول لياسر يوقف تاكسي ونروح المستشفى.
وفعلا نفذت ما قالت.
وهو ظل يتألم إلى أن وصلوا المستشفى، لتقابل الطبيب وتترجاه يكشف عليه، وبعد الفحص.
الطبيب: دي زايدة، ولازم يخش العمليات، فيه خطورة على حياته لو استنى.
فصُعقت (إسراء): طيب دخله بسرعة يا دكتور، أرجوك!
ودخل (أحمد) العمليات، وكان (ياسر) و(إسراء) بالخارج، واتصلت (إسراء) بأمها باكية: الحقيني يا ماما، أحمد في العمليات!
فضربت المرأة على صدرها: كفا الله الشر، ماله أحمد؟
(إسراء) وهي تبكي: بيعمل الزايدة، والدكتور بيقول الحالة خطيرة.
أمها بسرعة: طيب أنا جيالك مع فاروق حالا.
واتصلت بـ(فاروق) ليأتي لإيصالها إلى المستشفى، وأيضًا اتصلت بـ(ظلال) تخبرها.
لتقول لها: طيب هقول لحمزة ونيجي لكم حالا.
وبالفعل، هاتفت (حمزة) ليأتي لأخذها والذهاب إلى (أحمد) في المستشفى، وتجمع الجميع في المستشفى إلى جانب (إسراء).
اختفى (حمزة) لفترة ثم عاد: أنا حاسبت المستشفى خلاص.
(إسراء): ليه بس كده؟! أنا دفعتَ اللي معايا تحت الحساب وقلت لهم هجيبه أما أطمن عليه.
(حمزة) بتفهم: الجيب واحد، المهم سلامة أحمد عندنا، وأنا اتصلت بالشركة

يدوه إجازة أسبوعين ويجددوها لو لسه تعبان.
(إسراء) بامتنان: مش عارفة أقول لك إيه، كتر خيرك، وربنا يخليك لنا.
(حمزة): على إيه! احنا أهل.
ليخرج (أحمد) إلى العناية، فطمأنهم الطبيب عليه، وأخذ (حمزة) (ظلال) وأمها و(فاروق) ليوصلهم إلى البيت، وبعدها ذهب بـ(ظلال) إلى شقتها واستأذنها لأن وراءه عمل وألا تنتظره، حتى يستطيع الذهاب إلى الفيلا عند والده.
وعندما ذهب كعادته ليخبره عن العمل، قال له أن يغلق الباب ويتقدم.
ففعل (حمزة): خير يا حاج؟
(البنهاوي): جوازك من بنان الشهر الجاي، أظن مفيش حِجة ولا داعي للتأخير.
(حمزة): بس هي لسالها سنة وتخلص.
(البنهاوي): وإيه المانع؟ هي هتعمل إيه؟ بتروح كليتها والخدم هنا بيعملوا كل حاجة.
(حمزة): أنا مش هتجوز بنان يا بابا!
(البنهاوي) يصدمه: طبعًا، عشان اتجوزت من ورا أبوك، ومش كده بس، ده إنتَ خلفت كمان! كنت مستني لحد امتي وتبلغني إن ليا حفيد؟ لما يتجوز هو كمان!
(حمزة) محاولًا الاستفاقة من الصدمة بمعرفة والده: إنتَ عرفت ازاي؟ وامتى؟!
(البنهاوي) بعدم اهتمام: مش مهم، المهم إني عرفت إن ابني اللي كنت فاكره دراعي اليمين واستأمنته على مالي وعلى كل شيء طعَني في ظهري! البنت اللي ملهاش أصل دي ومعرفش جبتها منين، تطلقها!
(حمزة) بغضب: مش ممكن! وابني!
(البنهاوي): هتجيبه، بنان تربيه، ويبقى وسطينا، يعني نرمي لحمنا! وجوازك من بنان بأسرع وقت.
(حمزة) بأسف: أنا آسف، لأول مرة هكسر كلامك، لا هطلق، ولا هتجوز

بنان.
وتركه وذهب، ليمسك الرجل قلبه وينادي (ناهد)، والتي اصطدمت بأخيها وهو خارج من الفيلا، وطلعت مسرعةً على صوت أبيها، لتجده مُلقَى على الفراش.
(ناهد) بصدمة: بابا.. بابا.. مالك؟!
ثم اتصلت بالطبيب ليرسل سيارة الإسعاف.
وأيضًا اتصلت بزوجها (نادر): الحقني يا نادر.
وهي تبكي.
(نادر) باستفسار: مالك يا ناهد؟ في إيه؟ حد حصله حاجة؟!
(ناهد) على عجل: تعالى بسرعة على المستشفى، أنا طلبت الإسعاف وزمانه جاي، بابا تعبان جدًّا!
(نادر) محاولًا أن يُهدئ زوجته: طب اهدي وأنا هحصلك، كلمتي حمزة؟
(ناهد) وقد أفقدتها الصدمة كل شيء: لأ، أنا كلمت الإسعاف وإنتَ بس.
(نادر): خلاص أنا هكلمه ييجي على المستشفى، متقلقيش، على ما توصلي كلنا هنكون في انتظارك.
واتصل بـ(حمزة)، ليرد عليه: في إيه يا نادر؟
(نادر): أبوك تعب جدًّا ونقلته الإسعاف المستشفى.
(حمزة) بصدمة: إيه؟! طيب أنا جاي حالا.

***

(٢٠)

انتظر (نادر) في بهو المستشفى ليستقبل زوجته، واتصل بـ(حمزة) حتى يسرع، حتى حضرت زوجته مع سيارة الإسعاف التي أقلَّت والدها.

وعندما وصلت، كان جميع الأطباء ينتظرون قدومه مع الطبيب المعالج له صاحب المستشفى أول الموجودين.

وعندما رأته (ناهد) ترجَّته: أرجوك يا دكتور، بابا مبينطقش!

فوضع إصبعه على رقبة المريض: النبض ضعيف جدًّا، على الانعاش بسرعة، ويتركب له الأجهزة.

وأخذه الأطباء بسرعة وهو يُهدئ فيها، وارتمت في أحضان زوجها ليحاول التخفيف عنها وربَّت على كتفها.

وهي تصرخ: حمزة فين؟! مجاش ليه لحد دلوقت؟!

(نادر) بسرعة: والله كلمته وقال جاي بسرعة، واتصلت بيه تاني مقفول.

(ناهد) وقد تذكرت: وظافر! هيفضل إيده في الميّة الباردة كده؟! مش ييجي يشوف أبوه اللي بيموت ده! رن عليه.

فرن على (ظافر) وأغلق، ليتصل هو.

(ظافر): خير يا نادر؟ في إيه؟

فأخذت منه (ناهد) الهاتف: خير إيه وزفت إيه! أبوك بيموت يا ظافر.

وأخذت تبكي، لياخذ منها (نادر) الهاتف ويجلسها: معلش يا ظافر، إنتَ عارف ناهد متعلقة بأبوك ازاي، إنتَ مش هتيجي ولا إيه؟ أبوك تعبان جدًّا!

(ظافر) وهو يغمض عينيه بأسى: مش حمزة موجود؟

(نادر): حمزة معرفش اتأخر ليه، متصل بيه من ساعة وقال لي جاي بسرعة، ومن ساعتها موبايله مقفول.

(ظافر): طب أما يوصل خليه يرن عليا.

(نادر): يعني مش ناوي تيجي؟! أبوك النبض ضعيف وبيخلص!

(ظافر): ربنا يسهل، بس طمنوني أول بأول.

ثم حضر الطبيب: شدي حيلك يا ابنتي، البقاء لله!

فقدت (ناهد) الوعي وأدخلوها إلى حجرة وحاولوا إفاقتها.

***

أما (حمزة)، عندما علم بالأمر من (نادر)، قاد بسرعة جنونية ولفَّ منعطفًا خطأ، ليصطدم بعربة نقل مسرعة، فألقت به بعيدًا، فطار داخل سيارته بالهواء، وانقلبت السيارة عدة مرات، وتوقف الطريق ونزل صاحب السيارة النقل: والله ما غلطتي، هو اللي حوِّد غلط وبسرعة!

البعض شهدَ معه والبعض صار يؤنبه، حتى أتت الشرطة.

الضابط (هَاني) يتحدث مع شهود العيان: في إيه بالضبط؟ مين شاف الحادث؟

بعضهم قال إن (حمزة) اندفع والرجل غير مخطئ، والبعض قال إن صاحب النقل كان نائمًا، أما بقية الطاقم فنظر بالسيارة ليخرجوا المصاب.

(هاني): شوف يا ابني لو في إثبات شخصية معاه.

فأتى العسكري مسرعًا: اتفضل يا باشا.

نظر الضابط: يا نهاااار!

واتصل بوالده الطبيب صاحب المستشفى، وصديق (البنهاوي)، والمعالج له.

الطبيب بقلق: خير يا هاني؟ في إيه؟

(هاني) بضيق: معلش يا بابا، في خبر مش كويس، حمزة ابن عمي البنهاوي، حصلت له حادثة وبيحاولوا يخرجوه والإسعاف هتشيله.

الطبيب: يا نهار مش فايت! ده أبوه لسه متوفي حالًا، هاته على هنا بسرعة.

(هاني) بتوتر: مينفعش، يا الجامعة، يا القصر العيني، مينفعش أنقله، خاصة دي حادثة وقضية.

الطبيب: اتصرف، الناس هنا هتتشتت بين اللي مات والمصاب، وهنا عناية أكتر.

(هاني): حاضر هتصرف.

فأوقف السيارة: انقلوه على مستشفى الشفاء، وحطوا حراسة على حجرته على ما أوصل أنا والنيابة وراكم.

فاستغرب الجميع، ولكن نفذوا الأوامر.

وبالفعل، ذهب (حمزة) إلى المستشفى، ولم يعلم أحد من أهله، وعندما كشف الطبيب عليه، كان (هاني) قد وصل، ورأى (ناهد) و(نادر)، فعزاهما: البقاء

لله في عمي البنهاوي!
(نادر): لله الأمر من قبل ومن بعد، معلش، اعذر ناهد، في عالم تاني مش حاسة بنفسها.
(هاني) أخذ (نادر) على جانب: طيب أنا عاوزك بره شوية.
فخرج ليخبره بالحادث، ليُصدَم صدمة عمره ويذهب لرؤية (حمزة)، الذي لا تُرَى ملامحه من أثر الحادث، ونظر إلى (هاني): وأنا أعمل إيه وأنا لوحدي؟!
فاتصل بـ(ظافر).
(ظافر) بخضة: في إيه يا نادر؟
(نادر): بلا في إيه بلا نيلة! أبوك مات، وأخوك متلقَّح في الحجرة بيموت، وأختك مُغمَى عليها، وأنا لوحدي في وسط العكة السودا دي!
(ظافر) بغضب: خلااص أنا جاي، هعمل تظبيطات بسيطة وأحجز على أول طيارة.
أما (ظافر)، فقد استدعى (بهاء)، محامي دولي ثقة لديه وصديقه وابن خاله ويعمل معه.
(بهاء) قدِم بسرعة: في إيه يا ظافر؟
(ظافر) وهو يختنق: والدي اتوفى، وحمزة بين الحياة والموت في المستشفى.
(بهاء) بحزن: لا إله إلا الله! البقاء لله!
(ظافر) وقد قاطعه: المهم دلوقت، أنا مش عارف الوضع هيبقى إيه، إنتَ عارف احنا عاملين إيه في حالة رجوعي فجأة لمصر أو معرفتش أرجع، أنا عامل لك توكيل بكل شيء عشان لو هتصفي بدالي الشركات وتبعت على حسابي في مصر، مش عاوز أوصيك، وعاوزك قد الثقة.
(بهاء): إنتَ يعني مش واخد ورق عليا عشان مش واثق، مع إنك تعرفني.
(ظافر): أنا مبثقش في صوابع إيدي، بس أنا عارف إنك جدع وصاحب عمري، بس الحرص واجب، والفلوس بتغير النفوس، وأنا مش عاوز أسيبك لها تغيرك.
(بهاء): وأنا هعرفك إني قد الثقة دي.
(ظافر): لوتس كان هيموت على الشركة، بدل ما حد يصطاد في الميّة العكرة وينزل السعر، هو كان عارض أكتر من تمنها بس أسيبها، قول له أنا موافق،

بس ده لما أنزل وأشوف الوضع وأديك الأوك، ودلوقت أنا هسافر، السكرتيرة حجزت أول طيارة متجهة لمصر من برلين، وهكلم مراتي أبلغها وأنا مسافر.
وسلم عليه واتجه إلى المطار، وفي الطريق كلم زوجته.
(ظافر): حبيبتي أنا مسافر حالاً مصر.
زوجته: شو هاد؟! ليش ما خبرتني ظافر؟ كنت إجيت معك، عم بتهاتفني وإنتَ مسافر؟! وشو أنا مو زوجتك، كنت بروح أسلم على البابا.
(ظافر): مفيش وقت، والدي اتوفى، وأخويا عمل حادثة، مش فاضي آجي آخدك وأروح مطار فرانكفورت، هنا أقرب ليا لبرلين.
ففزعت من الخبر: شو يا اللي عم بتقوله؟ البابا مات! شو ها الخبرية! أوك حبيبي، كان نفسي بكون معك.
(ظافر): معلش، هضبط أموري وأبعت لك.
زوجته: شو تضبط أمورك وبتبعت لي، إنتَ مو راجع لهون تاني؟
(ظافر) بعصبية: أنا معرفش إيه اللي مستنيني هناك، أما أشوف أبقى أبلغك.
وأغلق الخط.
لتتصل بوالدتها: إمي، شوفتي اللي عم بيحصل!
أمها: شو؟
وقصت على أمها ما حدث.
أمها: شو هاد؟ وبده ياخدك تقيمي بمصر؟ أنا ما عم بسمح لك، يكفي هون بتاجي بطلوع الروح، بس على الأقل أنا ممكن باجي إلك، هاد ما بيحصل ولو صمم بنرفع قضية وتاخدي نصف أملاكه، هاد حقك، لكن ما بتركك إله ياخدك مصر ويعمل ما بده فيكِ، وهون اليأس بيدوب بالتراب اللي بتسيري عليه.
(مادلين): شو هاد ماما؟! عم بتقدري البلا قبل ما بيقع، أكيد بيخلص وبيرجع هون، هون شغله.
أمها: بنشوف، لكن لا بد ناخد حذرنا.
وأغلقت مع ابنتها.
وذهب (ظافر) إلى مصر وإلى المستشفى، لترمي أخته الصغيرة والكبيرة بأحضانه و(بنان) بعيدة بعض الشيء وتنظر إليهم.

(ناهد): شوفت اللي حصلنا!
(ظافر) ويغلق عينيه: خلاص يا ناهد، كل حاجة هتبقى تمام، أنا موجود دلوقت.
ليخرج الطبيب ويجد (ظافر): الحمد لله على السلامة.
(ظافر): الله يسلمك، ممكن إجراءات المستشفى تخلص بسرعة عشان ندفن الوالد؟ وأخبار حمزة إيه؟
الطبيب يأخذه بعيدًا: مأكدبش عليك، الحالة حرجة وفيه خطورة عليه، وممكن يعيش عاجز لو قدر له الحياة.
تحجرت الدموع بمقلتيه، فجذب الطبيب وهمس له بأذنه: اعمل أي شيء عشان يعيش.
ابتعد الطبيب وهو مقدر حالته: من غير ما تقول، حمزة ابني، وبنحاول أنا والدكاترة كلهم.
وأتى (هاني) فاحتضن صديقه: ازيك يا وحش؟ كفارة يا راجل!
(ظافر): أخبار التحقيق إيه؟
(هاني): مأكدبش عليك، معظم الشهود أكدوا إن حمزة غلطان، والراجل مكانش يقدر يعمل حاجة، والنيابة حاولت تستفسر من حمزة، فعملهم إشارة إنه هو اللي غلطان.
(ظافر): أوك، يعني مش تعمد أو مقصودة؟
(هاني): لا مش مدبر، ده راجل غلبان، واتحرينا عنه، وهو خطأ فقط.
(ظافر): خلاص سيبوه.
(هاني): فعلًا، بنعمل إجراءات إخلاء سبيله.
(ظافر): مش هوصيك، خبر حادثة حمزة ميوصلش للإعلام والسوشيال ميديا، لحد أما أضبط الأمور، وإلا هنخسر خسارة كبيرة جدًّا.
(هاني): من غير ما تقول، وجبناه هنا ومحدش يعرف.
(ظافر): وحتى دفنة والدي هنعجل بيها، ونقول إن حمزة مسافر، وأنا اللي هنا.
(هاني): أوك، ربنا معاك ويقويك.

ثم استأذن (ظافر) منهم ليدخل إلى أخيه.
وجلس بجانبه يحادثه: يعني لما أشوفك بعد الغيبة دي، ألاقيك كده!
فهل سيستفيق (حمزة) ويحادث أخاه؟
أم ماذا سيحدث في الأيام القادمة؟

***

(٢١)

وجدَ (ظافر) أخاه يحاول جاهدًا فتح عينيه بصعوبةٍ بالغةٍ وسط الدماء التي غطَّت وجهَه من أثر الجروح والضمادات.

ليُقبِل عليه بلهفة: حمزة، سلامتك حبيبي ألف سلامة.

فلم يستطِع النطق إلا بعد عناءٍ شديد، ثم نطق أول حرفين من اسم ولده: إســ... إســ...

(ظافر) بتعجب: عاوز إيه قول لي؟ مش فاهم!

ثم فقد الحياة وليس النطق فقط!

فحملَق (ظافر) به وصرخ: حمزة! فوق! متسيبنيش لوحدي، قوم إنتَ كويس!

وجهش بالبكاء، ثم مسح دموعه وجرى ليستدعي الطبيب محاولة منه بنكران فقد أخيه.

ليأتي الطبيب على الفور ويغطي وجه (حمزة): البقاء لله!

فوقف في شموخ وخلَّل أصابعه بخصلات شعره وأغمض عينيه محاولًا التفكير، ثم استعاد رباطة جأشه واقترب من الطبيب: مش عاوز الخبر يتسرب بره الحجرة دي، وإلا...

الطبيب بخوف: خلاص براحتك، هنقله التلاجة وهنقفل الحجرة باعتبار إنه هنا وممنوع حد يدخلها غيري، بس أسبوع مش أكتر، دي مسؤلية، بس لازم أطلع شهادة وفاة، لازم إجراءاتنا تمشي قانوني، ميخلصكش أتجازى أو تتقفل المستشفى.

(ظافر) بتفهم: أوك بس مفيش مخلوق يعرف، وتبقى في أضيق الحدود، وأنا هتفاهم مع هاني يديني فرصة مع الإعلام أسبوع، وإلا كل شيء هينهار، وده ميخلصكش.

الطبيب بتفهم للوضع: أنا فاهم كل ده، ولمعزَّة والدك عندي طاوعتك.

ثم خرج (ظافر) إلى إخوته: مفيش داعي من وجودنا هنا، يلا عشان الدفن والجنازة للوالد.

(ناهد): وحمزة؟

(ظافر) بعصبية: هتعملي هنا إيه؟! مفيش زيارات، يلا على البيت عشان اللي هييجوا يعزوا، ولو حد سأل على حمزة، مسافر، مفهوم!
فنظروا إليه، ليردد: أنا بقول مفهووووم!
كله برعب: مفهوم مفهوم!
وذهبوا معه جميعًا ونقلوا الجثمان للدفن، وتمت المراسم، وكلٌّ من سأل عن (حمزة) فهو مسافر.
وفي اليوم التالي، ذهب (ظافر) إلى الشركة وطلب عقد مؤتمر صحفي على نطاق موسع لكل المحطات الفضائية ونقل بالتلفاز.

***

أما (ظلال)، فكانت تتصل بـ(حمزة) ولا مجيب، فالهاتف مغلق لأنه كُسِر بالحادث.
وفي أثناء مشاهدتها التلفاز وبينما هي تقلب، وجدت أحدهم يتحدث ويغطي عليه صحفيين كثُر، وسمعت اسم (حمزة) يتردد أنه سافر، وأن (ظافر) مَن استلم الفرع بمصر، لكنها لم تفهم شيئًا ولم تأخذ ببالها، واتصلت بـ(أحمد) لتسأل عن صحته، وإذا ما كان يعرف أحدًا بالشركة ليسأل عن (حمزة)، لأنه لا يُجيب.
فأجابها (أحمد) على الفور: حاضر، هتصل بكمال، ده رئيس الشئون القانونية في الشركة وصاحب حمزة.
وبالفعل اتصل، ليباغته (كمال) بخبر سفر (حمزة) المفاجئ واستلام أخيه الشركة مكانه، فاستغرب لهذه الخبرية ولم يعقب، واتصل على الفور بـ(ظلال) ليخبرها.
لتنهار: ازاي يعني؟! هيسافر فجأة وميقوليش! طب مفيش تليفونات في البلد دي يعني يقولي؟! يسيبني مع ابنه كده ولا حس ولا خبر! لما بيسافر بيقولي، إنما مش هيسافر فجأة وكمان يمسك بداله أخوه ويسيبني هنا، مش ممكن! وأنا هفضل بقى كده مش عارفة هو فين لحد أما يفتكر إنه له زوجة ويتصل؟! ماشي يا حمزة!
وأغلقت مع (أحمد) وهي غاضبة منه، لتتوالى الأيام و(ظافر) يضبط الأوضاع

بالشركة حتى يتسنَّى له الإعلان عن وفاه أخيه، ووقتها تكون الأمور قد استقرت بالعمل.
ليأتي له أحد العاملين بالشركة ببعض الملفات التي طلبها، ويحاول أن يفهمه.
فاستشاط (ظافر) ورمى بالملفات وأمسكه من ياقته: إنتَ بتفهِّم مين يلا؟! أنا كل كبيرة وصغيرة في الشركة دي كان عندي علم بيها، وأنا اللي كنت ممشيها وبدي الأوامر لحمزة، تيجي إنتَ يا حتة عيل تفهمني؟! ده أنا أفهم أبوك واللي خلفوك!
الشاب: أنا آسف والله مأقصدش!
(ظافر) بغضب: الشركة دي اتبنت على إيدي قبل ما تتولد يا روح أمك، إنتَ فاهم!
يلُم الشاب الملفات التي ألقاها (ظافر): فاهم، فاهم حضرتك.
وخرج الشاب، ليكلم السكرتيرة: احنا هنشوف أيام سودا!
واستدعاها (ظافر) فجرت إليه، فباغتها: في إيه يا اختي إنتِ كمان؟! ماشية على قشر بيض، هستناكِ ساعة!
فردت عليه قائلة: والله أبدًا، أنا...
وقبل أن تُكمِل حديثها.
(ظافر): إنتِ هتحكي معايا! اجري بلغي رؤساء الأقسام وأعضاء مجلس الإدارة باجتماع طارئ.
وهي واجمة دون حراك، ليباغتها: يلا اجري!
فاستفقات وجرَت بسرعة حتى كادت تقع وقلبها يتوقف، ونفذت ما قاله.
ليجتمع بهم: لازم تفهموا إني أعرف كل كبيرة وصغيرة هنا، والشركة دي اتبنت على أكتافي من قبل حمزة ما يمسكها، وأنا اللي كنت بمشيها من ألمانيا، عشان اللي هيلعب بديله أو يحوَّر معايا هيشوف مني أيام سودا، مفهووووم!
وضرب على المائدة التي يجلسون عليها، لينتفضوا: مفهوم، يا فندم.
وأنهى الاجتماع ثم ذهب إلى القيلا.
لتقابله (ناهد): أأمرهم يحضروا الغدا؟
فأوقفها بإشارة منه: مليش نفس، كلوا إنتم.

ودلف إلى حجرة أبيه وأغلقها عليه، ثم وقف في وسطها ودار بناظريه في أركانها، وجلس على فراش والده يتلمسه ويتحسسه ويلقي بنفسه عليه، وتحجرت الدموع بمقلتيه وهو يسأل ولا مجيب: ليه؟! ليه بعدتني عنك؟! ليه دايمًا كنت محسسني إني السبب في موتها؟! وأنا الوحيد اللي اتأثرت بسبب فراقها وكانت غالية عندي زيك بالضبط!

وأغمض عينيه ليتذكر الحادث الأليم لوالدته.

***

[فلاش باك]

رجع الأب من العمل، فوجد (ظافر) يتحدث مع والدته بغضب: بس أنا عاوز أروح النادي وإنتِ وعدتيني!

الأم: مش قادرة يا ظافر النهارده.

الأب بحزم: خلاص بقى، ماما تعبانه النهارده، وهي لسه والدة أختك الصغيرة، مش هتقدر تنزل بيها.

فحزن وبكى، لتحتضنه: خلاص هسيب حمزة وأخته مع ناهد أختهم والدادة وآخدك النادي، بس وصلنا بقى.

فرد (البنهاوي): إنتِ اللي مدلعاه دايمًا ومبترفضيلوش طلب.

وأخذهم بالسيارة وتوقف بعيدًا عن الزحام المروري، فنزل (ظافر) وانطلق، لتجري والدته خلفه خوفًا عليه، فأتت سيارة مسرعة وأطاحت بها.

رأى (ظافر) هذا ووقف مشدوهًا من الدماء تغطي والدته وهي بلا حراك، وجلس بجانبها يبكي، ليجد والده فينهره: إنتَ السبب! إنتَ السبب!

***

[الرجوع من الفلاش باك]

فاستفاق (ظافر): ليه كده؟! كنت منتظرك تاخدني في حضنك كل السنين دي، حرمتني منك وكنت في أشد الحاجة لك!

لتأتي أخته (ناهد) وتناديه: ظافر.

فاستعاد شدته: في حاجة؟

فاقتربت منه: حبيبي متعملش في نفسك كده، أنا حاسة بيك...
فقاطعها: وإنتِ شايفاني بشد في شعري ولا برفَّس في الأرض!
وتركها وهو يقول: مش عاوز حد ييجي ورايا، عاوز أبقى لوحدي.
ودخل إلى حجرة (حمزة) المجاورة، وأخرج مجموعة مفاتيح من جيبه أعطاها له (هاني)، فهي من الأشياء التي كانت مع (حمزة).
لينظر إليها: سيبتني ليه يا حمزة؟! حتى إنتَ كنت محتاجَك جدًّا معايا في الفترة دي!
ونظر إلى المفاتيح، فتذكر أحدهم فهو مميز، وتذكر يوم أعطاه لـ(حمزة) ليستريح في شقة مجاورة للشركة حتى لا يحتك بوالده، إذ كانت هذه الشقة لـ(حمزة) يذاكر بها مع أصدقائه حتى يكون تحت عين أبيه ويمر عليه كل حين، وبعدها كانت ليرتاح بها بين فترات العمل.
فالتقط (ظافر) سلسلة المفاتيح مرةً أخرى بجيبه، وفي اليوم التالي ذهب إلى الشركة كعادته.

***

أما (ظلال)، فقد اتصلت بـ(أحمد) ليأتي لها بعنوان الفيلا، فربما وجدت أحدهم تسأله، وبالفعل حدَّث (كمال) وأحضر لها العنوان.
ذهبت إلى هناك تسأل عن (حمزة)، فأجابها الحارس أنه قد سافر، ومنعها من الدخول وطردها، ورأتها (ناهد) فسألت الحارس.
الحارس: يظهر حمزة بيه كان بيعطف عليها، كانت بتسأل عليه وقلت لها مسافر.
(ناهد): أوك، متدخلش الأشكال دي الفيلا، منضمنهاش تكون حرامية ولا حاجة.
أما (ظلال)، فرجعت إلى شقتها لا حول لها ولا قوة، وأما (ظافر)، فبعد انتهاء العمل وهو يخرج مفاتيح سيارته، وجد مفاتيح (حمزة): فعلًا أنا محتاج أبقى لوحدي عشان أفكر كويس في اللي جاي.

***

عند (ظلال)..
الدادة: أنا نازلة السوبر ماركت أشتري حاجات.
(ظلال): أوك دادة، متتأخريش.
الدادة: هوا.
وبعدما خرجت الدادة، كانت (ظلال) تشاهد إلى التلفاز بالصالة، لتجد من يفتح الباب.
فنظرت: إنتِ جيتي يا دادة؟
وجدت (ظافر) يدلف من الباب، وهي بقميص نومها!
فنظر إليها بتعجب: إنتِ مين يا بت؟ وإيه جابك هنا؟
(ظلال) وقد أفقدتها الصدمة وعيها: إنتَ اللي مين؟ وازاي تدخل هنا؟
ثم نظرت إلى نفسها بقميصها العاري وجرت إلى الحجرة وصاحت: حرامي.. حرامي!
وأغلقت على نفسها وارتدت عباءة بسرعة واحتضنت ابنها.
وهو يقرع الباب بقوة: افتحي لأكسره على نافوخك!
وهي ترتعد بالداخل: تكسر مين يا حيوان؟! أنا هجيب لك البوليس!
(ظافر) وقد اغتاظ: أنا حيوان يا حيوانة! طب أنا هوريكِ الحيوان هيعمل في أمك إيه، أما نزلتك بملاية وجبت لك بوليس الآداب يشيلك! الواد حمزة كان بيعط من ورانا ولا إيه؟! وراسم لي توب الدين والورع!
في كانت هي تسب وتلعن بالداخل: إنتَ هتتكلم في حمزة! ده برقبتك.
(ظافر): طبعًا، ما هو مظبتك وعيشة عمر أهلك ما يحلموا بيها.
ثم كسر الباب، لتجد نفسها بمواجهة هذا الوحش الكاسر.
فماذا سيحدث؟

***

(٢٢)

وجدَت (ظلال) نفسها بمفردها هي ووليدها أمام هذا الغول الذي يتأهب لالتهامها، ولكنه وجدها تعتصر وليدها من الخوف عليه وتحتضنه بشدة، فنظَر إلى الطفل لبرهة وتذكَّر حرمانه من أن يكون له طفل.

ثم استعاد وعيَه ونظر إليها بغضب: بقى أنا حيوان!

ثم أخذها من ياقتها الخلفية وهي تحتضن وليدها مُحاوِلةً التملُّص منه، وهي تشبه النملة التي يمسكها فيل.

فحاولت التحدث: إنت ماسِك فار! سيبني يا متوحش!

كاد يضحك على التشبيه واستطرد: لأ عرسة!

فحاولت معه مرةً أخرى: طب اسمعني!

فأجابها: مبسمعش.

(ظلال) بغضب: ليه؟ أطرش؟!

فضربها على رأسها: احترمي نفسك، والله لولا ابنك كنت رميتك من البلكونة.

فغضبت وبعصبية: ليه؟ مفيش قانون في البلد؟!

(ظافر) بسخرية: قانون إيه يا أم قانون، أنا القانون.

فحاولت استمالته مرة أخرى: طب افهمني.

وهو يصم أذنيه عنها: مبفهمش.

فقالت بغضب: فعلًا، شكلك مبيفهمش.

فألقى بها خارج الشقة: ماشي يا غبية، والله لولا ابنك اللي مصبرني عليك.

فخبطت على الباب: طب هات هدومي.

فرد: ملكيش حاجة هنا، تخرجي زي ما جيتي.

فغضبت: والله إنتَ حيوان! فعلًا عمري ما شوفت حرامي يطرد أصحاب الشقة ويقعد هو.

ففتح ليجدها تجري على السلم: ماشي يا بنت الـ... نفدتي بجلدك، كنت هخنقك!

ودخل ليجلس: قال جاي أرتاح قال، عكرت مزاجي بنت الـ...! بس ازاي حمزة يعمل كده؟! مش ممكن!

ووجد الباب يدق مرة أخرى، ليقف مُستحلِفًا لها: والله لو إنتِ تاني ما هتعدي من تحت إيدي سليمة!
ليفتح ويجد امرأة مسنة.
(ظافر) بتعجب: إنتِ مين إنتِ كمان؟ هو الواد ده مبيعتقش، من طفلة لست كبيرة!
السيدة: أنا الدادة.
(ظافر) بضيق: خلاص مش عاوزين، هنقفل الشقة، حسابك كام؟
ليعطي لها حسابها وتمشي.
ثم دخل مرة أخرى وجلس على الأريكة وأرجع رأسه وأغمض عينيه: يا ترى وراك إيه يا حمزة تاني مخبيه عليا؟! وأبويا كان يقول عليا صايع وبتاع نسوان، ييجي يتفرج، من شابَه أخاه فما ظلم.
ويضحك: طلعْت ميّة من تحت تبن، بير غويط ملوش قرار، وأنا اللي كنت مفكر هرتاح هنا، دي الفيلا أرحم! أنا أقفل وأمشي، بدل ما ألاقي مصايب تانية، وأنا اكتفيت النهارده، وعشان أضبط خبر موت حمزة بعد استقرار الأمور والأوضاع في الشركة، مهلة الأسبوع انتهت.

***

أما (ظلال)، فقد أوقفت تاكسي وذهبت إلى أمها، وقالت للسائق أن ينتظرها حتى تأتي بالمال وتدفعه له، وبالفعل صعدت وأخذت من أمها النقود فأعطتها للسائق وصعدت مرة أخرى.
لتجد الطبيب يخرج من غرفه والدها.
ويحدثهم: دي جلطة ولازم يتنقل المستشفى فورًا، وطبعًا لازم مستشفى خاصة حتى يستطيعوا إنقاذه.
أم (فاروق): طب مفيش أي علاج؟ إنتَ شايف الحال!
الطبيب بأسف: مع الأسف، الحالة خطيرة، بس هكتب لكم على حقنة لازم تتجاب من الصيدلية فورًا وياخدها.
(فاروق) بسرعة: ماشي يا دكتور، اكتبها وهروح أجيبها فورًا.
وانصرف الطبيب ومعه (فاروق).

(ظلال) باستغراب: في إيه يا ماما؟!
والدتها تجلس باكية: أبوكِ اتخانق مع زبون، وإنتِ عارفة عصبيته، وطَب ساكت، جابه فاروق هنا جري وجيبنا دكتور.
ثم نظرت إلى ابنتها: وإنتِ جاية بعبايتك كده ليه؟ وإيه موضوع الفلوس اللي طلبتيها؟ أنا كنت مش فايقة أسألك عشان الدكتور كان مع أبوكِ.
(ظلال) وقد آثرت أن تصمت، فماذا ستقول وسط هذه الكارثة: مفيش، كنت قلقانة عليكم، نزلت جري ونسيت الفلوس، فجيت بتاكس، وقفته وخدت منك حاسبه.
أمها بتعجب: قلبك حاسس يا حبيبتي، روحي إنتِ عشان ابنك.
(ظلال) وجحظت عينيها: هاااا! أروح فين؟ والمجنون!
أمها باستغراب: مجنون إيه؟!
(ظلال) وقد أدركت ما قالت: أقصد أروح فين وأسيبكم لوحدكم وأنا مجنونة.
أمها: عشان جوزك.
(ظلال): وهو فين جوزي ده! فص ملح وداب، ولا بيتصل حتى، قال يعني مفيش شبكة في الدولة اللي فيها، ولا مش معاه تمن المكالمة، اسكتي يا ماما وخليني ساكتة.
فرأت والدتها (إسلام) على يديها: طب خشي يا ابنتي نيِّمي الواد جوه في السرير، وخشي لأبوكِ ومتحسسيهوش بحاجة، كفاية اللي هو فيه.
فتفهمت (ظلال) الموقف وأومأت بالإيجاب: حاضر يا ماما، من غير ما تقولي.
ودخلت وضعت طفلها على الفراش ونظرت له وهي بجانبه: يا ترى مصيرنا إيه يا ابني؟! أبوك ومش عارفين طريقه، وشوفت أما روحت أسال كرشونا، ولا المجنون اللي جه مشانا من شقتنا، وخايفة أروح ألاقيه، ولا يعمل فيا حاجة أنا وإنتَ، وخايفة أقول لماما، كفاية اللي هما فيه، وإسراء جوزها لسه مفاقش من العملية، هحملهم همي ليه، كل واحد له همه اللي مكفيه وزيادة، لينا رب اسمه الكريم يا ابني!
ودخلت إلى والدها فقبلت يده وبكَت على نومته هذه دون حراك أو حتى كلام، وجاء (فاروق) مسرعًا: أنا جبت معايا ممرضة من المستوصف اللي جنبنا

تديه الحقنة.
وبالفعل أعطته الحقنة وأعطاها مبلغًا وانصرفت.
الأم: ودي هتخففه يا ابني ويقوم؟
(فاروق): وإنا إش عرفني، هو أنا دكتور! أنا عملت اللي قالي عليه، وأدينا قاعدين، أما نشوف هيحصل إيه.
والتفت إلى (ظلال): وإنتِ، جوزك رجع؟
(ظلال) وهي تغمض عينيها وتتنهد: ولا حس ولا خبر، كإنه اختفى!
الأم لـ(فاروق): اتصل بأختك قول لها، لتزعل إن معرَّفنهاش.
(ظلال): كفاية اللي هي فيه يا ماما، وأحمد لسه، هنحملها حمل على حملها، يعني هتيجي تعمل إيه، وكمان تسيب جوزها.
الأم: يا بت هتزعل، وأختك قماصة.
(ظلال): خلاص، إنتِ حرة.
وقامت لابنها الذي يبكي، أما الأم فكلمت ابنتها الأخرى لتبلغها، والتي قالت على الفور: أنا جاية حالا.
وأمها تهدئها: خليكِ مع جوزك، ده تعبان.
فتذكرت ونظرت إليه.
(أحمد) ينظر إلى (إسراء): قولي لها عندنا كشف النهارده على الجرح، هنروح ونرجع عليهم.
فأخبرتها، والأم ترجوها ألا تُرهِق زوجها.
فأجابتها (إسراء): هو اللي مصمم والله، وإنتِ عارفاه، مش هيرضى يرجع على هنا، لازم ييجي يطمن بنفسه.
***

أما (ظافر)، فذهب ليعلن عن وفاة أخيه إثر الحادث الأليم، فعَلِم الجميع بالشركة، ولكن الأمور كانت قد استقرت مع العملاء والموظفين، فلن يشكل الخبر أهمية، ولكن إن حدث هذا وقت وفاة والده، كان سينهار كل شيء.
وعندما علم (كمال)، اتصل بـ(ظافر) وطلب المقابلة.
وهناك في الفيلا..

(كمال) يعزي (ظافر) وإخوته: طبعًا الوقت مش مناسب، بس أنا هبدأ في إجراءات إعلام الوراثة.

(ظافر) وهو يضع ساقًا على ساق: كل ده تحصيل حاصل، ما هو احنا الورثة وأنا المسئول عن كل شيء.

(كمال): مع الأسف، في ورثة تانيين.

فاعتدل الجميع.

(ظافر): ازاي ده؟!

(كمال): حمزة متزوج ومخلف.

(ناهد): ده كلام فارغ! ده تزوير!

(كمال): أنا شاهد على العقد، وحمزة وفاته بعد والده، يعني الورث لزوجته وابنه، لأن الولد بيحجب الإخوة، لو الوالد كان وفاته بعد حمزة، كان هيبقى له ورث ويئول إليكم، لكن للأسف، اللي حصل العكس.

(ظافر): خلاص، يبقى الوالد مات بعد حمزة، أصلًا حمزة ميت من أسبوع، والشهادة طالعة واحنا مخبيين.

فقام (كمال): وأنا لا يمكن أشترك في الجريمة دي.

(ظافر): خلاص، غيرك كتير يعملوها، شكرًا لزيارتك يا كمال.

يا ترى، هل سيفذ (ظافر) مخططه؟

وماذا سيحدث لـ(ظلال)؟

وهل سيلتزم (كمال) بالصمت ويتنحى؟

***

(٢٣)

كلَّم (ظافر) محاميًا آخر ليقوم بالمهمة بدلًا من (كمال).

أما (كمال)، فاتصل على الفور بصديقه (أحمد) ليخبره أنه يريد لقاء (ظلال) زوجة (حمزة) في أمر خطير، فأخبره أن والد (ظلال) مريض وأن لديه كشف اليوم، وأنه سيذهب إلى الطبيب ثم يذهب بعدها إلى حماه ليطمئن عليه.

فأخبره (كمال) على الفور: أنا هعدي عليك آخدك للدكتور ونروح نزوره.

فرفض (أحمد) حتى لا يرهقه، ولكن (كمال) صمم على أن يذهب معه، وبالفعل أخذه إلى الطبيب للاطمئنان على الجرح الذي بدأ يلتئم، وأعطاه بعض العلاج، ثم ذهب معه إلى (ظلال).

وفي الطريق..

(أحمد) يتحدث إليه: مش عاوز تقول لي في إيه!

(كمال) بتردد: البقاء لله!

(إسراء) و(أحمد) في نفَس واحد: في مين؟!

(كمال): حمزة زوج ظلال توفي.

(أحمد) يغمض عينيه: إنا لله وإنا إليه راجعون!

(إسراء) ويعلوها الدهشة: ازاي؟ وامتى؟!

(كمال) بتردد: حادثة، وأعتقد من أسبوع ومخبيين، لأن نزول ظافر ومسكه الشركة فجأة مش طبيعي، بس لسه معلنين الوفاة.

(إسراء) ببكاء: يا حبيبتي يا ظلال، دي تروح فيها لو عرفت، هنقول لها ازاي دي؟!

(كمال) بتلعثم: المهم اللي جاي، مش اللي فات.

(أحمد) و(إسراء) ينظران إلى بعضهما بعضًا: يعني إيه؟! هو في أكتر من الموت؟!

(كمال) بتوتر: لما توصلوا هتفهموا كل حاجة.

وبالفعل وصلوا إلى البيت.

لتفتح أم (فاروق): برضه جيت يا ابني وإنتَ تعبان، اخس عليكِ يا إسراء.

فقاطعها (أحمد): معي ضيف.
فتنحَّت وقالت: اتفضل يا ابني.
وذهبت (إسراء) لتنادي أختها وتأخذ منها (إسلام) لتلعب معه وتهدهده: حبيب خالتو وحشتني.
فنظرت إليها (ظلال)، لتتذكر (إسراء) مَن بالخارج ينتظر: يلا بينا يا ظلال، في ضيف عاوزِك.
(ظلال) بتعجب: ضيف مين؟ حمزة رجع؟
أختها بتأثر: يلا بس وهتعرفي.
(كمال) عندما شاهدها، قام ليمد يده: البقاء لله يا مدام.
فنظرت إلى الحميع بدهشة وهي تستبعد موت (حمزة) وتتلمس الكلمات التي تنفي هذا.
فأمسكت بها (إسراء): اقعدي حبيبتي، وأستاذ كمال عنده كلام مش هيقوله غير قدامك.
وبالفعل استطرد (كمال): حمزة توفي وأعلنوا وفاته، بس...
فقاطَعَته: إنتَ بتقول إيه؟! حمزة مين اللي توفي؟! حمزة مسافر!
(كمال) لتهدئتها: مدام ظلال، تماسكي، الموضوع أكبر من موت حمزة، كمان أهله رافضين فكرة إنه اتجوز وخلف، ومفكرين إني بكدب عليهم أو لعبة، لأن كل الشركة ونص الفيلا وحاجات تانية باسم حمزة، ورافضين يحطوكِ إنتِ وابنك في إعلام الوراثة.
وهي مذهولة.
والأم تترحم عليه: أعوذ بالله من دي بشر، ياكلوا مال اليتيم!
(كمال): هما مش مصدقين أصلًا إن حمزة يكون متجوز ومخلف، أنا فاهم ظافر، بيشُك في صوابع إيده، ولازم نتصرف بسرعة ونطلع شهادة وفاة حمزة اللي اتوفى بعد وفاة والده، ونعمل إعلام الوراثة، يعني لازم توكيل بالقضايا مدام ظلال تعمله فورًا عشان نلحق قبلهم.
(ظلال) ببكاء: وأنا مش عاوزة منهم حاجة.
(كمال): لو إنتِ مش عاوزة، فين حق ابنك، ازاي تتنازلي عنه؟! وهتقولي له

إيه لما يكبر؟! ضيعت حقك!
(أحمد) بتفهم: كمال عنده حق يا ظلال، إنتِ مش حرة نفسك، ده حق ابنك اللي هيطالبك بيه قبل أي حد.
(ظلال) بانهيار: يعني أعمل إيه؟! أبوس إيدهم! إنتَ متعرفش اللي حصل لي، دول ناس معندهمش رحمة، أنا مكنتش أعرف مين ده، بس دلوقت عرفت.
وقصت ما حدث لها من (ظافر).
لتحتضنها أمها: ومقلتيش ليه؟
أغمضت (ظلال) عينيها: أقول إيه بس، وأنا جيت لقيت بابا طَب وقِع من طوله، هحملكم همي أكتر ما إنتم!
لتربت الأم على كتف ابنتها: معلش يا ابنتي، كان مستخبي لك الهم ده فين، اترمِّلتي وعلى إيدك عيل وإنتِ لسه مجبتيش عشرين سنة.
(كمال): المهم دلوقت بكرة تعملي لي توكيل عشان نلحق نخلص إجراءاتنا بسرعة.
(فاروق): وأنا هاخدها بكرة ونعمل التوكيل ونديهولك.
وأخذ رقم (كمال) وأعطاه رقمه.
وفعلًا، تم عمل التوكيل وأيضًا الإجراءات تمَّت واتصل (كمال) بـ(ظلال) ليخبرها أنه لا بد أن يذهب معها إلى الفيلا لملاقاة (ظافر) والجميع.
وبالفعل، ذهب كل من (ظلال) و(كمال) و(فاروق) إلى الفيلا؟
(كمال): طب اسبقوني على ما أركن.
ودخل (فاروق) و(ظلال) ومعها (إسلام) على كتفها من بواة الفيلا، ليوقفهما الحارس وأيضًا كانت (أشجان) أخت (حمزة) الصغيرة في حديقة الفيلا، فذهبت تسأل الحارس.
ليُجيبها: عاوزين يدخلوا بالعافية.
(أشجان): إيه الجرابيع دول؟! إنتم مين وعاوزين إيه؟
(فاروق) بعصبية: إنتِ اللي مين؟! احنا أصحاب الفيلا دي.
(أشجان) بعصبية: إنتَ مجنون!
(فاروق): إنتِ اللي مجنونة وستين مجنونة، يا حرامية!

لتضربه بالقلم، فحاول التعدي عليها، ليقف له الحراس.
(فاروق) بغضب: قسمًا بالله لأدفعك تمنه غالي قوي القلم ده.
وأتى (كمال) الذي تأخر حتى وجد مكانًا ملائمًا: في إيه؟!
وطبعًا الجميع يعرفونه.
فقال: خلاص، هما تبعي.
ودخل بهم، كان الجميع مع المحامي الكبير، ليأتي (كمال).
وعندما شاهدتها (ناهد): إنتِ تاني؟! مبتحرميش، مش طردتك مرة!
وقام (ظافر) ينظر إليها بغضب: أنا مش كرشتك من الشقة قبل كده؟! كمان جاية الفيلا! أما بجاحة بصحيح.
كادت تذهب، ليمسكها (فاروق): ده حقك إنتِ، واللي مش عاجبه هو اللي يمشي.
(كمال) يُحيِّي أستاذه المحامي الكبير: أظن حضرتك هتعرف الأوراق دي صحيحة ولا مزورة.
(ظافر) ينظر: إيه ده؟
فأتاه رد المحامي: مضبوطة وسليمة مية في المية، ده عقد زواج حمزة من ظلال، وشهادة ميلاد إسلام ابنه، وده إعلام الوراثة، طبعًا من حق مراته وابنه الورث، لأن الوالد توفي بعد حمزة، والابن بيحجب الأخوة.
ليقف (ظافر) ويأخذ الأوراق: إنتَ واثق إن الأوراق دي سليمة؟
فأكد المحامي ذلك.
همَّت (ظلال) بالمضي بعد نظرات (ظافر) غير المصدقة، ليجذبها من يدها، فنظرت إلى موضع يديه ثم نظرت إليه بتعجب.
ليقول: امشي اطلعي فوق.
فنظرت إليه: أنا مش ممكن أعيش هنا مع ناس بيكرهوني ومش مصدقيني.
لتقوم (ناهد): إنتَ بتقول إيه يا ظافر؟! إنتَ صدقتهم!
(ظافر) بعصبية: خلاص يا ناهد.
وجحظت عيناه فارتعبت.
فاستطرد: الأوراق سليمة، ومش هناكل حق ابن أخوكِ حتى لو أبوكِ كان ظالم

وكتب له كل حاجة هنا.
(ظلال): وأنا مش هقعد هنا.
فهمس بأذنها: وأنا قلت خدي ابنك واطلعي فوق، وأنا مبحبش أكرر كلامي.
(ظلال) بعصبية: وأنا لا يمكن...
فقاطعها بصوتٍ جهوري: خلاااص، يبقى تمشي وتسيبي ابنك، ابن حمزة البنهاوي لا يمكن يتربى إلا في بيت البنهاوي، زي أبوه، ولو مش عاجبك الباب يفوت جمل.
(ظلال): وأنا لا يمكن أسيبه لكم.
(ظافر): يبقى تسمعي الكلام، خديها يا ناهد.
كاد (كمال) أن يتحدث، فأوقفه بإشارة من يده: انتهى دورك يا متر، وكل واحد هياخد حقه، أنا مش هاكل حق ابن أخويا الوحيد.
فسكت (كمال)، لأنه يعلم (ظافر) جيدًا، فطالما صدَق ووعَد فسيُنفِّذ.
أما (فاروق) فتحدث قائلا: وأنا مش هسيب أختي هنا لكم.
فنظر إليه (ظافر) باحتقار: امشي ياد من هنا.
وأمر الحرس بأخذه إلى الخارج.
و(فاروق) يهدد: والله ما هسيبكم، إما وريتك إنتَ وأهلك مبقاش أنا فاروق!

***

أما (بنان)، عندما سمعت بزواج (حمزة)، ذهبت مسرعة إلى حجرتها: بقى كده يا حمزة، دي آخرتها، والله لأوريكم كلكم يا اولاد البنهاوي، تاكلونا لحم وترمونا عظم، زي ما مصيتوا دم أبويا، والآخر صبرت على أمل أتجوز حمزة وأورث، وفي الآخر تيجي جربوعة من الشارع تاخد الجمل بما حمل، ماشي، أنا وإنتم والزمن طويل.

***

أما (ناهد)، فنزلت إلى أخيها: إيه اللي عملته ده؟! تخلي الجربوعة دي وسطينا!
(ظافر): أمال أسيبها لوحدها تبهدل كل اللي عملناه في السنين اللي فاتت، لازم تبقى تحت عيني، ناسية الشركة، عشان حد يضحك عليها ولا تبيعها بدون علمنا، ده أنا صفيت شركتي وهتنضم للشركة دي لأنهم في الأصل الشركة نفسها بس فروع منها، والآخر أسيبها لعيل طايش يضحك عليها ويبيَّعها شقا

عمرنا، ولا لأخوها اللي بيشرب بانجو ده يضيعها.
(ناهد) بتفهم: عندك حق.
وقام (نادر) ليُربِّت على كتف (ظافر): معاك حق يا ظافر في كل اللي عملته، ولو احتجت حاجة أنا موجود، يلا يا ناهد عشان ورايا شغل بكرة.
(ناهد): مش عاوز حاجة يا ظافر؟
(ظافر): لا حبيبتي، بالسلامة إنتِ.
ودخل مكتبه، فجلس على كرسيه وأرجع ظهره ورأسه إلى الخلف، وخلل أصابعه في خصلات شعره: أنا إيه اللي بيحصل لي ده؟! ما كنت عايش في ألمانيا ملك، فجأة الدنيا تتهد فوق دماغي كلها!
ليأتيه اتصال من (بهاء): تم التحويل يا باشا، عشان تبقي واثق فيا، ومن غير ما آخد ورق الضد، لأني واثق فيك، مش زيك.
(ظافر) يضحك: وأنا واثق فيك فوق ما تتصور، ومتأكد من كده، وعشان كده هتلاقي الورق باسمك في خزنه في البنك.
(بهاء) باستغراب: بجد! يعني الورق معايا من الأول! ربنا يديم المعروف بينا يا صاحبي، وعلى فكرة، مراتك كانت بتسأل عن ثروتك، وعرفِت إنك بِعت كل حاجة، كانت جاية هي وقريبها اللي اسمه...
(ظافر) بسرعة: إلياس.
(بهاء) وقد تذكر: آه، هو ده، واد طري كده.
(ظافر) يضحك: تشربه، لو رفعِت طلاق خلص الإجراءات.
(بهاء) بتفهم: أكيد طبعًا.
وأغلق معه الخط، ليرجع بظهره مرة أخرى، ثم استدعى الدادة لتذهب وتنادي (ظلال).
فذهبت إليها الدادة ودقت الباب، لتأذن لها بالدخول.
الدادة: ظافر بيه عاوزك يا ابنتي.
فانتفضت: عاوزني أنا! فين وليه؟!
الدادة: في المكتب تحت، متتأخريش.
وتركتها، لتسير (ظلال) ذهابًا وإيابًا في الغرفة وتنظر إلى ابنها النائم: يا ترى

عمك عاوزني في إيه؟!
ونزلت بسرعة، لتدق الباب، فأذن لها بصوته الجهوري: ادخلي.
فدخلت على استحياء خافضة رأسها: أفندم.
فلم يُقِم وجهه عن الأوراق التي أمامه: اقعدي.
فنظرت إليه: أفندم.
فنظر إليها: قلت اقعدي، مبتسمعيش.
فجلست على الفور على أقرب مقعد.
يا ترى، ماذا تخبئ الأيام لـ(ظلال)؟ وكيف ستكون إقامتها في الفيلا؟

***

(٢٤)

قام (ظافر) بطوله الفارع وعدل من هندامه، واتجه إلى المقعد الذي أمامها، وهي قلبها يكاد ينخلع من بين الضلوع أو يقف تمامًا كلما اقترب منها، جلس في مواجهتها ثم فتح ساقيه، وبحركة فجائية جذب مقعدها وأصبحت ساقاها بين ساقيه، فشهقت كردٍّ فعلٍ لما فعله حتى كادت تفقد النطق وينخلع قلبها.

(ظافر) مهدئًا إياها: متخافيش، طبعًا أنا مأقصدتش اللي حصل في الشقة لأني مكنتش أعرف الحقيقة، وكنت مفكرك...

وتلعثم: طبعًا إنتِ فاهمة كلامي.

وهي في نفسها: إنسان متعجرف متكبر، مستكبر يقول لي آسف ويعتذر عن عملته السودا فيا.

فأحس (ظافر) أنها سارحة ولا تعبأ بكلامه أو تعيره أدنى اهتمام، فتعصب وخبط على المكتب بيده بقوة: هو أنا مش بأتكلم!

لتستفيق وتعود من حديث النفس وتشهق: هاااااا آه، معاك فاهمة، خلاص حصل خير.

(ظافر) بضيق: المهم، البيت ده بيتك وبيت ابنك، وهو أمانة في رقبتي، ولو حد بس عمل حاجة تقولي لي فورًا.

فأومأت برأسها بتفهم، ثم استطردت: بس أنا مش عاوزة أقعد هنا، رجعني شقتي.

فتعصب (ظافر)، ليجز على أسنانه: وأنا قلت مفيش خروج من باب الفيلا دي إلا على قبرك.

فجحظت عيناها: ازاي يعني؟! وكليِّتي!

(ظافر) بعدم اهتمام: متلزمنيش.

(ظلال) وكادت تبكي: بس حمزة وعدني إني هكمل تعليمي.

فأغمض عينيه: خلاص سيبيني أفكر في الموضوع.

فاستطردت: أرجوك، متحرمنيش من كليِّتي.

فالتفت إليها واقترب من أذنها حتى أخجلها قربه: قلت هفكر في الموضوع، متبقيش لحوحة.
فحاولت الابتعاد بإسناد ظهرها على المقعد وهي تومئ برأسها واستطردت: طيب، ممكن طلب بسيط؟
(ظافر) وقد أعيته طلباتها الكثيرة: اتفضلي.
فأجابته: أنا مش معايا ملابس هنا، وكل لبسي سيبته في شقتي ساعة...
فقاطعها: فاهم، خلاص بكرة ناهد تاخدك وتجيبه، أو أنا هاخدك بنفسي أوديكِ تلمي هدومك وأرجعك تاني، عشان أضمن مش هتروحي هنا ولا هنا.
فاغتاظت (ظلال): هو أنا مسجونة ولا إيه؟! إنتَ هتحبسني!
فقام (ظافر) بطوله الفارع أمامها، لترفع رأسها عاليًا وهو يجيبها: حاجة زي كده.
فقامت أمامه وهي كالعصفور، فهي قصيرة، وكان (حمزة) بالنسبة إليها أطول بعض الشيء، أما هذا فأطول بكثير، فأحست بقزامتها أمامه، ولكنها استجمعت شجاعتها وباغتته بردِّها: ليه بقى إن شاء الله تحبسني؟! بأي حق تحبسوني هنا؟! لا قانون ولا أي حاجة تسمح بكده!
فنزل إلى أذنها ليهمس بها: ده قانون ظافر البنهاوي، واللي يقوله يمشي على الكل، من الكبير للصغير، فاهمة!
فعقدَت يديها ولم تُجِبه.
فاعتدل بطوله ليقول بصرامة: أنا بقول فاااهمة!
لتجيبه بفزع من حدته: فاهمة فاهمة.
وكادت تجري من أمامه، ليجذب ذراعها قبل رحيلها، فنظرت إلى موضع يده، فلم يُبالِ بنظراتها.
واستطرد: بكرة تصحي بدري عشان أوصلك في سكتي وأرجعك قبل ما أروح الشغل.
فنظرت إليه: حاضر، أي أوامر تانية؟
فتركها وأعطاها ظهره وهو يرد دون اهتمام: لا خلاص، لما يبقى في أوامر تانية هبلغك بيها.

لتجحظ عيناها من صفاقة هذا الذي أمامها، فهي لم تعتَد هذا النوع من الرجال، فـ(حمزة) كان كالنسمة في رقته وحنيته.

وحين كانت هي واجمةً جاحظة العينين تنظر إلى هذا المتعجرف الذي يوليها ظهره ويتحدث إليها من عليائه، وعاقدةً ساعديها، التفت فجأة فرآها هكذا، فاستغرب: في حاجة تانية؟

فاستفاقت من غفلتها: هاااااا! لاااااا، أنا ماشية، وحاضر هصحى بدري، وهشرب اللبن قبل ما أنام وأغسل كعوب رجليا كمان.

وانصرفت وتركته يضرب كفًا على كف: إيه الطفلة اللي بليتنا بيها دي يا حمزة، أنا ناقص أدادي في أطفال كمان! مش كفاية الهمّ اللي أنا فيه ومصايب الشركة اللي فوق دماغي، لا دي كمان وبتتريق مش عاجبها كلامي! ماشي يا ظلال، أما ربيتك من أول وجديد، ما أنا هشتغلك دادة ليكِ ولابنك، ماشي يا حمزة، تعمل العملة وأنا اللي أقع فيها.

ويضحك: ولا كعوب رجليها دي كمان اللي هتغسلها، جايب لي عيلة وهبلة كمان! الله يرحمك يا حمزة، يلا ربنا يغفر لك بقى.

وفي اليوم التالي، استيقظت مبكرًا وكانت بملابسها نفسها التي قدمت بها، فليس لديها غيرها، وأخذت ولدها ونزلت إلى البهو الكبير، لتجده يتناول قهوته ويمسك بالجريدة.

فوقفت أمامه: أنا جاهزة.

فنظر إليها من خلف نظارته التي يقرأ بها، وأشار إليها: اقعدي افطري إنتِ وحمزة الصغير.

فأجابته بحدة: مليش نفس، يلا.

فنظر إلى قهوته: مش شايفاني بشرب القهوة! قلت اقعدي افطري وفطري ابنك.

فأخذت تبدل ساقيها وتتأفف، فنظر إليها (ظافر): كلي بدون تأفف، احنا مش حاطين لك سم في الأكل، أنا فطرت منه قبلك.

فنظرت إليه، هي لم تقصد هذا، فهي تتأفف من معاملته ولا تظن به هذا، واستجمعت شجاعتها: على فكرة، أنا مأقصدش كده، وعارفة إنه مش مسموم، وحتى لو مسموم، هاكله لو ده يرضيكم.

وتناولت منه بضيق وهي تنظر إليه، وهو ينظر إلى الجريدة الصباحية، فلاحظت تغير تعبيرات وجهه وهو يقرأ الأخبار، وفجأة انفرط ضاحكًا، فتعجبت من هذا المجنون الذي استطرد: عشان يحرم يقف قصادنا.

وطوى جريدته وقام يعدل من هندامه، وهي تنظر إليه: خلاص سموك أذنت لنا بالرحيل؟

(ظافر) ليزيد من حنقها: يلا كفاية عليكِ كده عشان متتخنيش، مش كنتِ مش عاوزة تاكلي، نفسك اتفتحت دلوقت؟!

لتنظر إليه باستغراب وتحمل وليدها: يلا يا ابني، ربنا يصبرنا على المجانين دول.

وذهبت خلفه إلى السيارة، لتجد مقعدًا في الخلف مخصصًا للطفل، فوضعته وركبت بجانبه.

فاستشاط (ظافر) غضبًا: هو أنا الشوفير بتاع الهانم ولا إيه؟! ما تيجي هنا يا هانم!

فقامت مفزوعة من طريقته: أنا آسفة مأقصدش، بس خوفت إسلام يعيط.

وانطلقت إلى المقعد المجاور له في هدوء حتى لا يستشيط من مجادلتها له كعادته.

ذهب بها إلى شقتها وفتح الباب ودخل، فدخلت وراءه ووقفت على الباب تنظر إلى حوائط هذا المنزل الذي كان يعج بالضحكات، إذ أصبح يكسوه الغبار وكأن قاطنوه هجروه منذ زمن بعيد وليست أشهر معدودات، وقد تحولت ضحكاته إلى أنين لفقدان أصحابها.

ليفزعها بصوته: ماتيلا يا هانم، وأنا هفضل مستنيكِ طول العمر؟! ما تخشي تخلصي، أنا مش فاضي لك، ورايا شغل.

لتنتبه وتجري: حاضر حاضر.

فجذبها من ذراعها وهي تمر أمامه، فنظرت إليه: في حاجة؟

فأشار إلى (إسلام): هاتي حمزة الصغير لحد ما تخلصي.

فأعطته إياه، ليضحك (إسلام) لعمه بمجرد أن رآه، فهو يشبه (حمزة)، ولكن الفارق بينهما الطول، فقد شعر (إسلام) أنه بين يدي أبيه فضحك.

وبينما هي تنظر إلى (إسلام) وتسرح، أوقظها من غفلتها: ماتيلا خلصي.

فجرت من أمامه: حاضر هخلص أهو.
ثم جلس (ظافر) وهو ممسك بـ(حمزة) يداعب فيه ويقذفه وهو يضحك بصوت عال، فكانت فرحة بضحكاته؟
ثم استطرد (ظافر): إيه، غاوي لعب يا وريث! إنتَ ياد هتبقى وريث البنهاوي، عارف يعني إيه تورث إمبراطورية البنهاوي بعدي، يعني لازم تبقي قدها وقدود، عشان كده لازم تكبر قدام عيني وتتعلم كل حاجة مني عشان متضيعش شقى السنين بتاع جدك وأبوك وعمك، أنا عارف إن أمك هتحاول تقسِّيك عليا، بس بعد كده هتفهم بعمل ده كله ليه، مش ممكن أسيبك لأمك تربيك على مزاجها وتطلع واد طري تبوظ وتهد اللي بنيناه، حتى لو طلعت بتكرهني ميهمنيش، بس لما هتكبر وتفهم هتشكرني بعد كده.
كانت تسمع كلامه وتقف ناظرةً إليهما وهو يحادثه، و(إسلام) يضحك.
ثم استطرد: إنتَ عارف، لولاك متعرفش كنت عملت إيه في أمك دي، إنتَ اللي وقفت بيني وبينها، أنا كنت ممكن أرميها من البلكونة على الكلام اللي قالته، لولا نظرتك ليا.
وهي تجحظ عيناها وتعقد ذراعيها: إيه البني آدم ده! عمره ما يكمل كلمتين كويسين على بعض، يبوظهم تاني.
لينظر إليها فجأة فتتلعثم، وهو يباغتها: خلصتي؟
فأجابته بسرعة: خلاص قربت.
فاستغرب: أمال واقفة تعملي إيه؟! أنا مش فاضي لك!
ففزع (إسلام) وكاد يبكي فجرَت عليه، ليبعدها عنه: روحي كملي، شوفتي عمايلك! خليتي الولد يتفزع.
وأخذ يهدهد فيه حتى ضحك مرة أخرى، وذهبت هي تضرب كفًا على كف: عمايلي أنا برضه! والله راجل مجنون، أنا عملت إيه في دنيتي عشان يحصلي ده كله!
ثم انتهت مما تفعله وأحضرت شنطة كبيرة، لم تستطع حملها، فهي تكبرها وزنًا.
فأخذها منها: خلاص كده خلصتي ولا في حاجة تاني؟
فردت عليه: لأ خلاص، ما تسيبني أنا وابني هنا.

فالتفت إليها: أظن احنا اتكلمنا في الموضوع ده قبل كده، مش عاوزين كلام كتير ورغي في الموضوع ده لأنه منتهي، يلا قدامي.
فأشارت إليه: طب هات إسلام عنك عشان الشنطة تقيلة.
فرد بحدة: ملكيش دعوة.
وأخذ يتلفت: حطي إيدك في جيبي اليمين وهاتي المفتاح.
فنظرت إليه وفتحت ثغرها: هاااا!
فاستطرد بحدة: يلاااا! إنتِ هتبرقي لي.
فوضعت يدها لتخرج المفاتيح: هي دي؟
فأجاب بالنفي: لا دي بتاعة العربية، خليها معاكِ، شوفي الشمال.
فلم تجد شيئًا، فاستغرب لتتلفت فتجدها على الفوتيه الذي كان جالسًا عليه، فتناولتها: يظهر وقعت منك وإنتَ قاعد.
فأومأ برأسه: يلا اقفلي وحطيها في جيبي تاني.
ففعلت ذلك وانطلقت خلفه، لتلتوي ساقها وكادت تقع، ليرمي بالحقيبة من يده ويلقفها بيده، فأصبحت هي على ذراع وابنها على الأخرى، لتشهق من سرعة ما حدث وتخجل، وتخفض عينيها التي ظل ينظر إليها.
ثم أنزلها: إنتِ كويسة؟
فردت بخجل: اااه، آسفة جدًّا، رجلي اتجزعت.
فنظر إلى قدميها: طيب عارفة تمشي؟
فحاولت المشي، وردت عليه بالإيجاب، فنظر إليها: أمال لو شايلة الشنطة ولا إسلام، يلا يلا!
فاستشاطت منه: يلا!
وتقدمته ونزلت وهي تزيحه من طريقها، ليرتفع حاجبه: لا والله! خدتي حبوب الشجاعة، الله يرحم! لولا دراعي كان زمانك في الجبس دلوقت.
فنظرت إليه: احنا هنمشي ولا لأ؟!
فنزل وتناول الشنطة التي وقعت من يده: يلا يا هانم.
يا ترى، ماذا سيحدث في هذه العائلة؟

***

(٢٥)

ركب سيارته وهي بجانبه و(إسلام) في مقعده الخلفي، وهي عاقدة ذراعيها وتمد شفتيها تارة وتقضم عليها تارةً أخرى، وهو لاحظ ذلك، فأوقف السيارة على جانب الطريق.

لتنظر إليه: إنتَ بتركن هنا ليه؟

نظر إليها وبصوت عال: إنتِ إيه اللي مضايقك دلوقت ومكشرة وقالبة بوزك شبرين ليه؟!

(ظلال) وقد أخذت حبوب الشجاعه كعادتها: عشان زهقت وقرفت من معاملتك، كل حاجة تسخر مني وتتريق عليا وبتعاملني زي ما أكون أسيرة أو مسجونة عندك، كل خطوة بحساب، ومينفعش أمشي غير بإذنك ومعاك، وكل حاجة أعملها تشخط فيا ومش عاجباك، وتقطمني وأقعد أبرر وأتأسف إني مأقصدش.

وأخذت تبكي: أنا مش طايقة العيشة دي، مش عاوزة فلوسكم دي خلاص، روحني عند أمي، عاوزة أروح لماما، عاوزة أروح لماما.

لينظر إليها: هو أنا واخد بنت أختي من الحضانة وهرجعها لمامتها! ما تكبري شوية وبلاش حركات الأطفال دي، إنتِ بقيتي ست وعندك طفل أهو وكلك أنوثة ما شاء الله، يبقى نكبر ونعقل وبلاش خيابة وعبط.

فنظرت إليه والدموع تكسوها: أنا عبيطة.

فقاد دون رد وهي ما زالت تنظر إليه، لتعقد ساعديها مرة أخرى وما زالت الدموع تكسوها، ليصل إلى الفيلا، فنزلت وأخذت ولدها، وحين التفت وجدته أمامها وعلى مقربة كبيرة منها، حمل الشنطة ووضعها بجانبه ليقبل (إسلام) قبل أن يعود إلى العمل، وهي حاولت تنحية وجهها عنه، فمسح بإصبعه الدموع المتساقطة على خديها، فجزعت لفعلته ولم تكن تتوقعها، وهو أيضًا، وكأنه استفاق بعدها، فأبعد يده وتعامل بجدية: خلاص بقى بطلي عياط، أنا ماشي، عاوزة حاجة؟

فردت عليه بضيق: متشكرة.

ونادى على الحارس ليدخل الحقيبة، ثم دخلت (ظلال) ووجدت (ناهد) و(نادر)، فأخذت (ناهد) (إسلام) منها لتقبله وتهدهده: حبيبي إنتَ يا ابن أغلى الناس على قلوبنا.

فالجميع لولا (إسلام) الذي يشعرون أنه عوض عن أبيه لكان تعاملهم معها غير ذلك.

(ناهد) موجهة حديثها إلى (ظلال): أمال فين ظافر؟

لترد عليها بسرعة: راح الشغل.

(ناهد) بلطف: طيب تعالي معايا نشتري حاجات ليكِ عشان مش عاجبني طريقة لبسك.

(ظلال) بضيق: لأ شكرًا، ثم أنا جبت الملابس بتاعتي من شقتي خلاص، وأصلًا ظافر بيه مش هيخليني أخرج، لأني مسجونة هنا ومبطلعش غير بأوامره.

(ناهد): متخافيش، هو أصلًا اللي كان مديني الفيزا امبارح وقال لي أروح معاكِ أجيب لك ملابس.

فنظرت إليها: بس أنا لما طلبت منه أجيب هدومي من الشقة مقالش حاجة وخدني جابها لي.

(ناهد) بتعجب: معرفش، يمكن محبش يقول لك لأ عشان متزعليش، يلا بقى غيري الهدوم دي وخدي إسلام غيري له ويلا بينا.

(نادر): طيب أنا هروح عشان تعبان، واستأذنت من الشغل أرتاح، لولا إنتِ اللي أصريتي أجيبك هنا.

(ناهد) بتفهم: لا يا حبيبي، اطلع ريح في حجرتي على ما نيجي، ونروح سوا بدل ما تتعب وتروح لوحدك.

فاستجاب لها وصعد إلى حجرتها، وانطلقت (ظلال) وابنها إلى غرفتهما وبدلت ملابسها هي ووليدها ثم انطلقت على الفور إلى (ناهد).

أما (أشجان) فنائمة بغرفتها، و(بنان) تتابع ما يحدث، وبمجرد خروج الجميع، دخلت (بنان) لتأخذ شاور وخرجت قبل أن تكمل متدثرة بمنشفة تغطي الصدر إلى نصف الفخذ وشعرها مبلل، ثم ذهبت إلى الغرفة التي بها (نادر)، وحينما دخلت تصنعت المفاجأة، وهو ذهل من منظرها.

(نادر): في إيه يا بنان؟
(بنان) بخضة مصطنعة: إنتَ هنا يا نادر! فكرت مفيش حد في الحجرة، أصل كنت باخد شاور والميّة معرفش حصل فيها إيه، فقلت أكمل هنا لأن أشجان نايمة وخفت أصحيها، بس خلاص بقى، أرجع وأمري لله.
والتفتت لتفتح الباب، لينطلق إليها ويغلقه: طب هتمشي ليه، ما تدخلي، يعني هتفضلي عليكِ صابون كده!
فتلعثمت: بس...
فباغتها: لا بس ولا حاجة، خشي كملي الشاور بتاعك.
وفعلًا، انطلقت إلى الحمام وقد بدأت مخططها، وأنهت حمامها سريعًا وخرجت تنشف شعرها وهي تضع حولها منشفتها كما كانت وتنفض شعرها في الهواء من الماء، وبعد أن مشطت شعرها، كان هو يتفحصها بنظراته، فحاولت أن تستأذن لتخرج.
ليقول لها: ما تخليكِ شوية، مستعجلة ليه؟
(بنان) بخوف: لحسن حد يشوفنا ويفهم غلط.
(نادر) بإطمئنان: محدش هنا، ظافر وظلال وناهد بره.
فجرت على الباب: بس أشجان نايمة، لتصحى تدور عليا وتلاقينا، بعدين ناهد تزعل وتفكر في حاجة بينا.
وجرت وأغلقت الباب خلفها، وهو يتأفف ويخلع قميصه: يخربيت كده! ده أنا اللي عاوز دش متلج بعد النار اللي أنا فيها دي!
ثم ألقى بنفسه على الفراش، وعقد ساعديه خلف رأسه وهو يحملق في السقف ويفكر: بت صاروخ.
حتى غلبه النوم وهو على هذه الحال.

***

عاد (ظافر) وجلس بمكتبه، وأيضًا (ناهد) و(ظلال).
استطردت (ناهد): طلعي حاجتك وقسيها براحتك بقى وحطيها في دولابك على ما أشوف ظافر.
وبالفعل، صعدت (ظلال) إلى حجرتها، و(ناهد) ذهبت إلى غرفة (ظافر).

فنظر إليها: إيه، انبسطتوا وعملتوا شوبنج؟
(ناهد) تقبله: ميرسي يا ظافر، آه حبيبي، اشتريت ليا شوية حاجات تجنن وحاجات لظلال، ربنا يخليك لينا.
وبتلعثم وتردد: بس...
(ظافر) وقد انتبه واعتدل بجلسته: في إيه؟ محتاجة حاجة؟ أؤمري، دي فلوسك قبل ما تبقى فلوسي، واللي عاوزاه أطلبيه فورًا يكون بين إيديكِ.
(ناهد) بسرعة: لا يا حبيبي، خيرك مغرقني، وعارفة كل اللي بتقوله، بس عاوزة أكلمك في حاجة مهمة.
فاعتدل لها أكثر: طب اقعدي.
فحاولت أن تبدأ الكلام، ولكنه وقف في حلقها.
فتعصب: في إيه يا ناهد؟ ما تقولي قلقتيني، نادر عملك حاجة؟ وأنا أطلع لك عين أمه.
فالتفتت له: لا لا طبعًا، ده موضوع تاني خالص.
(ظافر) بضيق: طب قولي وخلصيني.
فاستجمعت شجاعتها: ظلال!
فانتبه لها: مالها؟ فيها حاجة؟
(ناهد) وقد أحست بتخوفه: ومالك اتخضيت كده ليه؟!
(ظافر) بتلعثم: أبدًا، بس استغربت في إيه، ما هي كانت كويسة الصبح.
(ناهد) بابتسامة: متقلقش كويسة.
(ظافر) بضيق وبدأ يتأفف: أمال في إيه؟ ما تخلصي، تعبتي أعصابي.
(ناهد) بجدية: لازم تتجوز ظلال، هي عدتها خلصت أعتقد، فين من وفاة حمزة وفضلت عند والدتها فترة طويلة على ما تعمل إعلام الوراثة وجت هنا، أعتقد وفت عدتها ومن حقها تتجوز أو قربت تخلص.
فاستفاق من تأثير الصدمة ووقع الخبر عليه: إنتِ اتجننتي يا ناهد! ازاي تفكري في حاجة زي كده؟! دي طفلة! مش ملاحظة الفرق بينا في السن وفي كل شيء، اختلاف بين السما والأرض، أنا عمري ما تخيلت تفكيرك يوصل لكده، أتجوز مرات حمزة يا ناهد، حمزة! أنام في فرشته ومع مراته! إنتِ أكيد جرا في مخك

حاجة!
فوقفت (ناهد) أمامه: ده أنا أبقى مجنونة لو مفكرتش في كده، ثم حمزة مات، ودي أرملته، مش مراته، والحي أبقى من الميت، ولما تجيب لنا صايع من الشارع تجوزه وياخد شقى السنين، يبقى إيه الحال؟!
فانتبه (ظافر): تتجوز! ده أنا كنت قتلتها وقتلته، هي فكراها سايبة!
(ناهد) بتعجب: أمال هتعيش طول العمر أرملة؟! دي ١٩ سنة ولا ٢٠، لسه في أولى جامعة، يا دوب خلصت تيرم واحد وفي أجازة نص السنة أهي.
(ظافر): هي فعلًا كلمتني تروح الجامعة، وقلت لها هفكر، لأني خايف من الجامعات وحد يلعب في دماغها.
(ناهد) وقد وصلت إلى مرادها: أهووو شوفت، إنتَ نفسك فكرت في كده.
(ظافر): ااه، بس أنا فكرت مأوديهاش الجامعة أصلا.
(ناهد) بتعقل: بص يا ظافر، أقعد حبيبي، احنا مش من حقنا نسجنها ونعمل ده كله، ممكن تطفش وتتجوز وتيجي لنا بجوزها.
فتعصب وقام: ده أنا أقتلها لو عملت كده.
(ناهد): ليه؟! هي مش بتعمل حرام، ثم احنا مالنا، هي كانت مرات أخونا ومات، نحجر عليها ليه، من حقها تتجوز، صغيرة وحلوة ومعاها فلوس وألف من يتمناها، صيدة سهلة لأي حد عشان تخرج من السجن اللي فرضته عليها.
(ظافر): يعني أعمل إيه أكتر من اللي بعمله، كل حاجة والمسئوليات كلها فوق دماغي وكمان هعمل مراقبة على الست هانم!
(ناهد) وقد اطمأنت أن لحديثها تأثيرًا: هي حتة ورقة هتربطها بيك طول العمر، وكل حاجة تبقى في إيدك، حتى وصاية إسلام، ونضمن متهربش وتتجوز.
(ظافر) بتعجب: ازاي يعني، ما هي هترفض، لو مش عشان أخو جوزها، عشان فرق السن وحاجات كتير بينا مختلفة.
(ناهد): ملكش دعوة، أنا ليا أسلوبي، بس إنتَ فكر في الموضوع وأنا هكلمها، مش بعد ما أقنعها تقولي لأ.
(ظافر) بتأكيد: عمرها ما هتقتنع، دي مبتطقنيش أصلا.

(ناهد) بثقة: هنشوف.
وانطلقت إلى (ظلال) وهي ترتدي ملابسها، فقرعت الباب واستأذنت ودخلت، لتفزع (ظلال) وتستر نفسها.
(ناهد): متخافيش، احنا بنات زي بعض، ما شاء الله عليكِ، له حق حمزة يتدب على بوزه.
فابتسمت (ظلال) وتذكرت (حمزة)، وجلست على طرف فراشها بقميصها وسرحت: حمزة! ده كان حنية الدنيا فيه.
وأغمضت عينيها: ربنا يرحمه ويسامحه على اللي عمله فيا.
فتداركت (ناهد) الحديث: عمل إيه؟! إنتِ كنتِ تحلمي بالعز ده وعندك طفل جميل زي ده!
فتنهدت (ظلال): وأرملة بطفل وأنا لسه هكمل العشرين، الحمد لله على كل حال.
(ناهد): مش يمكن حمزة كان بوابتك عشان تخشى لعالم أفضل.
(ظلال) وقد فهمت قصدها: الحياة مش كلها فلوس.
(ناهد): طيب شوفي بقى يا ظلال...
يا ترى، ماذا ستقول لها (ناهد)؟ وهل ستُقنِعها أم ستهرب (ظلال) منهم أم ماذا ستفعل؟

***

(٢٦)

(ناهد) وقد حاولت استمالة (ظلال) إليها والوثوق بها، فآثرت أن تقص عليها قصتها أملًا في استمالتها وتوثيق علاقتهما وكأنها صديقته وتريد مصلحتها.

فاستطردت قائلة: أنا دلوقت قربت على ٣٧ سنة ونادر ٣٨ سنة، فرق بينا بسيط، صح؟

فأومأت (ظلال) برأسها: فعلًا، إنتم كنتوا زمايل في الكلية ولا قرايب؟ على فكرة حمزة مجابليش سيرة حد غير ظافر ووالده بس، وإن ظافر مهاجر وأخد والده معاه، وعشان كده بابا وافق، يعني أهلي مفرطوش فيا زي ما إنتم متخيلين، حمزة هو اللي كذب علينا، وأنا أحيانًا أقول مش مسامحاه على اللي عمله فيا وكذبه عليا وعليكم، ووصلنا للحال ده، وشوية لما بشوف ظافر وطريقته، أقول معاه حق، لما أخوه كده أمال والده كان ازاي، وهو لولا بيحبني مكانش عمل كده، بس دماغي هتنفجر من التفكير، مش فاهمة ده كان حب بيننا ولا خاف يخسرني وقال نزوة وأسيبها بعد كده، ولا من شاف ولا من دري، هتجنن يا أبلة ناهد، هتجنن!

فأخذتها في حضنها وربتت على كتفها: حمزة مش كده أبدًا، أكيد حبك وخاف يخسرك، لأن والده لا يمكن كان يوافق، وكان مصمم يجوزه...

ثم تداركت كلامها: المهم، أحكي لك بقى، أنا ونادر...

فانتبهت (ظلال) ومسحت دموعها، فاستطردت (ناهد): احنا كنا زمايل في كلية واحدة، كان سابقني بسنة، وكان والده راجل غلبان، بس صديق والدي جدًّا من أيام الطفولة، وكان على طول بييجي عندنا هو ونادر ويسهر مع بابا، وهو اللي كان يخرجه من أي ضيق فيه، وبابا كان يحبه أكتر من أخ، المهم مش عاوزة أطول عليكِ، كان نادر بييجي عشان يشرح لي اللي مش فاهماه، مأكدبش عليكِ حبيته، وارتبطنا ببعض جدًّا، حتى بعد ما اتخرج بابا اتوسط له واتعين في شركة كويسة، وكان برضه بيفضي نفسه وبييجي يشرح لي، وكانت حجة الصراحة.

وضحكت، وأيضًا ابتسمت (ظلال): المهم، اتخرجنا وجه اتقدم لي، طبعًا والدي

بقى بين نارين، هل يرفض رغبتي ويضحي بصديق عمره ولا يضحي بالمال، لأن ناس تانية أصحاب مال ونفوذ وسلطة كانوا نفسهم يناسبوا بابا، وأنا وقفت وقلت لو مش نادر مش هتجوز طول عمري، فرضخ والدي لطلبي، وطبعًا شقة وعربية وأي حاجة نفسي فيها كان بابا على طول يبعت لي أجيبها، عشان ميحسسنيش بالفرق المادي اللي بقيت فيه مع نادر، كنت بحس إن نادر بيتكسر قدامي كل مرة، بس برضه بقول مش عاوزة أحمله مصاريفي، وكده كده ده حقي، لأن والدي كتب لحمزة وظافر كل حاجة، عشان كده مكانش بيحرمني من حاجة، المهم، وصلنا لأكبر مشكلة، إن نادر مبيخلفش.

فنظرت إليها (ظلال): وعملتي إيه؟ ضحيتي بأمومتك؟

(ناهد) بأسى: أكيد طبعًا، أنا ميهمنيش غيره، مع إن الحياة بيننا بقت باردة وفاترة مش زي الأول، كنت طفلته المدللة، لكن دلوقت بقيت أحس بفتور في العلاقه بيننا.

(ظلال) بسرعة: طب ما تخليها من ناحيتك يا أبلة.

(ناهد) وقد انتبهت: ازاي يعني؟

(ظلال) وهي تفكر: يعني غيروا جو، روحوا اسكندرية، واتفسحوا في محطة الرمل والزنقة، ده أنا كنت بسمع زمايلي فيها حاجات تحفة ورخيصة.

فضحكت (ناهد) من قلبها على سذاجتها: الزنقة آخد نادر فيها ومحطة الرمل! بس هي فكرة، نقضي يومين في فيلا الساحل أو شرم، هو حمزة مأخدكيش هناك؟

فتحسرت (ظلال): حمزة كله شغل شغل، وأنا كنت ثانوية وحملت وولدت، مكانش في فرصة نروح في حتة.

فانتبهت (ناهد) لتصل إلى غرضها: عشان كده عاوزة أكلمك في موضوع، إنتِ لسه حلوة وصغيرة ومشوفتيش حاجة من الدنيا ولازم هتتجوزي.

فشهقت (ظلال): تاااااني! حرمت!

(ناهد) بتعقل: ازاي بقى؟! دي سنة الحياة، إن أجلًا أو عاجلًا لازم هتتجوزي، وطبعًا ظافر مش هيسمح بحد غريب يبقى وسطينا ويربي ابن أخونا.

فانتبهت (ظلال): يعني إيه؟!

لتجيبها: يعني لازم تتجوزي ظافر، مفيش غيره ينفع ياخد باله منك إنتِ وإسلام ويبقى أب له.
فجحظت عيناها: أكيد لأ، ده لو آخر راجل في الدنيا لا يمكن أوافق.
وكان (ظافر) يمر في هذا الوقت لحجرته وسمع كلامها، فذهب إلى حجرته يبدل ثيابه.
أما (ناهد) فاستطردت: شوفي بقى، هي حتة ورقة عشان حريتك إنتِ.
(ظلال) بأسى: يعني ورقة تقييدي هي ورقة حريتي، طب ازاي؟!
(ناهد) وقد وصلت إلى مرادها: شوفي بقى، إنتِ عاوزة تكملي تعليمك وعاوزة تنزلي براحتك بدل حبستك دي.
(ظلال) بضيق: يعني إيه؟! هو مش عاوزني أكمل تعليمي؟
فأجابتها (ناهد): ده في حالة رفضك الجواز منه.
(ظلال) بتأفف: ده حرام وظلم! أنا ممكن أروح عند ماما، لكن أنا اللي عاوزة إسلام يتربى بين أهل أبوه لأنكم هتبقوا أحسن مني، خصوصًا إن والدي تعبان وراقد وأمي مش فاضية، فمش هلاقي حد معايا يربيه، فمتستغلوش ظروفي وتضغطوا عليا.
(ناهد) بضيق: وإنتِ هتلاقي أحسن من ظافر، ده بنات البلد يتمنوا نظرة منه، ده ماسِك إمبراطورية البنهاوي كلها، أنا قلت لك اللي عندي، وعقلك في راسك تعرفي خلاصك، وهسيبك تفكري.
وخرجت وأغلقت الباب على (ظلال)، لتجد حجرة (ظافر) مضاءة، فدخلت ووجدته يخلع قميصه بضيق ويلقيه على الأرض.
(ناهد): مالك يا ظافر؟ متضايق كده ليه؟
(ظافر) بعصبية: مش عاوزها، قولي لها الهانم اللي بتتشرط علينا إن ظافر هو اللي مش عاوزك، مش هتتأمر علينا، وهتمشي زي الجزمة زي ما أنا عاوز، وأوامري هتتنفذ غصب عن عين أبوها.
فحاولت (ناهد) تهدئته: اهدا بس حبيبي، في إيه لده كله؟!
فأوقفها بإشارة من يده: ناهد أنا مش عاوز محايلة عليها، الموضوع منتهي بالنسبة ليا خلاص، وقولي لها ظافر رفضك.

(ناهد) بغيظ: وبعدين معاكم بقى، هو أنا بدادي في أطفال! الموضوع ده هيتم غصب عنك وعنها، واللي مش عاجبه يشرب من البحر، أنا قلتها كلمة، مش هتدمروا بلعب العيال ده إمبراطورية البنهاوي.

(ظافر) ولأول مرة (ناهد) يعلو صوتها ويشعر أنها الكبيرة حقًّا: يعني إنتِ مش شوفتي كلامها، أنا سمعته وأنا معدي على فكرة، عاوزاني أقبل بعد الكلام ده؟!

(ناهد) وهي ترقق قلبه: عيلة صغيرة مش فاهمة حاجة، ومع شوية حنية هتبقى زي العجينة في صباعك تشكلها.

(ظافر) وقد شعر أن (ناهد) عاقدة العزم ولن يثنيها كلامه: اعملي اللي عاوزاه، روحي اتجوزيها إنتِ.

وأولاها ظهره.

(ناهد) وهي تغيظه: أيوه، هعمل اللي أنا عاوزاه.

التفت لها فأدارت ظهرها له وانصرفت، وذهبت إلى زوجها توقظه من النوم، فجلست على طرف الفراش، ليفزع ويلتفت حوله، ويقول بفزع: ناهد، إنتِ جيتي؟

فردت بقلق عليه: آه حبيبي جيت، مالك؟ كنت بتحلم حلم وحش ولا إيه؟

فانتبه: لا أبدًا، يلا بينا.

لكنها انتبهت إلى هندامه وقميصه المفتوح: كده تفتح قميصك وتنام قدام التكييف، كده هتاخد برد!

فنظر إليها: يعني خايفة عليا بجد؟!

فنطرت إليه: أكيد، وإنتَ عندك شك في كده؟

فحاد ببصره إلى الاتجاه الآخر: فكرت إني بقيت آخر اهتماماتك، كان أبوكِ وهو عيان، ودلوقت مشاكل البيت هنا، وأنا آخر واحد بتفكري فيه.

(ناهد) بحزن: أنا عارفة حبيبي إني مقصرة، بس فترة وتعدي، وأول أما تستقر الأمور هبقى أنا وإنتَ بس.

(نادر) في نفسه: يا عالم هتلاقيني ساعتها ولا لأ.

أحيانًا، المرأة تنشغل عن بيتها وزوجها، ولكن حب الأنا للرجل هو الذي يسيطر

عليه دائمًا، فإن لم يكن محور اهتمام زوجته يحيد عنها ويبدأ في رحلة بحث عن الاهتمام مع أخرى، فلا تهملي بيتكِ في سبيل أي شيء، اجعلي له الأولوية دائمًا.
ونرجع إلى مخطط ناهد.
ماذا سيحدث؟ هل ستنفذ (ناهد) كلامها ويستجيب (ظافر) و(ظلال) لها أم سيُلقيا به عرض الحائط ولن يستجيبا لها؟

***

(٢٧)

رجعت (ناهد) مع زوجها إلى بيتها.

وكانت تريه ما اشترته: إيه رأيك في ده وده؟ أقيسه؟ تحب تشوفه عليا؟

فأوقفها بإشارة منه: ملوش لزوم، أنا تعبان وداخل أرتاح.

فجرت عليه تجسه: إنتَ سخن ولا حاجة؟ تكون خدت برد من التكييف! قلت لك متنامش عريان قدامه.

فرد بضيق: خلاص يا ناهد مفيش حاجة، مش عيل صغير أنا، أنا مرهق شوية وعاوز أرتاح.

أحيانًا يشعر الرجل في مراحل من العمر بمراهقة متأخرة، فلا يعرف كيف يتحكم بمشاعره كالمراهق، وينسى عشرة عمره وسنينه الماضية، ويضحي بحب عمره مقابل نزوة من الممكن أن تطيح بكل ما هو غالٍ ونفيس.

***

أما (ظافر)، فكاد يغلي بحجرته، وكان يسير ذهابًا وإيابًا فيها، ثم يجلس، ثم ما يلبث أن ينهض: هي مفكرة نفسها إيه!

وذهب يدق بابها، لتأذن له بالدخول، ووجدها تجهز حقيبتها.

فنظر إلى الحقيبة ثم إليها: بتعملي إيه؟

فنظرت إلى موضع الحقيبة: ماشية، بدل ما بتبيعوا وتشتروا فيا.

فجذبها من يدها بقوة: إنتِ مفكراها وكالة من غير بواب! ده بموتك إنك تخرجي من هنا، عاوزة تمشي يبقى لوحدك، وتنسي إن ليكِ ابن.

فنظرت إليه والدموع تتدفق من عينيها من تأثير قبضته وكلامه في آنٍ واحد، فنظر بعيون الصقر إليها: زي ما فهمتي كلامي، مش عاوز توضيح، يا تفضلي هنا مع ابنك سجينة حبيسة، يا تمشي لوحدك.

فاستطردت: وكليتي؟

(ظافر) بغضب: مفيش كلية.

فنظرت إليه بضيق: يعني هو يا أتجوزك يا تعمل كده؟!

فازداد غضبه: ومين قال لك إني عاوز أتجوزك أصلا! إنتِ مين أصلًا عشان أفكر

مجرد تفكير إني أتجوزك، إنتِ مفكرة نفسك حاجة؟! إنتِ بالنسبة ليا مجرد حشرة أفعصها برجلي، لولا إني مراعي إنك كنتِ مرات حمزة ومعرفش جابك منين، ولولا ابن أخويا ده اللي مصبرني عليكِ.

فاغتاظت منه أكثر: إيه اللي جابني منين دي! مفكر جابني من الشارع؟! أنا من بيت محترم!

فابتسم بسخرية: آه محترم قلتِ لي يا حلوة! والمحترم بيرموا عيالهم لأي حد كده؟! شوفي يا شاطرة إنتِ مين وبتكلمي مين.

فردت بغضب: إنتَ ولا حاجة، مجرد كيس فلوس مليان نافش ريشه لما هيطق.

فضربها كفًا أوقعها أرضًا: أنا هوريكِ كيس الفلوس ده هيعمل فيكِ إيه.

وانطلق إلى الحرس: محدش يدخل أو يخرج غير بإذني، إنتم فاهمين! ولو حد خرج، وخصوصًا مرات المرحوم حمزة، هقتلكم!

فالجميع رد بخوف: حاضر يا فندم، أوامرك، مفيش نملة هتطلع أو تخرج إلا بإذنك.

فنظر إليهم: أما أشوف، واللي هيخالف أوامري مش هرحمه.

أما (ظلال)، فتناولت الهاتف لتكلم (ناهد) بانهيار: شوفتي يا أبلة أخوكِ واللي عمله، ضربني وحابسني وهددني! عاوزاني أتجوزه، ده ميتعاشرش!

(ناهد) بتأفف: طب اهدي حبيبتي، هو أصله سمع كلامك وهو معدي وكان شايط، معلش اعذريه، هو مضغوط جدًا اليومين دول وعليه حمل جبال، الدنيا كلها فوق دماغه بعد ما كان مرتاح من كل ده، فلازم نساعده حبيبتي ومنبقاش عبء عليه، وكله لمصلحة ابنك، فكري فيه، وإنتِ عارفة عمه بيموت فيه ازاي، محدش هيحبه قده.

(ظلال) ببكاء: ده ضربني يا أبلة!

(ناهد) وقد هرب منها الكلام: معلش، امسحيها فيا واعذريه، والله ظافر حنين جدًا، بس عصبي جدًا ومبيسيطرش على نفسه، وكلامك ضايقه، وأنا قلت لك فكري كويس، لو اتجوزتِ ظافر ده، هيتغير ١٨٠ درجة، صدقيني، وتعامله معاكِ هيتغير، وهتروحي كليتك، وبكرة تقولي ناهد قالت، يلا اغسلي وشك ومتزعليش، وأنا جاية بكرة.

وأغلقت.
لتجد (نادر) يتحول لها: خير، مش هنخلص من مشاكل العيلة دي؟!
(ناهد) بحب: هانت يا حبيبي، لو يطاوعوني بس هتنتهي كل مشاكلهم، وأنا عارفة كده كويس ومتأكدة.

***

في اليوم التالي، نزل (ظافر) للفطور، وجاءت (ظلال) لتفطر هي الأخرى ومعها (إسلام) ليراه عمه قبل أن يذهب إلى عمله، فأخذ منها (إسلام) يداعبه.
ودون أن ينظر إليها: جهزي نفسك، عشان يومين كده وهبلغك نروح نمضي عقود الشراكة في الشركة، بس على ما نجهز كل شيء.
فنظرت إليه: حاضر، أوامرك يا ظافر بيه.
لينظر إليها بغيظ: أكيد طبعًا أوامري، أمال أوامر مين.
ونهض ليذهب، ولكن مال على أذنها: أي تهور مش هتتحملي العواقب.
فنظرت إليه وأخذت ولدها وانطلقت إلى حجرتها، فاتصلت بأخيها.
(فاروق) بلهفة: ظلال، عاملة إيه؟
فردت عليه بأسى: الحمد لله كويسة، المهم إنتَ وماما وبابا؟ معلش مش عارفة آجي اليومين دول.
(فاروق) بتفهم: حابسك برضه؟ تحبي أبلغ البوليس وآجي آخدك؟ أو أجيب شوية بلطجية وأجيبك بالقوة؟
فأسرعت (ظلال) خوفًا على أخيها: لأ طبعًا، حابسيني إيه، أنا بس مشغولة شوية، ممكن رقم أستاذ كمال؟ لأنه كان معاك الرقم وأنا موبايلي كان في الشقة وجبته معايا.
(فاروق) بتفهم: فعلًا كنت برن عليكِ مقفول، أنا استغربت لما رنيتي لأني عارف إنك نسيتيه في شقتك.
(ظلال): ما أنا روحت الشقة جبته وجبت هدومي وهدوم إسلام.
(فاروق): يعني بتنزلي، مش حابسينك ولا حاجة، وبيعاملوكِ كويس؟
فأكدت (ظلال) على أخيها: آه يا حبيبي، اطمن وطمن ماما.
وأخذت رقم (كمال) منه، ثم اتصلت على الفور به: أنا آسفة يا أستاذ كمال،

بس إنتَ المحامي بتاعي ومليش غيرك أثق فيه، ظافر قال لي إن في عقد شراكة بيعمله وأنا همضي عليه، وأنا مش فاهمة حاجة وخايفة.
(كمال) مطمئنًا إياها: متقلقيش من حاجة، أنا معاكِ، ويومها هكون قبلك مستنيكِ، لأني المحامي بتاعك وبتاع الشركة، وفعلًا بيتعمل العقد، ومتقلقيش، ظافر في الموضوع ده حقاني ومش هياكل حقك ولا حق ابنك، وأنا متابع، متخافيش وثقي فيا.
(ظلال): ربنا يخليك، وآسفة ملقيتش غيرك ألجأ له، لأن حمزة الله يرحمه كان بيثق فيك، حتى عرفك إنتَ جوازه ومعرفش أخوه.
(كمال): وأنا قد الثقه دي، وهكون عند حسن ظنك بيا.
فاطمأنت لكلامه وأن لها شخصًا أمينًا ذا ثقةٍ تعتمد عليه وسط المجهول الذي تعيشه.

***

أما عند (إسراء)، دخل (أحمد) من عمله ووجدها مهمومة.
(أحمد) بقلق: مالك؟ الواد جراله حاجة؟
(إسراء): لأ بخير، أنا بس زعلانة على حال أختي، لا بنشوفها ولا بنعرف أخبارها، كنا بنحسدها ونقول بيضالها في القفص ووقعت واقفة، الحال اتبدلت معاها، لسه طفلة ومعاها طفل وأرملة، وكمان الله أعلم بيعملوا فيها إيه، ودول واصلين وإيدهم طايلة، احنا مش قدهم.
(أحمد) يأخذ برأسها: دوام الحال من المحال، والله أعلم، مش يمكن ده الخير لها واحنا مش عارفين، وعسى أن تكرهوا شيئًا، صح ولا لأ؟!
فنظرت إليه: صح، معاك حق، بس نفسي أشوفها.
فابتعد ليخلع قميصه: أنا سألت كمال، قال لي عاملين عليها حراسة مشددة ومانعين حد يدخل أو يخرج إلا بإذن ظافر.
فحزِنَت، فاستطرد: الواد فين؟
(إسراء): عند ستُّه تحت، مش عارفة أعمل منه حاجة، زن زن وصريخ، ازاي مشوفتوش وإنتَ طالع؟! تكونش سربته! ابني ضينايا!
فضحك: تلاقيه نايم جوه فمأخدتش بالي.

فاقترب منها لتلاحظ ذلك: إيه في إيه؟!
(أحمد) بابتسامته: مش بتقولي الواد تحت.
فابتعدت: وإيه يعني؟!
(أحمد) وهو يجذبها إليه: تعالي بس، عاوزك في موضوع هاااام للغاية.
فابتسمت: لا يا اخويا، عارفة مواضيعك دي، ألحق أعمل لك الغدا قبل أمك ما تصوت من ابنَك وتطلعه.
فجذبها (أحمد) مرة أخرى: يا عم غدا مين في الليلة المفترجة دي! الليلة عيد.
(إسراء) وهي تنظر إليه: وعيد مين إن شاء الله اللي على غفلة؟!
(أحمد): تحرير سينا! يلا بقى متضيعيش الوقت.

***

وفي المساء، حضر (ظافر) واتجه إلى مكتبه بعد أن ألقى التحية على أخته و(ظلال) التي تجلس معها.
وفي نفسه: لحقت اشتكت لك ومجلس الأمن انعقد! ربنا يستر.
(ناهد) أحست بأخيها: مالك يا ظافر؟ ما تيجي تقعد.
(ظافر) بضيق: ورايا شغل، أنا داخل المكتب.
وانصرف باتجاه المكتب وهي تنادي عليه وكأنه لا يسمع، فأخذت (ظلال) من يدها، فخافت (ظلال) وتراجعت: في إيه؟!
(ناهد) بغضب: متخافيش، هو بع بع هياكلك! أنا مش فضيالكم طول العمر.
وأخذتها إلى المكتب ودخلت عنوة، ليفزع (ظافر): في إيه يا ناهد؟! حد يخش بدون استئذان كده!
فأجلستها وجلست أمامها: شوفوا بقى إنتم الاتنين، قسمًا بالله، لو ما نفذتوا اللي هقوله، لهخرج من البيت ده ومش راجعاه تاني، وهيبقى آخر ما بينا وقطيعة طول العمر.
(ظلال) بطيبتها: متقوليش كده يا أبلة، أنا والله بحبك جدًّا!
(ظافر) بضيق وهو يعلم ما ستقوله: خير يا ناهد عاوزة إيه؟
(ناهد) بعد نفس عميق: لازم تتجوزوا.

وقبل أن يعترض أحدهما: مش عشانكم، متبقوش أنانيين، عشان البيت ده ميتهدش، والواد اليتيم ده ميفضلش يتيم، ويحس بالأبوة من تاني في حضنك يا ظافر.

(ظافر) بضيق: ما هو في حضني فعلًا، هيروح فين!

(ناهد) بعد مناهدة: متكدبوش على نفسكم، ولو سيطرت دلوقت مش هتسيطر بعدين، وإنتِ كمان، لو تماسكتي دلوقت مش هتكملي طول العمر وحيدة، ولا هتقدري تبعدي عن ابنك.

فشهقت (ظلال): لأ طبعًا، عمري ما أبعد عنه، ده فيها موتي!

(ناهد) وتنفست الصعداء: يبقى متفقين، وأنا مبقولكوش حبوا بعض، دي حاجة على الورق، كإننا بنأسس لمشروع مش أكتر.

(ظافر) بعصبية: بس يا ريت تفهميها كده، وإني مش عاوزها أصلا.

(ظلال) بضيق: ويا ريت يا أبلة تفهميه هو كمان كده، عشان ابني وبس.

فنظر إليها بغيظ، ولاحظت (ناهد) النظرات بينهما، فابتسمت: خلاص، نبقى متفقين، نبعت نجيب المأذون قبل ما ترجعوا في رأيكم، وقبل عقد الشراكة ما تمضوه.

فنظر الاثنان إليها: دلوقت!

ونظر كل منهما إلى الآخر.

(ناهد): طبعًا، عشان نعلن الزواج في حفل الشراكة اللي هيتعمل، وده يقوي مركز الشركة وتبقى دعاية للشركة.

فهل سيوافقانها على هذه السرعة؟

***

(٢٨)

(ناهد) تنظر إليهما: أمال عاوزيني أستنى لبكرة تغيروا رأيكم! اتصل فورًا بالمأذون.

(ظلال) وقد أحست بالضيق: بس أهلي يا أبلة...

(ناهد) باستعجال: ما هما أكيد هيعرفوا، بس بعدين، ما إنتِ موجودة في وسطينا هنا، على الأقل وجودك هنا مع ظافر محدش يتكلم عليكم.

(ظلال) وتنظر بغضب: بس احنا مش لوحدينا هنا، فيه بنان وأشجان والدادة وحضرتك بتيجي.

(ناهد) بتفهم: أوك، كل ده جميل، بس منضمنش كلام الناس.

(ظلال): خلاص، أرجع بيت أهلي.

فنظر إليها (ظافر) بغضب: قلت مفيش خروج من هنا إلا على قبرك!

فأخفضت رأسها في الأرض وكادت عيناها تدمعان، وأجابت باستسلام: خلاص، اللي عاوزينه اعملوه.

فذهبت (ناهد) إلى أخيها تضغط على ذراعه: اهدا شوية.

فنظر إليها بغيظ: ما أنا هادي أهو، شايفاني بشد في شعري! مش شايفة كلامها اللي مبتفهمش دي.

فنهضت ونظرت إليه: أنا بفهم كويس، إنتَ بقى اللي مبتفهمش وأناني ومتسلط.

حاول أن يجتاز (ناهد) ليذهب إليها، لكن (ناهد) حاولت احتجازه وهي تجري إلى باب المكتب، ثم صاحت في المنتصف: خلاااص بقى! هو أنا بدادي في عيااال، جاتكم الهم! اتصل بالمأذون خلصني، لو مشيت من هنا مش هرجع للأبد.

ونظرت إلى (ظلال): وإنتِ تعالي اقعدي، متخافيش، مش هيعمل لك حاجة، وإنتَ اقعد واتصل وخلصني.

(ظافر) بزهق: هو إنتِ على ذمتي، خلصني خلصني! مستعجلة قوي كده ليه، ده لو جوازتك مش هتبقي مسروعة عليها كده!

فنظرت إليه: ماشي أنا هتصل.

واتصلت بالمأذون، فجاء على الفور وسأل (ظلال) عن وليها، فأجابته بأن والدها

لا يتحرك وأنها ثيِّب وليست بكرًا، فهي أرملة.
وكلٌّ جلس على جانبي المأذون، فوضع يده بيدها، وأخذ المأذون يتلو كلماته فرددها كل منهما بضيق، حتى إن (ظافر) قبض على يد (ظلال) بقوة وكادت تتأوه من قبضته، وتلفظ كل واحد منهما كلماته بغيظ وضيق، حتى لاحظ المأذون ذلك، فانتهى وقال: في إيه؟!
فنظر إليه (ظافر): خلص وإنتَ ساكت.
فنظر إليه بريبة: أنا خلصت خلاص، امضوا وهات شهودك.
فنادى على حارسين ليوقعا على العقد، ومال عليها المأذون: هما خاطفينك يا بنتي؟
فأجابته: لا يا عم الشيخ.
فنظر إليه (ظافر) وجحظت عيناه: بتقول لها إيه؟
فقام الرجل مفزوعًا: ولا حاجة يا ابني، بارك اللهم لكما، أنا ماشي.
فأوقف (ظافر) الشيخ بإشارة من يده حتى كاد يقع مغشيًّا عليه: مش هتاخد أجرتك؟
فأخذ الرجل أنفاسه: ملوش لزوم يا ابني.
(ظافر) بغضب: يعني إيه؟! هتجبِّي علينا! خد فلوسك.
فأخذها الرجل وذهب مسرعًا، وكانت (بنان) تنظر من الأعلى: عملتيها يا ظلال! والله ما ههنيكِ، ماشي، سبقتيني بخطوة بس هتشوفي، إما طلعتك من هنا بفضيحة ومطرودة طردة الكلاب مأبقاش أنا.
أما (ناهد)، فتنفست الصعداء بعد أن تم العقد وأحست أنها اطمأنت: أنا ماشية، يا ريت متقتلوش بعض.
نظر (ظافر) و(ظلال) إليها، ثم قالت (ظلال): ما تبيِّتي هنا النهارده.
فضحكت (ناهد): إنتِ فكرتي هيقتلك بجد؟! إنتِ عبيطة قوي!
فنظر إليها بغيظ، فاستطردت: تعالي، أنا هوصلك لأوضتك، هعمل فصل للقوات على ما نعلن الزواج يوم حفلة إمضاء عقود الشراكة.
نظر (ظافر) إلى (ناهد): إنتِ مصممة يعني!
(ناهد) باستغراب: أمال، هتفضلوا طول العمر مكتوب كتابكم ولا إيه؟!

فنظرت إليها (ظلال) وتساءلت: أمال هيحصل إيه؟! مش نفذت اللي عاوزينه خلاص!

(ناهد) مستغربةً تساؤلها: أي اتنين بيكتب كتابهم لازم هيتجوزوا، هو إنتِ متعرفيش الموضوع ده؟!

وضحكت، فجحظت عيناها وانطلقت تجري إلى حجرتها ووراءها (ناهد)، لتجذبها: في إيه؟ مالك؟

فنظرت إليها (ظلال): أنا أبقى في أوضة واحدة مع المتوحش ده! مشوفتيش كان هيعمل فيا إيه!

(ناهد) بتفهم: ما هو إنتِ برضه هزأتيه، وإنتِ عارفاه، بيتعصب من خياله، وتقولي له متسلط وأناني ومبتفهمش!

(ظلال): ما هو كمان قالي مبفهمش، أنا مش ممكن يتقفل عليا باب مع الوحش ده.

(ناهد): بصوا بقى، أنا زهقت منكم، أنا جوزتكم وخلاص.

(ظلال): أهو إنتِ قلتيها، اتجوزنا، وضمنتوا إني معاكم عشان الورث والولد، سيبوني أربي ابني وخلاص وسطيكم.

(ناهد) بعد مناهدة: ربنا يسهل، أنا ماشية دلوقت، ولو خايفة اقفلي على نفسك.

وبالفعل فعلت ذلك، وأغلقت على نفسها الباب، وعندما سمعت خطواته كاد قلبها ينخلع، ولكنه ابتعد إلى حجرته فتنهدت.

وفي اليوم التالي، قرع باب حجرتها، فنهضت مفزوعة: مين؟!

(ظافر): اجهزي عشان هنروح الشركة نمضي العقود، وفيه مؤتمر صحفي بعده، ولازم الموقعين يحضروا، هنتظرك في السيارة.

فحدثته من خلف الباب: حاضر.

وارتدت ملابسها على عجالة من أمرها واتصلت بـ(كمال)، فطمأنها أنه ينتظرها هناك، وبالفعل تركت (إسلام) للدادة وذهبت مسرعة تركب معه السيارة.

فنظر إليها: كل ده مستني الهانم تنزل!

(ظلال): آسفة، بس ملحقتش أتأخر والله، أول ما قلت لي لبست على طول.

كل ذلك وهو لا ينظر إليها، ليقود بسرعة، فرجعت إلى الخلف بسرعة على المقعد وشهقت من فعلته، ونظرت إليه، لكنه لم يهتم لنظراتها رغم ملاحظته إياها.

وعندما وصلا إلى الشركة، سار هو وهي من خلفه، ورأى (كمال) عند السكرتيرة.

ذهبت (ظلال) لتسلم عليه: ازيك يا أستاذ كمال.

فمد يده للسلام، ليجد (ظافر) يمسك يدها بيده ويزيحها خلفه ويسلم بالأخرى على (كمال): أهلًا كمال.

فنظرت إلى هذا الضخم الذي يحجبها عن العالم الخارجي، ونظرت إلى أعلى على أكتافه، فلم ترَ من أمامه، ولكنها شعرت بأنه حائط صد، لا تعرف ما الشعور الذي انتابها تحديدًا، ولكنها شعرت بالأمان خلفه وأنه يخفيها عن الأعين، لم تعرف تحديدًا، ولكن أوقفها هتافه في (كمال): إيه اللي جابك؟! أنا مطلبتكش!

(كمال): مدام ظلال اتصلت بيا، متنساش إني المحامي بتاعها كمان.

فنظر إليها: اااه! اتصلت بيك! طب روح، ولما أحتاجك هناديك.

(كمال): بس مدام...

فأوقفه بإشارة من يده ومال عليه: سمعت أنا قولت إيه؟

واستقام ووضع يده في جيب بنطاله: إنتَ مش راجعت العقود وعارفها، ملكش لزوم خلاص.

(كمال): بس في نقطة، إنتَ خليت ٥١٪ لك عشان حق التوقيع والإدارة.

(ظافر): أمال عاوز مبتدئة تتحكم في الشركة الطويلة العريضة دي وهي متفهمش حاجة؟! ثم أنا عاملها حق التوقيع، يعني معايا في كل شيء، أنا مبسيبش حاجة ورايا يا كمال.

وانصرف (كمال).

فدخلت (ظلال) مع (ظافر)، وجلس هو على المكتب وهي جلست على المقعد، والتفَّ بالمقعد إلى الحائط ثم التفَّ لها: وريني موبايلك.

فأعطته إياه، فأخذه وألقاه في الأرض ودعس عليه بقدمه: ابقي وريني هتتصلي بيه ازاي تاني.

فشهقت لفعلته: إنتَ عملت إيه يا مجنون؟! ليه كده؟! وأرقام أهلي فيه كلها!

فنهض: أنا هعرَّفك الجنان اللي على أصوله.
فابتعدت وتراجعت حتى كادت تقع، فسندها بذراعه مقربًا إياها إليه حتى كاد يعتصرها، وهي تتاوه: ابعد عني يا ظافر، إنتَ بتعمل كده ليه؟!
وهو ينظر إليها: بقى أنا مجنون!
وهو ينظر إليها ويطيل النظر بعينيها، حتى سرح بها وكاد يغرق ببحورها وهمَّ أن يقضم شفتيها، ليوقظه من غفلته قرع السكرتيرة على الباب: فانتبه وتركها وأبعدها عنه.
لتدخل السكرتيرة: المؤتمر الصحفي يا ظافر بيه.
فنظر إليها: ماشي أنا جاي.
ونظر إلى (ظلال): يلا بينا، وافردي وشك، في حاجات بتجبرنا البروتوكولات إننا نعملها حتى لو مش طايقين بعض، لازم الابتسامة وقمة السعادة عشان ده بيأثر على الشركة، لما يشوفوا اتنين مش طايقين بعض هيقولوا هنتعامل معاهم ازاي، والناس تخاف تشتغل معانا ليحصل أي مشاكل، لازم تفهمي الكلام ده كويس، بلاش شغل الأطفال ده وتكبري، بقيتي سيدة أعمال وشريكة في أكبر الشركات بمصر.
فظرت إليه (ظلال): حاضر يا ظافر بيه، وعلى فكرة، أنا فاهمة كويس، المهم إنتَ تطبق اللي بتقوله.
وانطلقت أمامه، لينظر إليها وهي تسير ويكتم غيظه، ثم وجد الجميع ينظر إليها، فنظر هو إليها مرة أخرى وتقدم بجانبها ومال عليها: اللبس ده متلبسهوش تاني.
فنظرت إليه باستغراب: ماله؟ أبلة ناهد اللي جابته.
فمال عليها مرة أخرى: بلا ناهد بلا عمران، الكلام اللي قلته يتنفذ.
فنظرت إليه وباستسلام يميل إلى الانهيار: حاضر حاضر حاضر.
فنظر إليها: خلاص افردي وشك، داخلين قاعة المؤتمر.
وبدأ (ظافر) بإلقاء كلمة ترحيب على الحضور وبجانبه (ظلال): طبعًا مهما طال الزمن لازم انضمام الشركة بألمانيا إلى الشركة الأم بمصر، وقد آن الأوان للانضمام، وخصوصًا زواجي أنا ومدام ظلال.
وأحاطها بذراعه وضمها إليه وابتسم ابتسامةً مصطنعة، فنظرت إليه وبادلته

الابتسامة، ثم تطرق إلى مواضيع بالشركة، وبعدها فتح المجال للأسئلة.
(صحفية): يا ترى الزواج ده مصلحة ولا حب من أول نظرة؟
فنظر إلى (ظلال) وابتسم ثم نظر إلى الصحفية: إنتِ شايفة إيه؟
في حين كانت (ظلال) تستغرب من هذا الكائن المتحول الذي كادت تجزم أنه حمل وديع وأنها هي مَن تجني عليه.
انتهي هذا العرض المسرحي الهزلي الذي يفقهه الجميع، ورجعت معه، ليتوقف ويتركها بالسيارة برهة ويعود، فنظرت ولم تعقب، وهو انطلق وكان يحمل شيئًا بيده فألقى به في الخلف ويتحرك، إلى أن وصلوا بالسيارة إلى الفيلا، فانطلقت مسرعة إلى حجرتها، أما هو فانطلق إلى مكتبه وأمسك بالعلبة وأخذ يفكر، ثم انطلق إلى حجرتها ليدق بابها.
ففتحت له: أفندم، في حاجة؟
ففتح الباب ودخل وجلس على طرف الفراش، وهي تنظر إليه وتقف مشدوهة أمام الباب، فنظر إليها: هتفضلي واقفة زي الصنم كده! اقفلي وتعالي.
فجحظت عيناها، ليقوم ويغلق ويشدها من ذراعها ويجلسها بجانبه ويخرج الموبايل: ده أحدث موديل.
ورن على هاتفه المحمول ليسجل رقمها، ثم رن عليها وسجل رقمه: ده رقمي، أنا الوحيد اللي تتصلي بيه لو في حاجة، غير كده لأ، وإلا حسابي هيبقى عسير.
فألقت به على الفراش: مش عاوزة منك حاجة، خليهولك.
وقامت تنهض، ليقف أمامها فتراجعت حتى وجدت خلفها خزانة الملابس حتى كادت تفتحها وتدخل بها لتختفي عن عينيه، فوقفت، فوضع يديه على الخزانة وهي بينهما: نفسي أعرف بتجيبي الشجاعة المؤقتة دي منين وجواكِ جبانة!
فنزلت من تحت يديه وابتعدت: أنا مش جبانة، وأنا مش عاوزة منك حاجة.
فتعصب: وهو جه خلاص!
فنظرت إليه: وأعمل إيه برقمك وإنتَ محيت الكل، حتى أمي!
فنظر إليها: لو على مامتك، أكيد حافظة رقمها، ابقي كلميها.
فنظرت إليه: وأختي وأخويا، إنتَ مانع حتى أروح أشوفهم أو يجولي هنا.
فاقترب منها: أختك ماشي، لكن أخوكِ الزبالة ده اللي بيهددني في بيتي، لأ!

وتركها وانصرف، ليجد (بنان) وهي تتصنع الطفولة وترفع صوتها حتى خرجت (ظلال) من حجرتها، وبمجرد خروج (ظلال) أحاطت ذراعها حول (ظافر):
نفسي تخرجنا زي زمان، لما كنا بنخرج كلنا.
فلمح (ظافر) (ظلال)، والتي دخلت وصفقت الباب خلفها.
فأزال يد (بنان) عنه: إنتِ عارفة أنا مشغول، وإنتم مبقيتوش صغيرين عشان أخرجكم، خدي أشجان واخرجوا واتفسحوا مع أصحابكم.
وذهب إلى (ظلال) التي أغلقت حجرتها، فلم تجب.
(ظافر): افتحي بدل ما أكسره.
(ظلال): امشي يا ظافر، أنا نمت خلاص.
(ظافر) بتعجب: وبتتكلمي وإنتِ نايمة ازاي؟! افتحي بقول لك.
لتفتح له: أفندم يا أستاذ ظافر؟
ليضحك: أستاذ ظافر! ليه؟! جاي أدِّيكِ درس عربي! على العموم، أنا جاي أقول لك إن بنان أختي، زي أشجان بالضبط، عشان لو مفكرة حاجة كده ولا كده.
فجلست (ظلال) كالأطفال وأزالت شعرها عن عينيها، ليرجع مرة أخرى، فقالت بغضب: ميهمنيش جاي تقول لي ليه.
فمال بجذعه عليها وهمس في أذنها: أمال أنا شايف غير كده ليه؟!
(ظلال) بغضب: ابقى ركب نظارة عشان تشوف كويس، لا إنتَ ولا أي حد هنا يهمني، وأنا هنا بس عشان ابني، لازم تبقى فاهم كده كويس، وبلاش الأوهام اللي في دماغك دي.
فأتى تليفون لـ(ظافر).
ممَّن يا ترى؟ وماذا سيقول؟ وما تأثير هذا التليفون على (ظلال)؟

***

(٢٩)

عندما رن الهاتف، تناوله (ظافر) ليتحدث: مادي، عاش من سمع صوتك.

(مادلين) بلهفة: اشتقتلك اكتيير قلبي، تُقبرني.

(ظافر) بغيظ: ده بأمارة ابن خالتك اللي دايرة معاه.

(مادلين): اشتقتلك ظافر، ما بدك ترجع ألمانيا؟

(ظافر): لأ خلاص انسي، عاوزة تيجي هنا، أهلًا وسهلًا، مش عاوزة، أظن إنتِ عارفة، بهاء ابن خالي وصاحبي والمحامي بتاعي، وعنده كل التفاصيل، عاوزة تخلصي كلميه، ولو على الفلوس متقلقيش، أنا سايب معاه مبلغ محترم هيكفيكِ وزيادة وهيديهولك.

(مادلين): أنا بحبك يا ظافر، بس إمي ما بدها أسافر، شو بعمل؟

(ظافر): خلاص، خليكِ جنب أمك عشان تنبسط.

وأغلق الخط وألقى الهاتف على الفراش، فنظرت إليه (ظلال): إنتَ لسه متجوز! وليه مقولتليش؟

فوقف أمامها: وهيفرق معاكِ إيه تعرفي ولا متعرفيش؟!

(ظلال): ازاي يعني، ما يمكن تبقى عاوزة ترجع وأما تعرف إنك متجوز مترجعش، وابقى أنا اللي خربت البيت!

(ظافر): متقلقيش، هو مخروب خلقه، مش بسببك ولا حاجة.

(ظلال) بغيظ: هو إيه البرود اللي إنتَ فيه ده!

فشد على خصرها مقربًا إياها: إنتِ اتهبلتي! ازاي تكلميني كده!

فتأوهت بين يديه: ابعد عني!

فأخذ باله من قربهما إلى هذا الحد، فتركها وأغمض عينيه وخلل أصابعه في شعره، ثم رفعه إلى أعلى وهي تنظر إليه، فنظر إليها فجأة: إنتِ عاوزة مني إيه، ليه بتدخلي في اللي ملكيش فيه، إنتِ مالك أتجوز، أطلق... ميخصكيش، إنتِ مجرد جواز على الورق بس مش أكتر، فاهمة ولا مش فاهمة؟!

(ظلال): أنا فاهمة ده كويس، وإنه جواز مصلحة على الورق، بس اسمه

زواج، وفي زوجة موجودة لو بتفكر ترجع مش هترجع بسببي، ومش هسامح نفسي ساعتها.
(ظافر): لا يا ستي مش بسببك خالص، ولا تعرف أصلًا إني اتجوزت، ارتاحتي؟! يا ريت تخليكِ في حالك بقى.
واقترب منها، فتراجعت في خوف: ولو حاولتي تحشري مناخيرك دي...
وأشار بإصبعه على أنفها ثم أردف: هتشوفي ظافر تاني غير اللي قدامك ده.
(ظلال) في نفسها وهي تنظر إلى إصبعه الموجه لأنفها: هو في أكتر من كده؟!
فنظر إليها: في حاجة؟
فتوترت: لا أبدًا، هيكون في إيه.
(ظافر) بتوجس: ماشي.
وانطلق للخروج من حجرتها، ثم تذكر شيئًا فرجع: آه، اعملي حسابك، الحفلة بمناسبة التوقيع هتبقى في الفندق، كمان يومين تبقي جاهزة.
فأومأت برأسها بتفهم: حاضر.
واتصلت بعدها بـ(ناهد).
(ناهد) بخضة: في إيه يا ظلال؟! ظافر عمل لك حاجة؟ ولا إسلام عيان؟
(ظلال): لا يا أبلة، متتخضيش، أنا بس ظافر قال لي الحفلة كمان يومين، وأنا مش عارفة أعمل إيه ومطلوب مني إيه وخايفة أسأله.
(ناهد): طيب، أنا بكرة هاجي ونروح نشتري حاجات لزوم الحفلة، متقلقيش.
فاطمأنت (ظلال) بعد هذا الحديث ونامت.
وفي اليوم التالي، جاءت (ناهد) إليها وذهبتا إلى التسوق، وانتهزت (بنان) ذلك وذهبت إلى (نادر)، ودقت الباب، فقام من نومه أشعثَ فاتحًا قميصه ويتثاءب.
ففتح وهو يقول: مين؟
ليجد (بنان) تدخل مندفعة: هي ناهد هنا؟ أصلي كنت جنبكم وقلت أعدي عليها.
فأغلق الباب: لأ، هي راحت تعمل شوبنج مع ظلال، هي وراها غير كده.
فشهقت (بنان): يعني مش هنا! أنا آسفة، فكرت إنها هنا، طيب أمشي بقى، أنا بس كنت هدخل الحمام.

(نادر): طب ما تتفضلي وفيها إيه.
(بنان) بدلع: يعني مفيهاش مضايقة لك أو ناهد تيجي تشوفنا؟
(نادر): انسي ناهد طالما فيه شوبنج، خشي خشي ميهمكيش.
فخلعت المعطف وظلت بالتُّوب الحمالات وجيب قصيرة جدًّا ودخلت، ثم خرجت سريعًا تجفف وجهها، لتجده خلفها يحتويها.
فابتعدت (بنان): لأ، إنتَ فهمتني غلط، أنا مش كده خالص!
(نادر) باستغراب: أمال بتعملي ده كله ليه؟!
فجلست تضع ساقًا على ساق: اقعد يا نادر، إنتَ عاجبك إن الجربوعة دي جت هي وابنها وخدت كل شيء؟
فجلس بجانبها: واحنا هنعمل إيه يعني، دول اتجوزوا خلاص، يعني ركبت ودلدلت، وناهد بأرميلها الفتات تروح تبضع شوية شوبنج، حتى أبوها كان بيديلها شهرية كانت بتحل عن دماغي، دلوقت يا دوب أما الست هانم تروح تشتري، يديها الفيزا وتشتري معاها، أنا مأنكرش إنه دايمًا بيسألها لو عاوزة حاجة، بس طبعًا مش زي ما تبقى فلوسك وحرة فيها، هي نفسها بتتكسف وبتجي لي وهي عارفة مرتبي، ده أنا موظف، لما بقيت مخنوق، وهي عمرها ما هتقدر تعيش على قدي، لأنها واخدة على نظام تاني من أيام ما كانت في فيلا أبوها أو حتى هنا معايا، بس أبوها كان منغنغها، مأنكرش إني بتضايق وكان نفسي تعيش على قدي، بس هي كده ومش هتتغير، فاستسلمت للموضوع، بس حاليًا بقيت مخنوق بجد.
(بنان) وقد وصلت إلى مرادها وأن المصلحة مشتركة: يبقى نحط إيدنا في إيد بعض عشان نوصل لهدفنا.
(نادر) بتعجب: وإيه هو؟!
(بنان) بخبث: نبوظ الجوازة، ويطردها شر طردة، كده كده خدت النص بتاع حمزة، فنلحق نص ظافر بدل ما تكوِّش عليه هي وابنها، ولما يطلقها أتجوزه أنا، هو مبيخلفش، لما يموت قضاءً وقدرًا أنا هورث، وناهد وأشجان كمان هيورثوا والكل هيتراضى.
فنظر إليها وجحظت عيناه: وده ازاي بقى؟!

(بنان) وهي تتسحب لتقترب منه: هقول لك.
وقصت عليه الخطة التي أحكمتها.
فنهض (نادر): يا نهار إسود! ولو اتقلبت الخطة علينا؟!
(بنان) بثقة: متخافش، هو أصلًا مش طايقها، وهي كمان وما هتصدق.
(نادر) بقلق: لا يا اختي.
(بنان): أنا هسيبك فترة تفكر، بس مش كتير، بدل ما يحبها ولا تاكل بعقله حلاوة، عاوزين في الأول وهما بالشكل ده، أي شيء هيصدقه عليها، إنتَ فاهم؟
فانتبه لها: حاضر حاضر، امشي دلوقت لحسن ناهد تيجي، وسيبيني لوحدي أفكر.
وذهبت (بنان)، وتركت (نادر) في حيرته وتفكيره: معقول أعمل كده! وهل هيصدقوا بالسهولة دي ولا هينقلب السحر على الساحر؟!

***

أما (ظلال) و(ناهد) فرجعتا بعد عناء اللف والدوران على ملابس مناسبة تليق بالحفل، وجدوا (ظافر) بالمكتب، فصعدت (ظلال) إلى حجرتها، أما (ناهد) دخلت تسلم على أخيها وتستأذنه بالعودة، فأرسل معها السيارة بالسائق لتوصيلها.
وفي اليوم التالي، أتت (ناهد) ليبدأوا في الاستعداد للحفل جميعًا، كانت (بنان) ترتدي فستانًا قصيرًا عاريًا وتطلق شعرها، وكذلك (أشجان)، أما (ناهد) ففستانها كان محتشمًا بعض الشيء ولكنه ضيق، أما (ظلال) فارتدت فستانًا أسودَ طويلًا ولكن به فتحة جانبية إلى الركبة، وهو ضيق مطعم بالألماس، وارتدت حجابها فزاد جمالها وعفتها إطلالة جميلة، وارتدت حذاءً بكعبٍ عالٍ حتى يعطيها زيادة في الطول بعض الشيء، ولكنها كانت تسير به حذره.
نزل الجميع و(ظافر) منتظر في الهوول بحلته السوداء التي زادته وسامة وكأنه عريس حقًّا في ليلة عرسه، ووجد أخيرًا (ظلال) تنزل من الدرج، فنهضَ مشدوهًا ونظر إلى (ناهد) عندما رأى تلك الفتحة التي أظهرت بياض ساقيها.
(ظافر): إيه ده يا ناهد؟!

فنظرت إليه: في إيه، زي القمر.
فذهب إليها: اطلعي اقلعي الزفت ده!
فجحظت عيناها وتكاد تبكي: والله قلت لأبلة ناهد أنا مش عاوزاه ومكسوفة ورجلي باينة كده، هي اللي صممت.
فجرَت (ناهد) إليه وقد سمعت، فهي على مقربة منه، أما (أشجان) و(بنان) كانتا تتناوشان بعيدًا.
(ناهد): تقلع إيه؟! إنتَ مجنون! مفيش وقت، وبعدين فيها إيه، أول مرة تعلق على لبس حد، ما بنان وأشجان خاربينها.
فنظر إلى أخته والشرر يتطاير من عينيه، فحاولت (ناهد) العمل على تهدئته: بص حبيبي، مفيش وقت، ومفيش حاجة جاهزة حاليًا تلبسها، وإنتم واجهة الشركة، لازم حاجة مشرفة، احنا من الصبح عشان نوصل لكده، عاوز نهد ده كله ونعمل تاني في خمس دقايق والناس منتظرة، يلا يا ظافر اتأخرنا.
فاستسلم على مضض وأخذها بسيارته، أما (ناهد) ذهبت مع (نادر) والبنات معًا في سيارة خاصة، بهم، وانطلق الجميع إلى الحفل.
نزل (ظافر) من سيارته و(ظلال) أيضًا، فتقدم بجانبها: حطي دراعك في دراعي عشان منظرنا قدام الناس.
فنظرت إليه متفهمة: حاضر.
ومشَت مستندةً عليه لأنها لا تستطيع السير بذلك الكعب، فنظر إليها: في إيه؟ محملة عليا كده ليه؟!
فنظرت إليه بكسوف: ما هو الكعب عالي جدًّا ورفيع.
فنظر إليها: حد قالك تلبسيه؟!
(ظلال) باستسلام: أبلة ناهد.
فنظر إليها: تستاهلي، عشان تمشي وراها، ده منظر تلبسيه!
(ظلال) تبرر له: والله قلت لها ضيق ومفتوح من تحت وأنا مبحبش كده، قالت لي لازم تتغيري، إنتِ بقيتي سيدة أعمال وواجهة لأكبر شركات مصر، طب أعمل إيه أنا بقى، احترت مع العيلة بتاعتكم دي.
(ظافر) بحزم: خلاص خلصنا، إنتِ هتعيطي هنا!

وبدأ بالاقتراب من الجميع وهي بيده، وعرَّف الجميع عليها بأنه زوجته، وتناول الميكروفون ليعلن عن إشهار زواجه بها، ثم جذبها إليه من وسطها وكأنهما أسعد زوجين ليفتتح الرقص معها.

فنظرت إليه: رقص! لا ماتفقناش على كده!

نظر (ظافر) إليها: لازم احنا اللي نفتتحه وينضموا لينا، وخليكِ ماشية معايا وأنا هبقى شبه شايلك، بس متدوسيش على رجلي لتخرميها بالكعب ده، ولو معرفتيش حطي أطراف رجلك على رجلي وأنا اللي هحركك.

فاعتصر وسطها حتى يتحكم بحركتها ولا تقع أو تفعل شيئًا يحرجه، ثم انضم الجميع للرقص.

أما (بنان) و(أشجان) فانسحبتا من هذا الحفل الرسمي إلى الديسكو، أما (ظلال) فجلست على منضدة بمفردها في حين أخذ يتنقل بين الجميع، ومن وقت إلى آخر كان يشاهدها، وإذا قدِمَ أحدهم إليها كان يأتي مسرعًا، كان يتناول الخمر مع الحضور، أما هي فتتناول العصائر.

وبعد الانتهاء، ذهبت (ناهد) مع (نادر) إلى بيتها، وأخذ (ظافر) زوجته ومعه زجاجة خمر يتناولها، فوجدته غير متزن: كفاية كده عشان تعرف تسوق، العربية بترقص بينا.

فنظر إليها: ملكيش دعوة.

وعند الوصول كان غير متزن فحاولت إسناده.

ليبعدها عنه: وسعي، إنتِ اللي هتسنديني!

فسارت خلفه، وكلما ترنح حاولت أن تجري عليه، فكان يبعدها، إلى أن أوصلته إلى حجرته وألقته على الفراش وخلعت له حذاءه وحاولت أن تدثره وكادت تسير، ليجذبها بقوة إليه، فوقعت عليه فلفها بجانبه على الفراش: رايحة فين؟ مش جوازنا النهارده!

فجحظت عيناها: ظافر إنتَ مش في وعيك، وسَّع.

لينظر إليها: بتحبي حمزة!

واقترب منها وهي حاولت أن تعمل على إفاقته، ولكن لم يكن لها سبيل، إذ كيف لهذه العصفورة أن تتغلب على هذا الأسد، فقد أصبحت بعرينه ولا نجاة منه.

استيقظ (ظافر) في الصباح ورأسه تؤلمه: أنا شربت كتير قوي.
ثم نظر إلى جانبه، فصعق من تلك المتدثرة بغطائه ونائمةً بجانبه شبه عارية.
وفتحت (ظلال) عينيها لتنظر إليه وتتذكر، فحاولت رفع الغطاء إلى أعلي لتداري جسدها، وهو كاد يُجَن: ازاي ده حصل! طب أنا مكنتش في وعيي، إنتِ ازاي تسمحي بكده؟! ولا ما صدقتي!
وهي تبكي وتنظر إليه: إيه ما صدقت دي! أنا حاولت ومقدرتش عليك، أعمل إيه يعني؟!
فماذا سيحدث؟ هل ستختلف الحياة أم ستزداد تعقيدًا بينهما؟

***

(٣٠)

فنظر إليها بغيظ: يعني إيه مقدرتيش عليا؟! وحش مفترس! لو مش بمزاجك يا هانم مكانش حصل.

فبكَت: والله أبدًا، ولو مش مصدق، شوف الفستان بقى عامل ازاي.

فحاد ببصره: حجج فارغة!

وقام، لتجحظ عيناها وتصرخ وتخبئ عينيها بيديها.

فنظر إليها باستغراب: لا والله! مكسوفة دلوقت!

واقترب منها: واللي حصل بينا ده مفيهوش أي كسوف؟!

فنظرت إليه: أولًا الدنيا كانت ضلمة، لكن دلوقت شيفاك، وبالشكل ده وخلاص اللي حصل حصل.

فنظر إليها: يعني حصل فعلا.

فنظرت إليه بغيظ: قوم ادخل الحمام عشان ألبس وأمشي.

فنظر إليها: ما تقومي.

فنظرت إليه: تصدق إنك مستفز، أقوم ازاي يا بني آدم وأنا كده؟!

فأعطاها الغطاء كاملا: خدي يا اختي، اتلفي بيه وروحي.

فجذبته بقوة، ليصيح فيها: حاسبي هتقلبيني من على السرير، إيه الغباء ده!

فهمست لنفسها: أنا برضه اللي غبية! إنسان بارد مستفز!

فسمعها: بتقولي إيه يا بنت؟!

(ظلال) بخوف: مبقولش.

فضرب كفًا على كف: مبقاش إلا العيال كمان اللي تهزأنا، قومي فزي وخلصي، مش هستناكِ اليوم بطوله.

لتلتف بالغطاء وتأخذ ملابسها إلى الحمام وهو يتبعها بناظريه، ثم ضرب بيديه على الفراش: ازاي أنا أعمل كده؟! دي مرات حمزة، مش أخويا ده ابني، منك لله يا شيخة! هفضل أندم طول عمري على الغلطة دي.

لتخرج وفستانها ممزق، فنظر إليها: إيه اللي عمل في الفستان كده؟!

فنظرت إليه: تصدق إني مش هرد عليك.

وفتحت الباب وأطلَّت برأسها ناظرةً هنا وهناك، لينظر إليها باستغراب: بتعملي إيه؟

فأشارت إليه: هششش ليكون حد معدي!

فضرب كفًّا على كف: إنتِ ناسية إنك مراتي يا مجنونة، هو أنا جايبك من جامعة الدول!

فأغلقت الباب: والله قول لنفسك، محسسني إني فتاة ليل أفقدتك عذريتك.

وانطلقت إلى حجرتها مسرعة وتركته.

في هذه اللحظة، كانت (بنان) و(أشجان) تنزلان على الدرج، ثم تذكرت (بنان) زجاجة العطر، فقالت لـ(أشجان): استني هجيب البرفان، نسيته.

وهي تصعد لمحت من بعيد (ظلال) تتسحب بفستانها المزع من حجرة (ظافر) إلى حجرتها، فانطلقت إلى (أشجان) مرة أخرى تقول: الله الله!

فاستغربت (أشجان): مالك في إيه؟ وفين البرفان؟

(بنان) بضيق: لا برفان إيه بقى وزفت إيه، مرات أخوكِ يا اختي مبتضيعش وقت، طالعة من أوضة ظافر حالا.

(أشجان) باستغراب: وإيه يعني، مش مراته وأعلنوا زواجهم رسمي، ويمكن كانت عاوزة حاجة.

(بنان) بخبث: عاوزة حاجة! يا طيبة، وخارجة بنفس لبس امبارح بتاع السهرة ومقطع، دي مبتضيعش وقت خالص، وأنا اللي قلت هبلة وعبيطة، لازم أتحرك بسرعة قبل ما تاكل دماغه.

فانتبهت (أشجان): هتعملي إيه يعني؟! ما بقت مراته خلاص، هما حرين سوا.

فتداركت (بنان) نفسها: هاا! ولا حاجة، على رأيك، ربنا يهني سعيد بسعيدة، احنا مالنا صحيح، يلا بينا.

ولكن (أشجان) اتصلت بـ(ناهد) تخبرها عما حدث وما رأته (بنان) على سبيل المزاح، فأجابت (ناهد) بسرعة: لا ده أنا آجي بقى، وعاملين فيها مغصوبين ومش طايقين بعض، وأنا اللي أتحايل عليهم، والله لأوريهم!

وارتدت ملابسها لتذهب فورًا قبل ذهاب (ظافر) إلى الشركة، ونادت الدادة أن تخبر (ظلال) و(ظافر) بأنها بالهووول.

ليقول بضيق للدادة: ماشي، قولي لها جاي.
ويستغرب: في إيه على الصبح بدري كده!
وأيضًا (ظلال) استغربت وجودها، ولكنها أجابت الدادة بأنها ستحضر فورًا، وارتدت ملابسها وأطلقت العنان لشعرها المبلل حتى يجف، ونزلت لتتقابل معه على الدرج.
فنظر إليها: إيه اللي نزلك بالشكل ده؟!
(ظلال) باستغراب: أبدًا، أبلة ناهد بعتت لي أنزل.
(ظافر): وإنتِ مش محجبة، نازلة كده ليه؟
فاستغربت على اعتراضه: هو في حد غيري؟! أنا والدادة وأبلة ناهد.
فنظر إليها بضيق: افرضي نادر كان هنا ولا حد من الحرس دخل.
(ظلال) بضيق: أولًا أنا سألت الدادة وقالت لي لوحدها، وحاطة طرحتي لو حد دخل فجأة أحطها على شعري، ثم شعري مبلول قلت على ما ينشف.
فحاد بنظره عنها وهو يتهكم: آه، مبلول.
ثم نظر إليها: في سيشوار يا هانم، ابقي نشفيه.
(ظلال) بغيظ: حاضر المرة الجاية.
فأفهمها بطريقة أخرى: هو في مرة جاية!
ففهمت ما يرمي إليه ونظرت إليه، ليفهم: آه، خلاص فهمت.
ونزل هو وهي لتبارك (ناهد): صباحية مباركة يا عرسان.
لينظر كل منهما إلى الآخر، وينفي أنه قال شيئًا.
لتبدد نظراتهما: مش تقولوا إنكم رسيتوا على أوضتك، أنا كنت ناوية أوضب لكم أوضة جديدة على ذوقي تليق بالعرسان، وفعلًا بدأت في الديكورات وغرفة النوم جاية النهارده، وكنت هعملها لكم مفاجأة، بس إنتم استعجلتوا.
لتثبت لهم أنها تعلم كل شيء، وأنه لا شيء يدور من خلفها إلا وتعلمه.
(ظلال) بإحراج: إنتِ فاهمة غلط يا أبلة والله.
(ظافر) بغيظ: الموضوع مش كده يا ناهد، وكل واحد زي ما هو في حجرته.
(ناهد): إنتم بتستهبلوا؟! إنتم متجوزين، وفيه خدم وناس هنا عايشة معاكم، ولازم يبقى الشكل طبيعي، كلمة كده ولا كده تطلع للصحافة يقولوا فيه

خلافات، ولا لازم كل واحد يتسحب ويروح للتاني؟!
ونظرت إلى (ظلال) التي نظرت بدورها إلى (ظافر).
(ظافر) يشفق عليها: الموضوع مش كده قلت، عاوزة تصدقي صدقي، مش عاوزة إنتِ حرة، أنا عندي شغل ومش فاضي للتفاهة دي.
فنادته (ناهد): والأوضة؟
فرد: اعملي اللي عاوزاه.
فنظرت إليه (ظلال) وهو يسير وجحظت عيناها، كيف يوافق على هذا، ثم نظرت إلى (ناهد): لا يا أبلة، كله إلا كده، ماتفقناش على كده.
(ناهد) باستغراب: واحنا اتفقنا على حاجة أصلًا؟! إنتم مش اتجوزتوا، ده الطبيعي، ولا حلو لما البنات يشوفوكِ خارجة بهدومك مقطعة!
(ظلال) وهي تحس بالظلم الواقع عليها: والله مش كده، إنتِ فاهمة غلط.
وجلست بجانبها تحكي لها وتبكي، فأخذتها بحضنها: طب اهدي، بس ده الطبيعي حبيبتي، مينفعش نقول اتجوزوا والناس تعرف كل واحد في أوضة، هيتقال ده جواز مصلحة وممكن يحصل خلافات، لكن لو حسوا إنه زواج طبيعي هتفرق.
(ظلال) ببكاء: إنتِ متعرفيش عمل معايا إيه، وقال إيه، حسسني إني فتاة ليل مش مراته.
(ناهد) بتفهم: معلش استحمليه، ظافر مش قادر ينسى إنك مرات حمزة، أخوه اللي كان بيعتبره ابنه، ويبقى فجأة مع مراته، مش متقبلها، أنا فاهمة ظافر جدًّا، ده أنا اللي مربياه.
فاستدرت (ظلال) عطف (ناهد): بس بلاش سوا في وضة واحدة دي، أرجوكِ، هعمل أي حاجة تطلبيها، لكن أنا وهو في أوضة أرجوكِ أتوسل إليكِ بلاش!
فضحكت (ناهد): يعني إنتِ خايفة! بعد اللي حصل ده كله هيحصل إيه؟!
(ظلال) بقلق: معرفش والله مع أخوكِ ده ممكن أي حاجة تحصل، مأستبعدش ممكن يخنقني يقتلني يربطني في السرير، لا يا أبلة بليز بليز بلاش!
(ناهد) بغضب: بطلي لعب العيال ده، ومتحسسيهوش إنك خايفة منه كده، وتقفي قدامه بثقة.
فنظرت إليها: قدام مين؟ أخوكِ! ده أنا بشوفه قلبي بيقع في ركبي.

فضحكت (ناهد) على عفويتها وسذاجتها وحاولت طمأنتها: والله ظافر مع إنه يبدو كشري وعنيف وعصبي، بس قلبه مفيش أطيب منه.
(ظلال) وقد استسلمت لقدرها: ربنا يستر.
فأخذتها (ناهد): تعالي بقى أوريكِ الديكورات اللي عملتها مفاجأة عشان غرفة النوم جاية النهارده.
(ظلال) وتنظر إليها: إنتِ مصممة برضه!
(ناهد) أمسكت يدها: أكيد، غمضي عينكِ بقى.
وأخذتها إلى الحجرة: إيه رأيك؟
فتحت (ظلال) عينيها وانبهرت من الديكورات ذات اللمسات الأنثوية الجميلة: الله يا أبلة! إنتِ اللي عملتي كده؟! ذوقك حلو جدًّا! ده إنتِ كنتِ تنفعي مهندسة ديكور، إنتِ معاكِ إيه صحيح؟
(ناهد): حقوق.
فاستغربت (ظلال): وده إيه جابه لده؟!
(ناهد): الديكورات دي هواية من زمان، بحب أصمم حاجات كده على بسيط.
(ظلال) بانبهار: لا بسيط إيه، ده إنتِ تفتحي مكتب ديكورات مستريح وهتبقي من أكبر بتوع الديكور.
فضحكت (ناهد): المهم عجبك؟
(ظلال) وما زالت علامات الانبهار ترتسم على وجهها: جدًّا جدًّا، ده أنا حبيتها حتى لو أخوك فيها.
وضحكت، لتضحك (ناهد): لا اتلمي، إلا ظافر.
ونادت عليهما الدادة: بتاع العفش جه.
(ناهد): أوك دادة، خليهم يطلعوه.
وفرشوا الحجرة وكانت لعروسين حقًّا، ونقلت (ظلال) ملابسها وأيضًا ملابس (ظافر) بها، وبها فراش مخصوص لـ(إسلام).
وبعد هذا المجهود، دخلت (ظلال) تاخذ شاور وارتدت قميص نومها وتذكرت السيشوار، فجففت شعرها بدلًا من أن يقول لها أي شيء، وهي لا تريد إغضابه

أو مناقشته، فقد أعياها التعب.
لتقابله (ناهد) وتأخذه إلى الحجرة وتقول له: اتفضل هنا.
ثم انصرف، ليدخل يجدها بالحجرة و(إسلام) نائم بفراشه، فمال عليه ليقبله، ثم بدأ في خلع ملابسه، وهي أخرجت له ملابسًا من الخزانة لأنه لا يعلم أين ملابسه.
فنظر إليها: إنتِ جبتي هدومي كمان!
فأجابته: دي أبلة ناهد.
ليقترب منها ويجذبها من ذراعها: يادي أبلة ناهد، وإنتِ فين عقلك من ده كله؟! يكون في علمك، زي ما قلت لك، جوازنا ما زال على الورق، واللي حصل ده غلطة مش هتتكرر، إنتِ فاهمة!
فردت بتألم فاهمة فاهمة، المهم إنتَ تفتكر كده، سيبني بقى.
فتركها بغيظ لأنها تذكره بما حدث، ثم ارتدى بنطال التريننج فقط وذهب لينام.
فأجابته: افتح التكييف، أنا بقفله عشان إسلام، ممكن أعمله على (low).
(ظافر) بتفهم: لا خلاص، أنا هنام كده وخلاص عشان إسلام ميتعبش.
ثم خلعت الروب لتنام وتدثرت بالغطاء، فنظر إليها: هتنامي كده؟
فنظرت إليه: لا هلبس إسدال الصلاة!
وأعطته ظهرها، ليلفها إليه: إنتِ بتتريقي عليا؟!
ونظر بعينيها وهي أيضًا، لتخاف أن يحدث شيء ويظهر جنانه مرة أخرى.
فأجابته: ظافر ابعد عني بليز.
فأدرك الوضع: على فكرة أنا مش عايزك، لازم تفهمي كده.
فردت هي الأخرى: وأنا كمان مش عاوزاك.
ثم أولته ظهرها ونزلت الدموع من عينيها، ليشعر بها.
فسألها: بتعيطي ليه دلوقت؟
فأجابت: مبعيطش.
فأدارها إليه: أمال الدموع دي إيه؟!
فنظرت إليه: إنتَ بتتعامل معايا كده ليه، أنا ليا في الفيلا دي أنا وابني، النص وفي كل شيء، ومع ذلك بتعامل أقل واحدة في البيت ده وبتهان ومبتكلمش،

وأي حاجة بقول حاضر حاضر عشان ابني، وأقول مهما كان عمه وأخو حمزة، وعلى فكرة مجابنيش من الشارع، هو اللي بقى يطاردني، ومأنكرش أنا كمان حبيته، ومش ذنبي ولا ذنبه إننا حبينا بعض، أول حضن حسسني بالأمان كان معاه هو.

فتذكر (حمزة) ووصيته له لـ(إسلام) ولو أمهله العمر لوصاه على (ظلال) وأيضًا أن يرأف بحالها، ليأخذ برأسها فوق صدره العار: خلاص اهدي.

فانهارت بالبكاء بين أحضانه حتى استكانت وهدأت ونامت، وهو أيضًا نام واضعًا رأسه على رأسها.

لتستيقظ وتتأوه من تأثير ضغط رأسه عليها وتُحرَج من الوضع، وهو أيضًا استيقظ.

فنظرت إليه: آسفة، راحت عليا نومة!

فأجابها: ولا يهمك، أنا كمان نمت.

وبعد بضعه أيام، كانت (بنان) قد اتفقت مع (نادر) لتنفيذ خطتهما، وجاء (نادر) و(ناهد)، ونزلت (بنان) إلى (ناهد) وأخذت حقيبتها تفتحها: أنا بحب برفانك قوي.

وأخذت تخرج الأشياء لتلتقط البرفان.

(ناهد) باستعجال: طب لمي بقى كل حاجة عشان خارجة، هتيجي يا نادر؟

(نادر): لا مأقدرش على اللف، أنا هقعد مع ظافر في المكتب على ما تيجي.

وأعطتها (بنان) الحقيبة وتركت محفظة النقود والفيزا، ثم ذهبت (ناهد).

أما (بنان) فأشارت إلى (نادر): هطلع أنفذ، خليك هنا، هوزع الدادة تشتري حاجة وأطلع لظلال.

وبالفعل، أرسلت الدادة إلى مشوار بعيد لتأتي لها ببعض الأشياء، وصعدت مسرعةً إلى (ظلال): الحقيني يا ظلال بطني بتتفرتك!

(ظلال) بخوف: طيب أقول لظافر يودينا المستشفى.

(بنان): لا، أنا بعت الدادة تجيب علاجي، بس عاوزاكِ تعملي لي حاجة سخنة.

بفهبَّت (ظلال) مسرعة: حاضر حاضر عنيَّ، ارتاحي وادفي على ما أعمل.

ونزلت مسرعةً بقميص جل قصير وشعرها، ولم تكن تعلم بوجود (نادر)،

ودخلت مسرعةً إلى المطبخ، لتجد من يحيطها من الخلف بذراعيه، ظنت أنه (ظافر)، ولكنه لن يفعلها، فنظرت ووجدته (نادر): في إيه يا أستاذ نادر؟! إنتَ اتجننت!

في هذه الأثناء، أخبرت (بنان) (ناهد) أنها وجدت محفظتها ويجب عليها العودة لأخذها، أما (نادر) فكان يحاول استمالة (ظلال) إليه: هو في حلاوة بالشكل ده! الواد ظافر ده معندوش نظر، يهمل الحلاوة دي!

وحاول احتضانها، فوضعت يدها على سكين وضربته في يده، فتركها على الفور وذهب خلفها، وقد دخلت (ناهد) في هذه اللحظة و(ظلال) تخرج من المطبخ مسرعة وخلفها (نادر) يخفي يديه، فكان يصيح بها: هو ظافر مش مكفيكِ ولا إيه؟! جاية تتحرشي بيا! صحيح بتاعة شوارع!

في قدوم (ناهد) وخروج (ظافر) من المكتب على هذا الكلام وصوته العالي، وهي تنظر إلى (نادر) باستغراب والجميع ينظر إليها وهي بقميصها القصير وشعرها وهذا الكلام الغريب الذي يقوله.

فماذا سيحدث؟ هل هذه هي النهاية أم سينقلب السحر على الساحر؟

***

(٣١)

نظرت (ظلال) إلى (ناهد)، والتي بادرتها بنظرات الاتهام، فكانت مقهورة من تلك النظرة التي لمحتها بعينيها، فكيف لها أن تصدق هذا عليها! ولكنها التمست لها العذر، فهذا زوجها، كيف تصدق عليه هذا وأنها خُدِعَت فيه كل هذه الأعوام رغم تضحيتها بكل شيء حتى أمومتها من أجله، ولكنها التفتت إلى هذا الذي ينام بجوارها كل يوم ويعلمها جيدًا، فهل تحرشت به يومًا ما وهو زوجها حتى تتحرش بغيره، إن كانت تريد رجلًا فمن باب أولى زوجها، فلم تحتمل نظرات الاتهام التي يوجهها إليها، لتتساقط العبرات على وجنتيها.

تحولت نظرات (ظافر) بين مُصدِّق ومُكذِّب، لا يعلم هل انخدع ببراءتها أم أنها بريئة حقًّا، ونظر إليها في هذا الرداء الذي ترتديه وشعرها، فبدا عليه التصديق لما يقوله (نادر)، ثم نظر إلى وجهها الباكي ودموعها، فكذب ما قاله (نادر).

وهي تنظر إلى (نادر) بعيون باكية فتقول: حسبنا الله ونعم الوكيل!

وانطلقت تجري إلى حجرتها، ليزيد من كلامه: آه، اعملي فيها بريئة، شوفي مين هيصدقك، خلاص الكل عرفك على حقيقتك.

فوجدت (ناهد) الدماء تسيل منه، ففزعت عليه: إيه ده يا نادر؟! إيدك بتجيب دم!

وجرت تأتي بمطهر وقطن وشاش لتضمد الجرح: إنتَ حصل لك إيه؟!

(نادر) بتلعثم: أبدًا يا ناهد، حاجة بسيطة متكبريش الموضوع، ده بجيب معلقة إيدي خبطت في السكينة فاتفتحت.

(ناهد) باستغراب: وإنتَ إيه دخَّلَك المطبخ؟! وفين الدادة؟

(نادر) بضيق: يووه يا ناهد، هو تحقيق! راحت مطرح ما راحت، همشِّي وراها مخبر؟! ملقيتهاش قلت أعمل لي قهوة، دخلت لقيت حضرتها جاية من ورايا تدلع عليا، فضحتها عشان تعرفوا حقيقتها، أصلك مخدوعة فيها.

(ناهد) بحزن: فعلًا، اللي تحسبه موسى يطلع فرعون! وأنا اللي قلت دي ساذجة وطيبة.

(نادر): طيبة! ده إنتِ اللي طيبة!

أما (ظافر) فانطلق خلفها عندما جرت من أمامه، ودخل عليها فوجدها تضع ملابسها في الحقيبة والدموع تملأ وجنتيها، ليغلق الباب ويقترب منها ويغلق الحقيبة.

فجذبها من يدها وأجلسها على مقعد وجلس أمامها على المقعد المقابل، وقرب مقعدها بحركة فجائية لتكون بين فخذيه وكأنه يقبض عليها: ممكن بقى تهدي وتفهميني، إيه اللي نزلك بالشكل ده؟! وأنا أصلًا منبه عليكِ متنزليش بشعرك، تقومي تنزلي بالشكل ده!

فنظرت إليه بحزن وهي تشهق بالبكاء كالأطفال: يعني إنتَ مصدق عليا الكلام ده؟

فأغمض عينيه ليُهدِّئ من روعه: أنا لا مصدق ولا مكذب، أنا أحب أسمع من الأطراف كلها، وأنا ليا عقلي اللي أحكم بيه مين الصادق ومين الكاذب.

فنهضت: خلاص، طالما مش مصدقني لازمته إيه الكلام، أنا ماشية وسايبهالكم.

فجذبها بقوة لتجلس مرة أخرى، وبصوت قوي: أنا مش هتحايل عليكِ، انطقي، إيه اللي حصل؟ بدل ما هتشوفي وش عمرك ما شوفتيه، أنا مش ناقص دلع الأطفال ده!

فبكت بقهر، ليغمض عينيه ويرفع شعره بيديه: يا ابنتي خلصيني وانطقي، مش فاضي لك طول اليوم! عاوزة تفضلي متهمة كده ومتدافعيش عن نفسك؟! إيه نزلك كده تحت ونادر كان موجود؟

(ظلال): أنا معرفش إنه تحت أصلًا، ولا إن أبلة ناهد جت هنا، أنا كنت نايمة جنب إسلام عشان كان تعبان بالليل، وسهرت جنبه لحد ما روحت الأوضة التانية عشان متقلقش وإنتَ نايم، فلما نام محسيتش بنفسي وجت بنان فزعتني إن عندها مغص، فنزلت أعمل لها حاجة سخنة.

(ظافر): وتنزلي إنتِ ليه؟ ما تقول للدادة.

(ظلال): أنا قلت لها أكلمك ونوديها المستشفى، قالت لأ، هي قالت للدادة تجبلها العلاج، وطلبت أعملها حاجة سخنة، وأنا كنت نايمة ومش مستوعبة حاجة ومخي مش فيا، فنزلت على المطبخ بالشكل ده، مأخدتش بالي ولا فكرت ألبس، أنا بس قلت لها تنام وتتغطى عشان تدفى وتخليها جنب إسلام.

(ظافر) باستغراب: أمال فين بنان؟
(ظلال) مستنكرة: معرفش، ملقيتهاش، والحمد لله إن إسلام لسه نايم وماتحركش، كان وقع من على السرير.
فنظر إليها: ونادر، إيه اللي حصل؟
فنظرت إليه: برضه مفكر أنا اللي عملت كده معاه! طب مفكرتش للحظة، لو أنا عاوزة راجل معملتش معاك كده واحنا بنام جنب بعض ولا عمري قربت منك، وإنتَ عارف كده كويس.
فنظر إليها نظرة خبيثة: ما يمكن مش عاجبك!
فنهضت: خلاص، طالما إنتَ مصدقه، إيه لازمته كلامي، لا هيقدم ولا هيأخر.
فأجلسها بقوة مكانها: أنا اللي أقرر لما تحكي مش إنتِ، كملي.
(ظلال) ببكاء: مش قادرة بجد أحكي، أنا جسمي بيرتعش من ساعتها.
فأمسك بيديها المرتعشتين وتفهم حالها: طب اهدي وكملي.
استجمعت (ظلال) شجاعتها: أبدًا، دخلت أعمل حاجة سخنة لقيت حد بيحضني من ورا، فكرت للحظة إنه إنتَ، لكن استبعدت الفكرة، فحاولت ألف أشوف مين لقيت نادر، مبقيتش عارفة أعمل إيه.
(ظافر) وينظر إليها نظرة تؤلمها: وإيه اللي يخليني أصدق روايتك دي.
فنهضت: لو مش مصدق، شوف الجرح بالسكينة اللي عملته فيه لما اتهجم عليا، وبعد إذنك وسع عشان مش هفضل هنا تاني.
فقام (ظافر) يجز على أسنانه بعد أن تأكد مما حدث: الحيوان القذر بيتهجم على حرمة بيتي وعلى شرفي بعد كل اللي عملناه معاه!
فوجدت ملامحه تغيرت وكأنه سيصور قتيلًا، فوقفت أمام باب الغرفة حتى لا يخرج: إنتَ هتعمل إيه؟ مش هسيبك تخرج في الحالة دي.
فنظر إليها بغضب: ابعدي عني أحسن لك الساعه دي، حسابك بعدين على اللبس اللي نزلتي بيه.
فوقفت كالتمثال ولم تتحرك: اعمل فيا اللي عاوزه بس مش هسيبك تنزل.
فنظر إليها باستغراب: خايفة عليه ولا إيه؟!
لتتغاضى عن تلميحه: أكيد لأ طبعًا، أنا خايفة علـ...

ولم تكمل واستطردت: فكر في أختك ناهد، اللي بتحبه لدرجة ضحت بكل شيء وبأمومتها عشانه، دي لو عرفت ممكن يجرالها حاجة، أنا مش مشكلة لو فضلت فاكرة عني كده، لأن هي متعرفنيش، ومعرفتنا لفترة قليلة، مش هتتصدم فيا قوي، لكن صدمتها في جوزها عمرها ما هتتحملها، من فضلك بلاش عصبية وفكر فينا قبل تهورك ده.

فلم يأخذ بكلامها وأمسكها من ذراعها بقوة لتتألم منه، وأبعدها على طول ذراعه لتقع على الفوتيه، ثم نظر إليها: إنتِ متقوليش إيه أعمله وإيه ماعملوش، مش حتة عيلة هتمشيني، وحسابك لسه بعدين.

لتنظر إليه بعينين باكيتين، فلم يتأثر ببكائها وانطلق، ووجد أخته مع زوجها تضمد أثار السكين، فتأكد من قول زوجته وهمَّ بالذهاب، ولكنه نظر إلى أخته، كيف له أن يفعل بها هذا؟!

فذهب إلى زوجها وأخذه من تلابيبه بعيدًا عن (ناهد) وهو يجز على أسنانه: إنتَ يا واطي، بعد اللي عملناه معاك تعمل كده في مراتي وتتعدى على شرفي أنا!

كاد (نادر) أن يتفوه: إنتَ صدقتها...

فلم يمهله: إنتَ تخرس خالص ومأسمعش نفسَك هنا تاني، من سكات تاخد مراتك وتروحوا بيتكم وماشوفش خلقتك هنا مرة تانية، كفاية إني هسمح لك تاخدها معاك، لو عليا هرجعك حافي زي ما كنت، لكن عشانها هي، خايف من صدمتها فيك بعد اللي عملته معاك يا واطي.

فعلم أن أمره قد كُشِف وحاول لملمة ما بقي من كرامته قبل أن يفتضح أمره أمامها: يلا يا ناهد.

(ناهد) باستغراب لموقف أخيها: إنتَ صدَّقت الحية دي ولا لِعبت عليك وكلت دماغك زي ما عملت مع حمزة! وأنا اللي بقول ظافر واعي وشديد مش هتقدر تبلفه زي حمزة.

فأغمض عينيه حتى لا يتفوه بكلمة: خدي جوزك يا ناهد وامشي الساعة دي.

(ناهد) بغضب: أنا فعلًا ماشية، ومش راجعة تاني.

ثم نظر إلى (نادر) الذي أمسك بزوجته وقال: يلا يا ناهد، متكتريش.

فاستغربت أن (نادر) لا يُجادِل أو يقول أي شيءٍ لـ(ظافر) دفاعًا عن نفسه،

وأخذت زوجها وذهبت إلى بيتها، ولم تفهم شيئًا، كيف لـ(ظافر) أن يقتنع بكلامها هكذا بسهولة ويأتي على (نادر) وكاد يضربه، ولكنها استبعدت فكرة كذب (نادر)، فهي لن تتحمل، فحاولت ألا تسأل، ولكن الفضول اعتصرها، فنظرت إلى زوجها نظرةً محتارة، فحادَ ببصره عنها وتحاشى النظر إليها، لتنام لأول مرة بجانبه وهي تدير ظهرها له ولا تحتضنه، وتخوفات وأفكار تملأ رأسها. فهل ستتحمل كل هذا العناء والشك؟ وإلى متى ستصبر ولا يدفعها الفضول إلى معرفة تفاصيل ما حدث؟

***

أما عند (ظلال)، فقد ذهب (ظافر) مرة أخرى إلى حجرته يخلع ملابسه، لتقف ويدفعها الفضول لتسأله: عملت إيه؟

فردَّ بغيظ: وإنتِ مالك، أعمل اللي أعمله، مش كفاية عملتك السودا ونزلالي بالشكل ده، ما هو ده اللي خلاه يطمع فيكِ.

(ظلال) بضيق من تلميحاته: ما قلت لك كنت نايمة ومش مركزة.

فجذبها من ذراعها إليه: نايمة يعني قومتي وفوقتي، مش ضاربة دماغ ولا واخدة مخدر مش حاسة بنفسك، آخر مرة تتكرر، وإلا هعلقك من شعرك ده اللي فرحانة بيه.

(ظلال) وقد تغاضت عن كلامه: المهم، عملت إيه؟ قلت لأبلة ناهد؟

فنظر إليها: يهمك قوي أمرها؟!

(ظلال) بغضب: أكيد طبعًا، وإنتَ عندك شك في حبي لأبلة ناهد.

فاقترب منها: أبلة ناهد بس.

فلم تفهم قصده وفكرت أنه يلمح إلى (نادر): تقصد إيه بالضبط؟

فابتعد: ولا حاجة.

فأدارته لها: إنتَ لسه بتشُك فيا وإني أنا اللي اتحرشت بنادر؟

فنظر باستغراب إليها: إنتِ مجنونة يا بت! وأنا لو عندي شك كنتِ لسه هتبقي واقفة قدامي بحالك كده، ولا كنت عملت فيه كده، ده أنا كنتَ هنفخه، لولا وجود ناهد، اتحاملت على نفسي إني أشوفه قدامي وأحذره بس إنه يهوِّب هنا تاني، ولو حاول يضايقك تقولي لي فورًا.

(ظلال) باستغراب: وهو لو مجاش هنا هيضايقني ازاي، وصحيح بالنسبة للكلية...

(ظافر) بضيق: مالها؟ مش جبت لك دكاترة هنا يدوكِ كورسات وكليتك نظرية مش عملية مش محتاجة تحضري، واتفقنا على كده.

(ظلال) بتفهم وجلست على الفراش عاقدةً قدميها كالطفلة التي تستمع لأبيها وهو بجوارها: بس زمايلي كلموني وقالوا لي في دكتورين رخمين قوي وبياخدوا الغياب.

فترك كل هذا: نعم يا اختي! زمايل مين دول اللي كلموكِ؟! مش قلت رقمي وأمك وناهد وخلاص، جبتيهم منين دول؟

(ظلال) تحاول تهدئته: اهدا بس ونتكلم بالعقل.

(ظافر) بغضب: وإنتِ خليتي فيا عقل! مين دول انطقي؟ وبتكلمي شباب!

(ظلال) بسرعة دون تفكير: لا والله دول بنات.

(ظافر) غير مصدق: وجبتيهم منين دول؟

(ظلال) مفسرةً له: فاكر اليوم اللي وديتني فيه الكلية لما اتحايلت عليك عاوزة أكمل تعليمي.

(ظافر) يتذكر: آه فاكر، وأخدتك تجيبي الكتب وتعرفي المواد واستنيتك ورجعتك واتفقت مع دكاترة مش معيدين يجولك للبيت وبأضعاف الكورسات اللي بره.

(ظلال) لتذكره هذا الموقف تثني عليه: الله ينور عليك، ساعتها أخدت أرقام بعض صديقاتي، لو في امتحان ولا غياب يكلموني، وفعلًا كلموني.

فأخذ الهاتف من يدها وتفحصه: اتصلي برقم رقم وافتحي الاسبيكر.

(ظلال): إنتَ بتعمل معايا كده ليه؟!

(ظافر) بغضب وبصوتٍ أرعبها: اخلصي ونفذي.

لتتصل بالأولى والثانية فتسلم عليهم وتسأل عن الأحوال، أما عند الثالثة فقد ظهر صوت رجل، لتفزع وتلقي بالمحمول.

فأعطاه لها: ردي.

فردت: السلام عليكم، مش ده رقم زهرة؟

فرد الرجل: أيوه يا ابنتي، بس نايمة وسابت التليفون في الصالة، أنا والدها، أقول لها مين؟

فتنفست الصعداء: لا يا عمو متقلقهاش، أنا هتصل وقت تاني.

ونظرت إليه: شوفت!

فرد: كملي.

فردت بزهق: باقي واحدة.

فأجاب بصوته الجهوري: اخلصي.

فرنت على صديقتها، ليظهر صوت شاب يرد عليها: أيوه يا عسل؟ عاوز إيه؟

فردت: مش ده تليفون لمياء؟

فرد الشاب: لمياء وأخو لمياء تحت أمرك يا عسل، يعني مينفعش أخوها؟!

لياخذ (ظافر) الفون: إنتَ بتستهبل يا روح أمك!

ليرد الشاب: مال صوتك؟!

(ظافر): لا ده إنتَ بتستظرف بقى وعاوزني أولع في أمك!

فأغلق الشاب الخط: و(ظافر) ألقى بالمحمول: البت دي الغي رقمها وإياكِ ترن عليكِ وتردي.

(ظلال): حاضر حاضر، دي زبالة أصلًا وأخوها أزبل منها.

وضغطت على الرقم: ما تتحذفي بقى يخربيتك إنتِ وأخوكِ في يوم واحد جبتولنا الكلام، أنا غلطانة إني أصاحب واحدة أخوها زبالة كده!

وأدار هو وجهه وضحك على كلامها وطريقتها وهي تمسك المحمول وتحاول حذفها، حتى غلبه الضحك ليقهقه بصوت عال، فنظرت إليه وسرحت: شكلك حلو وإنتَ بتضحك، أول مرة أشوفك بتضحك معايا.

فرجع إلى تكشيرته، لتنظر إلى محمولها وتعتذر عن كلامها.

فأخذه منها: هاتي الموبايل.

فنظرت بخضة: ليه؟ هتاخده مني؟

فنظر (ظافر) إليها: هحذفها لك بس متخافيش.

وأعطاها إياه.

(ظلال): طب واليومين بتوع الدكاترة اللي بياخدوا الغياب، هتوديني؟

(ظافر) بضيق: حاضر يا ستي هوديكِ الصبح وأرجعك، وبالمرة لو في أي توقيعات لأوراق في الشركة أخليهم في الأيام دي، بدل ما تنزلي وتخرجي كتير.
فاحتضنته كالأطفال: متشكرة، متشكرة قوي.
لتدرك ما فعلت وتتراجع: أنا آسفة.
فنظر إليها: آسفة على إيه يا هبلة!
فغضبت من كلمته وأدارت ظهرها كالأطفال.
فنظر إليها: طفلة، عمرك ما هتكبري.
فهتفت: أنا لَستُ بطِفلَة.
فنظر إليها وضحك: وباللغة العربية كمان! والله طفلة.
لتجده يهمس في أذنها: طب اديني أمارة إنك ست مش طفلة وأنا أغير وجهة نظري.
فجحظت عيناها ونهضت من الفراش: تقصد إيه؟!
فماذا سيحدث يا ترى؟
وماذا ستفعل (ناهد) مع (نادر)؟ هل سيستمر هذا الوضع أم ستعرف الحقيقة المرة؟ وما ردُّ فعلها، أستُسامِح وتغفر أم سيكون لها موقف آخر؟

***

(٣٢)

انتفضت (ظلال) بعد كلمات (ظافر) الهامسة ونهضت مسرعة مبتعدة عن الفراش، ثم جحظت عيناها: يعني إيه؟ تقصد إيه بكلامك؟

فنهض مقتربًا منها: تعالي بس متفهمنيش صح، إنتِ خايفة من إيه، أنا هعرفك غلطك بس، مش هعمل لك حاجة.

بينما هي جاحظة العينين بسبب كلامه، ثم أمسكها بطرف أصابعه من ملابسها وأدارها لتصير أمامه مرةً أخرى، وتوجه إليها بسؤال: ده منظر ست؟!

فنظرت إلى نفسها بتعجب، لتقول بدهشة: مالي، وست الستات كمان!

فضرب كفًّا على كف وقهقه: بمريلة (KG١) دي!

(ظلال) بضيق: لا بقى إنتَ زودتها قوي، مأسمحلكش تقول كده، أنا بارتاح في القمصان الجل دي، مبحبش القمصان التانية.

فضحك ليستفزها: ما هي التانية دي بتاعة الستات، لكن دي بتاعة الأطفال.

وفي نفسها تسب فيه: رخم وبارد!

ثم نظرت إليه: وإنتَ إيه فهمك أصلًا في حاجة الستات!

فعقب عليها بنوع من الاستفزاز: الله يرحمك يا مادي، كنت أدخل ألاقي أنثى تحِل من على حبل المشنقة وقمصان إيه ودلع إيه، ده كان عليها حتة تقبرني...

فنظرت إليه بغيظ: مين مادي دي؟!

(ظافر) باستغراب: مراتي السابقة.

(ظلال) باستغراب: هي ماتت؟

(ظافر) ليغيظها أكتر: تفي من بقك، الجمال والدلال ده عاوزة تموتيه! حرام عليكِ.

(ظلال) بضيق: مش إنتَ اللي بتقول الله يرحمك!

(ظافر): الرحمة بتجوز على الميت والحي على فكرة.

(ظلال) بغيظ: ولما إنتَ بتحبها قوي كده ومش طايق بُعدها وبتتغزل فيها، طلقتها ليه؟

(ظافر) وهو يدير لها ظهره ويبتسم: لا حب إيه، وأنا بتاع الكلام ده.

و(ظلال) في قمة الغيظ منه، لترد: أصلك معندكش قلب ولا بتحس.
فالتفت لها: طب علميني يا صاحبة الإحساس المرهف.
فابتعدت وتراجعت لتلتصق بالحائط، وهو وضع كلتا يديه على الحائط وهي بينهما، لتجيب عليه: وأنا مالي، أعلمك أنا ليه.
فأجابها بهمس في أذنها: مش مراتي ولا أروح لواحدة غريبة تعلمني.
فنظرت إليه بضيق: إنتَ حر.
ليستنشق عبير شعرها ويقترب من شفتيها التي مدَّتها بسبب ضيقها منه حتى كاد يقضمها، لتغمض عينيها، فتراجع ووقف ينظر إليها لاستفزازها أكثر فأكثر، ففتحت عينيها ونظرت إليه ليزداد غيظها منه وتنزل من بين يديه وتجري تتدثر بغطائها.
فيأتى من خلفها يحتضنها، فجحظت عيناها ثم أغمضتها كالأطفال بسرعة، وهو شعر بتعبيراتها التي لأول مرة يتعامل مع مثلها، فهي حالة فريدة من نوعها بالنسبة إليه يحاول استكشافها، وفي الوقت نفسه يحاول إذابة الجليد بينهما بعد ما حدث بينهما من خلافات، أما هي فقد آثرت النوم دون تفكير فيما يفعله، ولكنها أحست بأنه متعجرف ويتعمد استفزازها ويضيق عليها الخناق، وهي لا تطيق هذا.
استيقظا في الصباح، وارتدى هو ملابسه، وهي أحست بألم في معدتها وميل إلى القيء، فجرت على الحمام تفرغ ما في جوفها، ليأتي مسرعًا لها.
(ظافر): مالك؟ خدتي برد ولا إيه؟ ده أنا مولعتش التكييف حتى.
(ظلال) بتعب بعد أن اقتربت من الفراش: لا أنا حاسة بقالي فترة بالموضوع ده، زي ما حصل في حمل إسلام.
فابتعد عنها: يعني إيه؟ تقصدي إيه؟
(ظلال) بتلقائية: أقصد إني حامل.
فجذبها إليه: حامل! يعني إيه؟ وازاي ومن مين؟!
فنظرت إليه باستغراب: يعني إيه ازاي ومن مين، هي الناس بتحمل ازاي، وأنا متجوزة مين عشان تسألني من مين ولا ناسي.
(ظافر) وقد جن جنونه: إنتِ مجنونة ولا بتستهبلي؟! أنا مبخلفش، العيل ده

جه ازاي؟! انطقي وإلا هقتلك!
(ظلال) ببكاء: العيل ده ابنك، ولو مش مصدق ابقى اعمل (DNA).
(ظافر) وهو غير مصدق: لا والله! أصلنا في زمن المعجزات، بقدرة قادر واحد مفيش أمل في الإنجاب ويخلف.
(ظلال) تحاول إقناعه: بتحصل كتير، وربنا قادر على كل شيء.
(ظافر) وهو كالمجنون: إنتِ عاوزة تجنينيني!
وألقى بها على الفراش: أنا لازم أعرف الكلب اللي خونتيني معاه، ومش بعيد أكون ظلمت نادر كمان، واحدة من الشارع هنتظر منها إيه!
وتركها ومشى، لتجهش بالبكاء من كلماته ولا تدري ماذا تفعل مع هذا الثور الهائج، فالله وحده يعلم أنها مظلومة، وهو القادر على أن يُنجيها مما هي فيه، فأخرجت دفترًا تكتب فيه بعض الكلمات كلما ضاقت بها الحال ذرعًا ولا تجد متنفسًا غير الكتابة، فسطرت هذه الكلمات علها تجد فيها متنفسها:

كانَ حُلمًا صعبَ المنال
وعندَ اقترابي منه تلاشى
بل باتَ يُؤرِّقُني
يُطيحُ بمشاعري
يَسحقُني
تتلاشَى أحاسيسي
أعجزُ عن التناغُم
تفتُر مشاعري تجاهَه
يقسُوا عليّ
يُعنِّفني
قد بتُّ لا أحتمل
أعلمُ أنكَ تُحبُّني
ولكنني قد دفنتُ حبي معَه.

ثم وضعت الدفتر في المكان المخصص له وذهبت إلى ابنها تراعيه والدموع تنساب منها.

***

أما هو، بعد أن ذهب إلى العمل أنهى بعض المعاملات ولم يحتمل هذا الشك الذي يعتصره، حتى أنه أمسك بمسدسه وكاد يذهب ليفرغه بها، تلك الخائنة، ولكن كيف تخونه مع هذا الحصار، ومن هو هذا الشخص الذي فضلته عليه، لا بد أن يعرف.

كاد يذهب يعتصرها عصرًا حتى يُخرِج الحقيقة منها، ولكنه تراجع وذهب إلى الطبيب حتى يقطع الشك باليقين ولا يظلمها.

ذهب يسأل الطبيب عن حالته.

فسأله الطبيب: أين التحاليل؟

فنظر إليه (ظافر): مش عندي، ده كنت في ألمانيا ومراتي اللي تابعت وقالت لي، وأنا مسألتش ولا جبتها.

الطبيب بتفهم: خلاص، هنعمل حاليًّا فحص مبدأي للتأكد من حاجات معينة، وبعد كده هبعتك للمعمل تعمل التحاليل اللازمة.

وبالفعل، أجرى الفحوصات اللازمة، فأكد له الطبيب أنه بخير جنسيًّا وجسمانيًّا، أما بخصوص العقم أو عدمه فهذا ما ستؤكده التحاليل، واستعجل (ظافر) في إنهاء التحاليل، ليخبره الطبيب أنه سيحاول إعطاء الأوامر للمعمل بإنهائها في أسرع وقت، ولكن لا بد من بعض الوقت لإعطاء النتائج، ووعده أنه سيتصل به بمجرد ظهور النتائج.

فاستسلم (ظافر) بعد هذا الحديث، ولكن واتته بادرة أمل أنه ربما يكون قد شُفيَ أو شيءٌ من هذا القبيل، ولكنه آثر ألا يذهب إلى الفيلا قبل أن يتأكد، كي لا يتهور أو يصنع بها شيئًا، فقد أصبح الأمل قريبًا لأن يُصبِح أبًا ولا يريد إضاعته بتهوره وشكه بها.

فذهب إلى البار بعض الشيء، وبعدها سار في الطرقات بسيارته على غير هُدى، حتى استوقفته فتاة ليل، فوقف ليأخذها معه إلى شقة أخيه (حمزة)، فجلس على الفراش ممددًا وهي بجانبه تنظر إليه، وأخرَج سيجارًا يدخنه لينفث فيه غضبه.

حاولت الفتاة مجاراته في الحديث: إنتَ شغال إيه؟

فصدها بضيقٍ وبعنف: وإنتَ مالك؟
ففزعت منه: خلاص، أنا كنت بفتح مجال يعني، ولا شكلك منهم، ده نفخ ده ولا إيه؟
فاغتاظ منها: قومي يا بت من هنا، أنا اللي غلطان إني جبت واحدة واطية زيك!
فنظرت إليه: وفلوسي، هو إنتَ من إياهم!
فضربها كفًّا وأخرج مبلغًا كبيرًا ورماه بوجهها، فلَملَمته من الفراش: يا اخويا يقطعني، لو احتجت أي حاجة كلمني على طول.
فنظر إليها بضيقٍ وبدونية: امشي غوري مش عاوز أشوف وشك.
وألقى بالأشياء التي بجواره على الأرض.
فجرت وهي تقول: حاضر حاضر.
لينظر إلى صورة فرح (ظلال) و(حمزة) المعلقة على الحائط، وكانت هذه أول مرة يلاحظها.
فحدَّث أخاه: ليه يا حمزة عملت فيا كده؟! أنا كان مالي بده كله، كنت عايش لوحدي ولا حامل هم حد ولا ليا صلة بحد، دبستني في كل ده وخلعت وسبتني، إيه اللي خلاك تعمل كده وتتحدى أبوك وإنتَ الوحيد اللي عمرك ما خالفته، تستاهل قوي تعمل عشانها كده؟!
ثم قاطع تفكيره اتصال من الطبيب: نتايج التحاليل ظهرت، إنتَ زي الفل ومفيش أي مانع عن الإنجاب.
فاستغرب وتساءل: يعني ممكن حد لا ينجب ومن غير علاج يخف؟
فأجابه الطبيب: يا ابني إنتَ مفيكش عيب أصلًا عشان تخف!
فاستغرب (ظافر): ازاي؟! وتحاليل ألمانيا، معقول يغلطوا!
الطبيب: أنا مشوفتهاش عشان أحكم عليها، لكن أنا اللي قدامي تحاليلك دلوقت، وباتكلم على أساس كده، إنتَ زي الفل وتقدر تخلف عادي.
فشكره (ظافر) كثيرًا وفرح جدًّا، فأخيرًا حلم حياته الذي فقد فيه الأمل سيتحقق، ولكنه تذكر زوجته السابقة فاتصل بها.
(ظافر): ألو مادي، عاملة إيه؟
(مادلين): تقبرني حياتي.

(ظافر) لإغاظتها: مش تباركي لي يا مادي، هبقى أب.
(مادلين): ظافر! أنا آسفة، والله حبي ليك وخوفي تتركني هو اللي خلاني أعمل هيك، بليز ظافر.
(ظافر) وكاد يسبها ولكنه أغلق الخط بعد أن تبددت كل شكوكه، ليذهب إلى زوجته ويحاول معها أن يتجاوزا ما حدث، فالآن سيصبح بينهما طفل يزيد من الروابط بينهما، ولن ينسى أنها سبب تحقيق حلمه.
أما عند (ظلال)، وجدت اتصالًا من (ناهد) تسألها عما حدث فعليًّا، لتنكر (ظلال) كل ما قاله (نادر)، وزادت أيضًا أنها لا تعلم لماذا قال عنها ذلك.
فسألتها (ناهد) بريبة: أمال إيه اللي حصل بالضبط.
لتتلعثم (ظلال): ولا حاجة يا أبلة، إنتِ عارفاني أنا بحبك قد إيه، ازاي أعمل كده، والله ما عملت له حاجة من اللي قالها ولا عارفة قال كده ليه.
فأحست (ناهد) بريبة، وأن (ظلال) لا تريد قول الحقيقة إشفاقًا عليها حتى لا تُصدَم بحب عمرها، لذلك استقر عزمها على أن تصارح (نادر)، لأنها لن تعيش طويلًا في هذا الشك وهذه الكذبة بعد الآن.
وعندما عاد (نادر) من العمل، كانت (ناهد) قد جهزت شنطتها في حجرتها وانتظرته بالصالة لتحدثه بمجرد دخوله.
(ناهد): إيه اللي حصل بالضبط يوم موضوع ظلال؟
فحاول ادعاء النسيان والهروب: موضوع إيه وظلال مين!
فنظرت إليه ووقفت أمامه: بصلي وكلمني، إنتَ من يومها بتهرب من نظراتي، وأنا مبقيتش قادرة أتحمل.
فحاول النظر إليها: آه، أكيد اتصلت بيكِ ولا أي حد قال لك كلام تاني، اوعي تصدقيهم.
فنظرت إليه بعد أن تأكدت ظنونها، فهي تعرف زوجها تمام المعرفة: يبقى شكي في محله، طلقني يا نادر.
وسقطت على المقعد، ليجلس على ركبتيه أمامها: إنتِ بتقولي إيه؟! هو اللي بينا ميغفرليش أي حاجة؟! أنا بحبك، وإنتِ فاهمة غلط، والله مش اللي في بالك، هي منها لله، بنان لعبت في دماغي.

فنظرت إليه وجحظت عيناها: بناااان! مالها بنان؟!
فقص لها ما قالته (بنان) له، لتنظر إليه: وإنتَ شوفت بنان فين؟ وحصل ده كله من ورايا!
(نادر) بتلعثم: أبدًا والله، دي كانت معدية جنبنا جت تشوفك، قلت لها مش هنا، فكلمتني ومشيت على طول.
لتنظر إليه، هل حب عمرها تحول إلى هذه القذارة التي تراها؟!
لتنهض بقوة عازمةً أمرها: ورقتي توصلني على الفيلا.
وأخذت حقيبتها المُعدَّة مسبقًا، ليترجاها ويحاول إيقافها، ولكنها عزمت أمرها وذهبت إلى الفيلا.
لتنادي على (بنان)، وحين نزلت إليها ضربتها كفًّا: لمي هدومك وامشي من هنا حالا.
ففهمت أن (نادر) قد أفشى سرها، فجرت إلى حجرتها وأخذت حقيبتها ونزلت بسرعة.
في هذه الأثناء، كان (فاروق) يحاول تجاوز الحراس ليذهب إلى أخته، وكانت (أشجان) في حديقة الفيلا تقرأ كعادتها، لتجده يتشاحن معهم فذهبت إليه: إنتَ تاني يا حيوان! إيه جابك هنا؟ طلعوا الحيوان ده بره.
وهو يرد عليها: دي فيلا أختي وابنها وعاوزة تخرجيني منها يا حيوانة، أنا جبت آخري منك إنتِ وأهلك.
لتأمرهم أن يضربوه ويلقوا به في الخارج، وهنا خرجت (بنان) مسرعة حتى إنها لم تسمع نداء (أشجان)، وأخذت سيارتها لتخرج مسرعة، ونظرت إلى (فاروق) الذي يُضرَب من قبل الحرس وحاولت تذكره، ثم وقفت بعد فترة ورجعت بسيارتها، فوجدته يسير بجانب سور الفيلا، ثم نادته.
فماذا ستفعل مع (فاروق) يا ترى؟
وهل (ناهد) لن يثنيها شيء عن اتخاذ قرارها؟
وماذا سيحدث حينما يعود (ظافر)؟
وما الجديد المُنتظَر؟

***

(٣٣)

ذهب (ظافر) إلى زوجته وهو يغمره الشوق لملاقاتها، ولم يعلم ماذا يفعل بعد تشكيكه في نسب هذا الطفل، وهل ستقبل أن تسامحه على هذا الظن السيئ بها أم لا، ولكنه قرر الذهاب وفقط، ولم يخمن ما سيحدث.

كان الوقت متأخرًا ويقترب من دنو الفجر والجميع نيام، فذهب إلى حجرته وفتح الضوء.,وجدها نائمة كالملاك وآثار البكاء على وجنتيها، فأغمض عينيه لأنه تسبب في بكاء وحزن هذا الملاك، ووجدها تغلق عينيها بشدة من أثر الضوء، فأغلقه من أجلها وأيضًا من أجل (إسلام) الذي بدأ يتململ في فراشه من الضوء.

فارتدى بنطاله على عجالة وجاء لينام بجوارها، واحتضنها من الخلف ووضع يده على بطنها بحنان يتحسس وليده القادم الذي بات كالهاجس الذي يراوده في يقظته وأحلامه ويتمنى قدومه اليوم قبل الغد، فها هو حلمه يتحقق على يديها.

شعرت به (ظلال)، ولكنها آثرت الصمت، إذ لم تعلم ما يدور بعقله بعد ما قاله وما فعله، ثم استيقظ قبلها وأخذ حمامه وخرج متدثرًا بمنشفته.

وجلس بجوارها: مش هتقومي تفطري جوزك يا كسلانة، ده أنا نايم قرب الفجر وصحيت وإنتِ يا خم نوم لسه مصحيتيش، أهلك علموكِ تسيبي جوزك يفطر لوحده؟!

فتململت بالفراش وهي غير مستوعبة ما يحدث، ففتحت عينيها تتأمله وتضع يدها على جبهته: إنتَ كويس يا ظافر؟ فيك حاجة؟

فنهض ليمشط شعره أمام المرآة: أنا زي الفل.

وقهقه: ولا عشان ناكش شعري فكرتيني اجننت.

فضحكت: لا أبدًا، ربنا يهدي! في البيت ده اتعلمت مأستغربش من حاجة خالص تحصل قدامي.

ونهضت لتجده أمامها يضع يده على بطنها ويطمئن على الطفل: البيبي عامل إيه؟ خدي بالك منه.

فنظرت إليه باستغراب: هاااا آه! كويس بخير، أنا داخلة الحمام.

ليجذبها من ذراعها ويضع رأسها بين كفيه: عاوزك النهارده تلبسي أشيك

حاجة عندك، عشان أما أخلص شغل هعدي عليكِ وأخدك أعزمك بره في أفخم الأوتيلات.

فنظرت إليه بصدمة، فهذا ليس (ظافر) الذي تعرفه، ولكنها تعرف تقلباته فلم تعقب.

أومأت برأسها وأجابت: حاضر، عاوزني جاهزة الساعة كام؟

فقبلها من جبهتها: أما آجي نبقى نختار سوا اللي هتلبسيه.

فنظرت إليه وانطلقت إلى الحمام، وهو يتبعها بنظراته، ليعلو صوته: فين البنادول يا ظلال؟ لحسن مصدع.

(ظلال) من الداخل: شوفه في الكومودينو اللي جنب السرير.

وحين فتح وجده على دفتر، فأخذه وأغلق، ولكن دفعه الفضول ليفتح مرة أخرى ويجذب إليه الدفتر ويتصفحه، ليجد كلماتها الأخيرة، ليلقي به في الأرض ويدوس عليه بحذائه وينطلق إلى مكتبه ليلملم بعض أشيائه في حقيبته، فخرجت ووجدت الدفتر مُلقى في الأرض مداسًا عليه بالأقدام وممزع، فجلست على الفراش وأغمضت عينيها: يا ربي! كل ما يتصلح الحال يحصل شيء يبوظ الدنيا، أعمل أنا إيه دلوقت، زمانه شايط وعلى آخره، هو أنا مش عرفاه.

وارتدت ملابسها وذهبت إليه بالمكتب بعد أن أخبرت الدادة تعد طعام الإفطار، ليجدها أمامه: مش هتفطر معايا؟ الفطار جاهز.

فرد دون اهتمام: مش فاضي ورايا شغل، ومليش نفس.

فوقفت أمامه: ظافر متعاقبنيش على كلام قولته في لحظة...

فقاطعها: الكلام ده يا هانم بيخرج منه هنا.

وأشار إلى قلبها، فصاحت فيه: إنتَ بتعمل في غضبك معايا أكتر من كده بكتير وأنا بتحمل، خلاص يعني لما أقول كلمتين من نفسي أتعاقب عليهم طول العمر! احنا بقى في بينا طفل دلوقت.

فهمس بأذنها: مش عايزه طالما منك.

فصاحت فيه: وأنا مش هفرط في حتة مني ومنك يا ظافر، إنتَ فاهم!

فأزاح يدها التي أغلقت بها باب المكتب حتى لا يمر: إنتَ حرة، بس متجيش على نفسك إنك تتحملي طفل من راجل بتكرهيه قوي كده، حتى هيأثر على

نفسية الطفل، يطلع بيكره أبوه عشان أمه بتكره أبوه.
وسار أمامها، لتغتاظ منه وتصيح: إنتَ متخلف ومش فاهم حاجة!
ليعود إليها ويغلق الباب ويضربها كفًا: صوتك ميعلاش في البيت ده، إنتِ فاهمة! احنا مش في شارع، ده بيت محترم وفيه خدم وأنا ليا مركزي.
فنظرت إلى الأسفل: أنا آسفة قوي يا ظافر بيه! طب والعزومة أخبارها إيه؟
فنظر إليها: مش فاضٍ.
فعقبت: طبعًا، أنا أصلًا كنت هقول لك مش هينفع.
فنظر إليها باستفهام، لتفهم مقصده، فردت عليه: أبلة ناهد بايتة هنا من امبارح، وفضلت مستنياك لوقت متأخر، بس كانت تعبانة ومرهقة وبتعيط فغلبها النوم، فضلت جنبها لحد ما نامت.
فأجاب باستغراب: ليه؟ فيه إيه حصل؟ الندل اللي اسمه نادر عملها حاجة؟
(ظلال): معرفش، ماتكلمتش معايا في حاجة، أنا كنت بحاول أهديها بس كانت منهارة قوي لدرجة نامت من كتر العياط.
(ظافر) بضيق وعصبية: والله لو عمل حاجة تاني معاها لأطلع روح أمه! أنا هحاول آجي بدري وأشوف في إيه، الواحد هيلاحقها منين ولا منين!
ونظر إلى أعلى وإلى (ظلال)، وتركها وسار أمامها.لتنظر إليه بغيظ: يقصدني أنا منين التانية؟! ليه؟ عملت له إيه إن شاء الله؟ ده هو اللي كل مرة يعمل فيا وأنا بستحمل ومش عارفة هفضل أستحمل لإمتى!

***

أما (بنان) فعندما شاهدت (فاروق) ويكأنها وجدت ضالتها، فهو لديه الحقد نفسه على هذه العائلة، والمثل يقول: «عدو عدوي صديقي»، فاجتمع الأعداء معًا لمواجهة عدوهم الأوحد.
أخذت تنادي عليه وهو لا يبالي، وآخر المطاف صاح بها: عاوزة إيه مني إنتِ كمان؟!
فنادته: تعالى بس عاوزاك.
فدخل في السيارة بجانبها: نعم، عاوزة تهزأي فيا شوية إنتِ كمان زيهم.
(بنان): أهزأ إيه وأنيل إيه، أنا زيي زيك، ليا تار بايت مع العيلة دي، إنتَ

مش نفسك تجيب مناخيرهم الأرض زي ما بهدلوك إنتَ وأختك.
فأحس أنه وجد غايته: ده يوم المنى، مفكرين إنهم من طينة غير طينتنا، ونازلين بهدلة فينا ومانعين أختي حتى تيجي تشوف أبوها، وأمي هتجنن وملخومة بأبويا ولا بتروح ولا بتيجي.
فأحست (بنان) بأنه على الخط نفسه معها ويلعب في اتجاهها ومشحون على آخره من هذه العائلة ويتمنى أي شيءٍ يفعله ليرد كرامته التي أهدروها.
(بنان) بعد أن سرحت بفكرها، رجعت مرة أخرى: خلاص تمام، أنا معاك وإيدي في إيدك.
(فاروق) باستغراب: أيوه هنعمل إيه يعني؟
(بنان) بسرعة: هات رقم تليفونك وخد بتاعي، وهنبقى على تواصل، وأول أما ألاقي الخطة اللي ترجع لنا كرامتنا هكلمك.
ففعل (فاروق): وأنا معاكِ يا قشطة في أي حاجة، إلا إنتِ مش من العيلة دي برضه؟
(بنان) بضيق: بنت عمهم.
(فاروق) باستغراب: حتى بنت عمهم مش عاتقينها وكرهوها في عيشتها، عالم زبالة! هما عملوا لك إيه؟
(بنان) بعدم اكتراث: يلا انزل بقى إنتَ هاتصاحبني؟! متسألش في اللي ملكش فيه، وأما ألاقي حل هتصل بيك.
فنزل يضرب كفًّا على كف: أهي قلبت والعرق بتاعهم نطح عليها أهي، أنا مالي، المهم أشفي غليلي منهم.
ورجع إلى أمه، لتسأله عن (ظلال) إذا ما كان رآها، وهل هي بخير، ليقاطعها: لا شوفتها ولا حاجة، ولاد... منعوني أشوفها، والبت أخته شتمتني وبهدلتني وضربوني وقلوا قمتي.
فحاولت التخفيف عنه: معلش يا حبيبي، أنا لولا بتكلمني وتطمني عليها كنت اتجننت، وطالما كويسة ومبسوطة خلاص.
(فاروق) بتشكيك: واحنا إيه عرفنا إنها مبسوطة، ما يمكن غاصبينها تقول كده، إنتِ عارفة بنتك، عمرها ما هتقول لك حاجة عشان متقلقيش.

أمه: لأ، وإسراء بتكلمها على طول، ولولا إن ابنها لسه صغير وتعبان على طول لما بتطلع بيه في البرد كانت راحت لها، بس هي بتكلمها وتتطمن عليها في التليفون وبتتطمني إنها كويسة ومبسوطة.

(فاروق) بعدم اقتناع: ماشي يا اختي، ما إنتم هبل ومبتشوفوش اللي بشوفه.

أمه بقلق: إنتَ هتقلقني ليه عليها، كفاية اللي أنا فيه، وأبوك اللي مبيتحركش وبيعيط بسبب حالته دي وصعبان عليه نفسه.

(فاروق): مش الست بتاعة العلاج الطبيعي بتجي له، أمال بتاخد أجرتها ليه وتيجي الورشة تاخد الفلوس كل جلسة.

أمه ردت بسرعة: آه يا اخويا بتشتغل معاه، بس مفيش نتيجة يا ابني، لما زهق ويأس.

(فاروق): ربنا كريم، أنا نازل أفتح الورشة، عاوزة حاجة؟

أمه: لا يا ابني، كتر خيرك.

***

أما (بنان) فقد ذهبت إلى (نادر)، ووجدته نائمًا.

فتح لها بفزع: حد يخبط كده؟! وإيه الشنطة دي؟ ناهد رجعت؟

ونظر خلفها، لتدخل فتلقي بها: ناهد مين وزفت مين، هو أنا بتعامل مع عيال! تروح تخر لناهد على كل حاجة!

(نادر) وقد جلس ووضع رأسه بين كفيه: مقدرتش أستحمل أخبي عليها أكتر من كده.

(بنان) بعصبية مفرطة: تقوم تورطني أنا، بتجيب سيرتي ليه؟! إيه لعب العيال ده!

فنظر إلى الحقيبة: ليه؟ حصل إيه؟ هي ناهد...

(بنان) بغيظ: آه يا فالح طردتني، وجيت أقعد هنا كام يوم على ما أتصرف.

فنهض: لا يا ماما تقعدي فين؟! افرضي جت ولا ظافر، أنا ناقص توتر في علاقتي بيها! دي طالبة الطلاق.

(بنان) بضيق: بقى كده بتتخلى عني، أروح في أوتيل لوحدي يعني!

(نادر) بعصبية: أنا مالي أنا، ما تروحي في داهية، كفاية اللي حصل لي من

تحت راسك، سيبيني في حالي بقى ضيعتيني، أنا عارف كان فين عقلي عشان أطاوعك!

فخرجت من عنده لا تدري ماذا تفعل، فهي تخشى أن تطول المدة وتنتهي النقود التي بالفيزا معها، فتذكرت صديقتها (صوفيا) التي تعيش بمفردها، فهي من أم إنجليزية وأب مصري ومتوفيين وهي وحيدة.

لتقرع الباب فتفتح (صوفيا).

(بنان) تلقي عليها التحية: هاي صوفي.

فردت (صوفيا): هاي بنان، إنتِ في إيه مالك؟ وإيه باج دي؟

(بنان) وهي تلقي بنفسها في حضن صديقتها: ممكن أقعد عندك كام يوم؟

فنظرت إليها (صوفيا): قوي قوي بيبي، إيه مالك؟

(بنان) بتوتر: ظروف هبقى أحكي لك عليها بعدين.

وفعلًا دخلت عند صديقتها لتجلس معها مؤقتًا إلى أن تجد حلا.

***

أما في الفيلا، جلست (ناهد) وأتت (أشجان) بضيق: إيه اللي عملتيه ده؟! بتطردي بنان ليه؟ بكلمها عشان مرجعتش من امبارح، تقول لي أختك طردتني، وعشان مين، عشان واحدة من الشارع، بقى تفضلي دي على بنت عمك.

ودخل (ظافر) و(أشجان) تصيح في أختها وتطلع إلى غرفتها.

فذهب (ظافر) إلى (ناهد): خير يا ناهد في إيه؟ وأشجان مالها؟ ومين طردتيه؟

(ناهد) بضيق: مفيش حاجة.

فجلس ونظر إليها: مفيش حاجة يعني إيه، هو البيت ده ملوش كبير، كل واحد ماشي على مزاجه، في إيه انطقي؟ وسايبة بيتك وجوزك ليه.

لتنظر إليه وبعين باكية: أنا خلاص عاوزة أتطلق.

فنظر إليها: وده من إيه بقى إن شاء الله، فجأة كده صحيتي لقيتي نفسك عاوزة تتطلقي! بقول ليه؟

فقصت له ما قاله وما فعله مع (بنان) ومن أجل ذلك طردتها.

فنهض: ازاي تطرديها؟! إنتم بتتصرفوا بمزاجكم، دي بنت عمنا ولحمنا، نرميها! وأي حاجة في وشنا، نجيبها منين دلوقت!

(ناهد) بضيق: أنا مكنتش طايقاها، يا أنا يا هي في البيت ده.
فهدَّأها بسبب حالتها، فهو يعلم أنها متماسكة ولكن بداخلها بركانًا، ليأتي له تليفون من الحرس على بوابة الفيلا أن ابن خاله (بهاء) في الطريق إليهم.
فرد (ظافر): أوك.
ودخل (بهاء) و(ناهد) تقول: المهم دلوقت أنا عاوزة أطلق.
فاستقبله (ظافر) بالأحضان: إيه إنتَ قلت مينفعش تقعد في ألمانيا وأنا مش هناك.
(بهاء) بحزن: إنتَ بتقول فيها يا ابن عمتي، إنتَ عارف أنا سافرت...
ونظر إلى (ناهد) بألم: وكنت ناوي تبقى هجرة، ولما أبوك بعت لي هتطلع تكمل دراستك وتباشر فرع جديد للشركة، قلت فرصة بقى معايا حد وعملت لك الإجراءات، وكنت معاك بجنب مكتبي اللي فتحته كمحامي دولي، وفي الوقت نفسه فتحت هنا في القاهرة أكبر مكتب يضم جميع التخصصات في المحاماة كإنه شركة، وبتابع من هناك مع زمايلي اللي فاتحينه، لأن دايمًا كان في جوايا شوق إني أعاود، وكمان خالك اتصل بيا وقالي لي يا ولد مهتعاودش، لا إنتَ ولدي ولا أعرفك لو مجيتش.
(ظافر) بضحك: إنتَ لسه بتقلب على صعيدي برضه، سنين الغربة منسيتكش الصعيدي!
فضحك: كل ما أنساه، خالك يكلمني ويفكرني وتحصل لي انتكاسة، ده زي الجرب ميطلعش من الجتة.
والتفت إلى (ناهد): ازيك يا ناهد، وحشتيني.
(ناهد): ازيك يا بهاء، عامل إيه؟ أنا قلت نسيتنا خلاص.
فنظر إليها مطولا: أنا أقدر، ماتغيرتيش يا ناهد قوي.
فضحكت: لا بقى كده إنتَ عاوز نظارة.
فتغيرت ملامحه: بس إيه اللي سمعته ده وأنا داخل، الحيوان جوزك قل بأصله معاك؟ أنا قلت لك قبل ما أسافر وأنا بابارك لك، لو عمل لك حاجة كلميني وأنا أطلعَ لك روح أمه، ثم إنتِ سيباه في شقتك وجاية هنا! نسي أصله، ده احنا لميناه من الشوارع، عمل إيه قولي لي؟

(ناهد) وعيناها تحجرت بهما الدموع: بليز، بلاش تفتح الموضوع، عاوزه أطلق في هدوء.
فنهض: قوم يا ظافر نشوف الواد ده.
(ظافر): طب ارتاح، إنتَ جيت امتى؟
(بهاء): لسه واصل من المطار عليكم، قلت أسلم قبل ما أعاود البلد.
(ظافر): طب ارتاح.
فبدأ في المضي: يلا يا ظافر.
(ظافر) ينظر إليها: العرق الصعيدي نطح خلاص، ربنا يستر وميرتكبش جريمة في جوزِك.
وذهبا معًا إلى (نادر)، والذي رحب بهما، ولكن (بهاء) أمسكه من تلابيبه: عملت إيه في ناهد يا جبان خليتها تطلب الطلاق ومش طايقة سيرتك؟
فنظر (نادر) إلى (ظافر): أرجوك يا ظافر كلمها، أنا بحبها والله، أبوس رجلك يا ظافر، غلطة وعمري ما هكررها.
(ظافر) ينظر له من عليائه: وناهد قررت، وإنتَ عارف لما بتصمم محدش يقدر يرجعها عن قرارها، وأظن عارف لما اتحدت بابا واتجوزتك ورضخ لها.
(بهاء) يديره له: تطلق وتسيب الشقة دي.
فنظر إليه (نادر): طيب أروح فين؟
(بهاء) بشماتة: للشارع اللي جيت منه يا خاين العيش والملح، احنا هنجيب المأذون ونروح الفيلا نخلص، تلم هدومك من هنا وإنتَ ماشي.
وبالفعل فعل ذلك، وكان لديه أمل عند ملاقاتها أن تغير رأيها، فقد ركع أمامها، ولكنها لم تستجِب وحدث الطلاق.
وبعد أن ذهب إلى حال سبيله هو والمأذون، طلع (ظافر) إلى زوجته واستأذن من (بهاء) أن يبدل ثيابه وتركه مع (ناهد).
لينظر إليها (بهاء): راضية ومقتنعة بقرارك؟
(ناهد) تنظر إليه: أكيد، إنتَ عارف لما باخد قرار عمري ما بندم عليه.
فرد عليها: وقرار زواجك، فاكرة لما جيت لك وقلت لك مقتنعة بيه وقلتي جدًّا وبحبه ومش هتجوز غيره، باركت لك وقلت لك بس لو عمل حاجة قولي لي، أنا

كنت جاي أتقدم لك ساعتها، ومن بعدها مقدرتش أقعد في مصر كلها.
(ناهد): أنا كنت عارفة، بس مش ممكن كنت أقعد في الصعيد.
(بهاء) باستغراب: لو قلتي مكناش هنقعد فيها، ده أنا سيبت مصر كلها بسببك، يبقى مش هسيب البلد وأقعد في القاهرة، ثم كان مكتبي في القاهرة شغال وبقى شركة، مأهملتوش.
(ناهد) بتلعثم: معرفش بقى، ونادر كنت بحبه بجد، بس سقط من نظري لدرجة كرهته ومش طايقة أبص في وشه ولا ندمانة عليه.
(بهاء) بتفهم: أوك ناهد، أشوف وشك بخير.
(ناهد) بقلق: رايح فين؟
فأحس بقلقها عليه.
(بهاء): هعاود البلد، الحاج هيديني كارت أحمر لو اتأخرت، وهخش عليه بكفني بعد إكده عشان يسامحني.
فضحكت: بغد الشر عليك، طب بيِّت النهارده، أنا عارفة خالي صعب، بس عشان الطريق والوقت اتأخر.
(بهاء) يطمئنها: آني واخد على اكده.
فضحكت: اكده!
(بهاء) يخبط على جبهته: بنسى، أقصد كده! يلا سلام.,لتذهب إلى غرفتها هي الأخرى.
أما (ظافر) فخلع ملابسه، ووجد (ظلال) وشفتيها ممدتين تكسوهما التكشيرة المعتادة.
(ظافر): يادي قلبة البوز! بصي، أنا مش ناقص غم على المسا، كفاية اللي لسه مطلقينها دلوقت.
فنظرت إليه: أبلة ناهد اتطلقت؟! ثم هي بتيجي عليا أنا ومليش حق أزعل وأبقى بتاعة غم!
وتدثرت بغطائها، فنظر إليها وأزال الغطاء: إنتِ عاوزة إيه دلوقتي؟
فماذا سيحدث يا ترى؟

***

(٣٤)

نزع عنها الغطاء فانكشفت ساقاها، فحاولت لملمة نفسها ونظرت إليه بذعر: إنتَ اللي في إيه، طلقني يا ظافر، أنا مبقيتش مستحملة المعاملة دي، كل الناس تطبطب عليها وتراعي مشاعرها، وأنا الوحيدة اللي تهينها ومبتحترمش مشاعري، وكإني كم مهمل مليش وجود ولا أحاسيس ولا مشاعر.

فجلس بجانبها وجذبها من ذراعها: إنتِ بتستهبلي! عاوزة تطلقي بعد ما بقى في بطنك حتة مني، أسيبك بسهولة كده! ده أنا قلت لك لو عاوزة تمشي امشي وسيبي ابن حمزة، عاوزاني أسيبك بسهولة كده وفي بطنك ابني، إنتِ بتحلمي! وعاوزة تطلقي ليه بقى إن شاء الله، عشان القاسي المتوحش اللي عايشة معاه ومش طيقاه!

وقربها منه: عملت لك إيه عشان تقولي عليا كده؟

فتألمت وتصرخ فيه: أي، دراعي، حرام عليك! متعاقبنيش على كلام قلته ساعة غضب، كنت عاوزني أقول إيه ساعتها وإنتَ بتشكك في نسب ابنك، أقول بحبه وبموت فيه! مأنكرش إني كنت مش طايقاك، ازاي تشك فيا وتظن فيا إني ممكن أعمل كده وأخونك؟! ووصفتني بأبشع الكلام وإني من الشارع.

وبكت فأغمض عينيه وتنفس بضيق: حطي نفسك مكاني، احنا مش في زمن المعجزات عشان تقولي حامل أقول أشكرك يا رب لبيت لي طلبي، في أدلة وبراهين وعلم وتحاليل قالوا مش ممكن، وفي الآخر طلعت أنا المخدوع والمضحوك عليه، وإن العيب منها وكانت خايفة أسيبها، والله لو كانت قالت ما كان فارق معايا، لأن مكانش في دماغي أكون أب ساعتها والدنيا مكانتش فارقة معايا، لحد ما دخلتي حياتي وشوفت إسلام وارتبطت بيه، وبقى نفسي يكون لي طفل من صلبي، مش هفرق في المعاملة، الاتنين ولادي، بس نفسي زي أي راجل له بيت وأسرة إنه يبقى ليا ابن، مع إني كنت كاره يبقى ليا ابن عشان مأكونش نسخة تانية من والدي ويطلع ابني كاره نفسه زيي، بس لما اتعاملت مع إسلام وحبيته كان نفسي أشيل ابني كمان زي ما بشيله.

فنظرت إليه بعينين باكيتين: أمال كنت عاوزني أنزله ليه؟

لينهض: عشان ميطلعش بين أم بتكره أبوه وتكتب عنه كده، هترضعيه كره!
لتنهض أمامه: ليه بتقول كده؟ مأنكرش أول ما شوفتك واللي عملته معايا كان يفوق الخيال.
فضحك وتذكر وهو يمسكها من ياقتها ويخرجها من شقتها ثم حاول كتم ضحكته: ما أنا فكرتك بنت من إياهم، أعمل إيه يعني.
فنظرت إليه: لا والله، ده منظر بنت من إياهم؟!
فمال عليها: ده إنتِ إياهم نفسه.
فأُحرِجَت من كلماته وأخفضت عينيها ثم رسمت الجدية: المهم خليني أكمل، ولما جيت هنا وتعاملك معايا وعدم موافقتك على جوازنا...
ليقاطعها: نعم نعم! مين اللي قالت لناهد ده لو آخر راجل مش هتجوزه؟!
فتلعثمت: مش من عمايلك معايا وقاعد تهني وتمرمط فيا، هقولها آه أنا بحبه جوزهولي غصب عنه، هو أنا كنت شوفت منك حنية عشان أوافق! المهم، ما علينا، يمكن حصل بيننا حاجات كتير ومشاحنات، لكن حقيقي مبحسش بالأمان إلا جنبك مع كل عمايلك، كفاية يوم موضوع نادر، مع إن نظرات اتهامك كانت بتقتلني، بس إنتَ الوحيد اللي صدقتني واقتنعت بكلامي ووقفت جنبي ودعمتني وساندتني في موضوع كان ممكن يقضي عليا، وحتى شكَّك في نسب البيبي، بس كنت بتحاول تصدقني، والدليل على كده إنك روحت عملت تحاليل وعرفت إني صادقة ومراتك زي ما بتقول هي اللي كانت معيشاك في وهم، وده كفاية عليا إنك من جواك هنا...
وضربت على قلبه وأكملت: بتبقى مصدقني.
فنظر إليها: أمال ليه كتبتي كده؟ أنا كنت جاي وناوي أبدأ معاكِ صفحة جديدة، شوفت كلامك كنت هتجنن، كنت عاوز أدخل لك أخنقك.
لتطلع على قدميه وتحيط ذراعيها حول عنقه: طب والله كان من ورا قلبي، أنا كنت فرحانة جدًّا إني شايلة حتة منك، وقلت هو ده اللي هيحنن قلبك عليا وهيخلي الأمور تستقر بيننا، أنا تعبت قوي يا ظافر، أنا ملحقتش أعيش لحظات حلوة، لا مع حمزة ولا معاك، حمزة كان غايب عني، وكان على طول يقول لي مسافر، واتضح عشان والده ميحسش بحاجة ويعرف، وإنتَ من ساعة ما جيت

هنا مش طايقني.
فأحاط يديه خلف وسطها بقوة وكأنه يحملها إلى مستواه: ومين قالك إني مش طايقك، مش يمكن تعاملك معايا وكلامك ليا هو اللي بيخليني أتظاهر بكده.
فنظرت إليه: بجد يا ظافر؟
فأغمض عينيه ووضع جبهته على جبهتها وتنهد: يمكن لو التقينا في ظروف غير الظروف أو في حياة تانية غير دي كان وضعنا بقى مختلف، حتة إنك كنتِ مرات حمزة كانت عاملة معايا حاجز كبير وسور عالي مش قادر أخطيه، كل ما أحس بمشاعر أو أحاسيس معاكِ أقول لنفسي دي مرات حمزة أخوك، إنتَ ناسي ولا إيه، عاوز تخون أخوك.
فنظرت إليه: ليه بتعمل فينا كده؟! أنا دلوقت مراتك إنتَ، أنا مش عارفة أنا كنت بحب حمزة ولا لأ، أنا فعلًا كنت صغيرة قوي ومشاعري غير مكتملة، وهو أول واحد خبط على بابي، وبرغم حنيته عليا ومكانش بيتأخر عني في أي طلب، زي ما يكون حاسس إن عمره قصير، وبرغم فرق التعامل بينك وبينه معايا، مش عارفة أنا بقبل تعاملك معايا ازاي، وبأسكت وعاوزة بس أبقى جنبك، سميه ضعف، خضوع، بس أنا بحب أبقى جنبك، حاسة من غيرك هتوه، احنا كلنا هنتوه من غيرك، إنتَ صمام الامان للبيت ده كله، وإنتَ اللي هتعلم إسلام وتفهمه وكمان البيبي اللي جاي.
فنظر إليها: هتصدقيني لو قلت لك إني مش عاوز غيرك في حياتي، وإني عاوزك بجد، بس كل ما أقرب لك شبح حمزة يطاردني وأحس إنه بيبص لي ويقول لي كده تخون أخوك!
فنظرت إليه: وأنا مش بطالبك بحاجة ولا عاوزة منك أي حاجة غير أبقى جنبك وتبقى جنبي أنا وولادي.
فقبلها بشغف حتى انقطعت أنفاسه وحملها إلى الفراش يستكمل ما بدأ، ثم جلس بعدها على الفراش وأخذ يدخن غليونه، وأرجع رأسه إلى الوراء يسنده، لتجلس متدثرة بالغطاء: مالك يا ظافر؟
(ظافر): معاكِ مبقدرش أسيطر على نفسي، ماعرفش بتعملي فيا إيه، أول ما شوفتك قلت إيه الطفلة دي، بس إنتِ الوحيدة اللي بتحركي مشاعري

وتخليني فاقد السيطرة ومبتحكمش في نفسي.
لتحدثه بضيق: قلت لك مليون مرة، أنا مش طفلة!
فاقترب منها: مش يمكن ده اللي شدني ليكِ؟ حاجة غريبة مشوفتهاش قبل كده وعاوز أكتشفها.
فأشاحت بوجهها عنه: بس برضه مش طفلة.
ليدير وجهها بأصابعه نحوه: أجمل طفلة شوفتها في حياتي!
(ظلال): طب حيث إنك رايق كده وراضي عني، عاوزة أروح لماما.
فتحول وجهه: نعم! أنا مش قلت مفيش خروج من البيت ولا مرواح في أي حتة، ده حتى الكلية جبت لك الدكاترة في البيت تدرس لك، أعمل لك إيه تاني؟ مش دي حجتك!
(ظلال) بحزن وألم: طب اهدا بس، أمي متقدرش تيجي وتسيب بابا، وبابا مبيتحركش، وأختي ابنها مغلبها وكل شوية تعبان، ولا عارفة تتحرك بسببه، بتتصل بيا وتتطمن وخلاص، وأخويا إنتَ مانعه ييجي هنا.
فنظر إليها بغضب: إلا أخوكِ ده، لو سمعتك بتجيبي سيرته هقتلهولك.
(ظلال) باستسلام: طيب بلاش أخويا، أنا باتكلم عشان بابا وماما، نفسي أشوفهم بليز ظافر.
(ظافر) بغضب: ما هو أخوكِ ده السبب إني أمنعك تروحي هناك، خلاص بقى متعكننيش عليا.
(ظلال) وقد قررت تأجيل المحادثة لعصبيته التي ازدادت: ظافر متوترنيش وتتعصب عليا، يعني مش هامك البيبي لما بتوترني بيتأثر، ولا مش فارق معاك.
فوضع يده على بطنها: ده كان أمنية حياتي البيبي ده اللي كان مستحيل تحقيقها، وحصلت على إيدك، إنتِ شايلة أغلى حاجة في حياتي.
فتصنعت الزعل: وأنا مش فارقة معاك اللي كنت السبب إنه ييجي.
فحاول إغاظتها: ما هو بيكي أو بغيرك كان هييجي طالما أنا سليم وزي الفل.
وحاول كتم ضحكته ورسم الجدية، لتجحظ عيناها: بقى كده! خلاص روح شوف غيري تجيب لك طالما إنتَ كويس كده.

وأدارت جسدها عنه، ليثبتها أمامه: وأنا مش عاوزه غير منك إنتِ.
فنظرت إليه بغضب: يا سلام بعد إيه! إنتَ ليه مستفز كده، وسع بقى.
(ظافر) بابتسامة: بحب حركاتك لما بستفزك، بتفكريني بالعيال الصغيرة لما تتقمص.
(ظلال) بغضب أكبر: هيقول لي برضه عيلة صغيرة، والله مستفز فعلا!
فنظر إليها: يعني فعلًا عاوزة البيبي وحابة وجوده؟
(ظلال) نظرت إليه: لسه بتسأل ومش مصدقني؟! أنا فرحت بيه أكتر من إسلام كمان، عشان حتة منك.
ليسألها: ليه؟
فنظرت إليه: هو إيه اللي ليه؟!
(ظافر): ليه فرحانة إنه حتة مني.
فترددت: مش عارفة هتصدقني لو قلت لك مش عارفة بجد إحساسي، بس فرحانة بيه قوي وحابة وجوده ونفسي أشوفه، صحيح عاوزه ولد ولا بنت؟
فنظر إليها: أي حاجة، أنا مكنتش لاقي ظفر عيل، هتبتر دلوقت! ثم عندنا إسلام، لو جت بنت، جه ولد، يبقى زيادة الخير خيرين.
فنظرت إليه: بجد مش هتزعل لو بنت؟
فابتسم: إنتِ هبلة يا بت! هزعل طبعًا.
وقبل أن ترتسم التكشيرة على وجهها: أنا بهزر! هتقلبي بوزك على طول كده، وأنا بشوف البوز ده كده ببقى عاوز أقطعه.
فضحكت، ليلاحقها: مش هنام بقى ولا إيه، أنا عندي شغل بكرة مش فاضي لك.
(ظلال) نظرت إليه: هو أنا اللي معطلاك، ما تنام وأنا مسكاك!
فغمز لها: حاف كده؟
فجحظت عيناها وأدارت ظهرها له وتدثرت، ليحتضنها من الخلف: في واحدة مؤدبة تدي ظهرها لجوزها وهو بيكلمها، ده الأدب اللي اتعلمتيه؟!
فردت عليه: آه، أنا مش مؤدبة وأهلي مربونيش، نام بقى.
فهمس لها: ماشي ماشي، بس ابقي افتكريها عشان حسابك تقل معايا.,فردت: يا رب صبرني، معندهوش وسط خالص، يا كده يا كده.

***

أما (ناهد)، فبعد أن استعادت توازنها وحالتها استقرت بعد موضوع الطلاق، جاء (بهاء) لزيارتهم.

(بهاء): مش عاوزة تيجي تشتغلي معايا في المكتب؟

(ناهد): لا، أنا نسيت القانون، أنا بفكر أفتح مكتب لتصميم الديكورات، ظلال هي اللي بتشجعني على كده ومنبهرة بديكوراتي.

(بهاء): بصراحة عندها حق، ذوقك لا يُعلا عليه، وأنا أول زبون، أنا عاوز أغير ديكورات المكتب بتاعي.

ففرحت: بجد! طيب أنا عاوزاك معايا ندور على مكان وأعمله ديكورات.

فنظر إليها: وتدوري ليه، ما شقتك موجودة.

فنظرت بضيق: مش طايقة أدخلها، هحس بنفسه فيها وهتخنق.

فاقترب منها: لازم تتعودي تنسي وترمي ورا ظهرك ومتفكريش في اللي فات، الشقة هجيب حد يرمي العفش كله وأديهالك فاضية تضبطيها بمعرفتك.

كادت تتحدث فأوقفها بإشارة من يده: ناهد اللي أعرفها هتقدر، اللي دايمًا بتقبل التحدي ولما تصمم على شيء بتنفذه هتقدر.

(ناهد) باستسلام: ميرسي يا بهاء على دعمك ليا، واحد غيرك كان شمت فيا.

(بهاء): إنتِ عبيطة يا بت، حد يشمت في نفسه!

فأحرجت من كلماته، وأحس بذلك فنهض ليقف أمامها: يلا اجهزي، بكرة هشيل كل حاجة وتيجي تستلمي وتتعاملي، أما نشوف بقى.

(ناهد) تقف أمامه: أنا هبهرك.

ليهمس لها: دايمًا مبهور بيكِ.

فجرت من أمامه، ليضرب كَفًّا على كف: لسه بتتكسف، مش هتكبر أبدًا.وعلا صوته: هتصل بيكِ.,فنظرت إليه وأومأت برأسها.

لاحظت (ظلال) ذلك وهي تنزل، لتهمس: إش إش، في إيه؟ ووشك احمر ليه كده؟

فنهرتها: بس يا ظلال مفيش حاجة، احنا بنتفق أعمل مكتب ديكورات.

ففرحت (ظلال): بجد أخيرًا اقتنعتي بفكرتي.

(ناهد) بثقة: وهنفذها كمان.,فدعت لها (ظلال) بالتوفيق.

***

أما عند (بنان)، فلاحظت دخول شباب وبنات الشقة عند (صوفيا) أحيانًا.

فسألتها: مين دول اللي بيجو ويخشو الأوضة؟

(صوفيا): دول أصدقائي وبيحتاجوا أوضة فبديها لهم.

فلم تعقب (بنان)، فهي شقة (صوفيا) وهي حرة فيما تفعل.

ولكن ماذا سيوحي لها بأفكار هذا الموضوع؟

***

(٣٥)

ذهبت (ناهد) إلى شقتها بعد أن اتصل بها (بهاء)، ففوجِئَت بأنها أصبحت خاوية وليس بها أي شيء.

فنظرت إليه: إنتَ رميتهم فعلًا ولا إيه؟

فنظر إليها: لا يا ستي، جبت واحد تمِّن كل حاجة وشالها، واستلمي فلوسك أهي.

ووضعها بيدها، فنظرت إليه بامتنان: بجد مش عارفة أشكرك ازاي يا بهاء، أنا كنت مضايقة إني دخلاها، بس دلوقت مش حاسة بأي حاجة، حاسة إني عاوزة أبدأ من جديد وألاقي ناهد اللي تاهت مني في الزحمة.

فاقترب منها: وأنا جنبك لو احتجتي أدور عليها معاكِ في الزحمة.

فضحكت وتحركت في الشقة كالفراشة: سيبني بقى متعطلنيش، هكلم واحدة صحبتي ليها في الديزاين وبتشتغل في شركة، بس مضايقة من صاحبها، هكلمها وتيجي تشتغل معايا ونضبط الديكورات سوا.

(بهاء) يميل عليها: يعني أطلع أنا منها.

فابتعدت وتصنعت كالأطفال: آه.

فابتسم: وأنا سعيد إنك اتخطيتي اللي كنتي فيه، يمكن خدتي وقت شوية بس رجعتي تاني ناهد اللي أعرفها، كلها حيوية وشعلة نشاط.

فأخذت تدفع به إلى الباب: يلا بقى بيتك بيتك متعطلنيش، عشان سها زمانها جاية، أنا اتفقت تقابلني هنا بس لسه هكلمها في التفاصيل وأعرض عليها ونشوف هنعمل إيه.

(بهاء) يقف: يعني مش عاوزاني أعمل لك حاجة كده ولا كده؟ كوباية شاي، فنجان قهوة.

فضحكت: ليه، هتسيب المحاماة وتشتغل فراش عندي!

وضحكت، فغنَّى لها: علشانك إنتِ أنكوي بالنار وألقح جتتي.

فضحكت عليه: طب يلا يا سي نجيب الريحاني زُق عجلك من هنا.

فانصرف (بهاء)، لتصطدم به (سها) وهو خارج: آه، سو سوري.

(بهاء): آسف والله ماخدتش بالي.
(سها): لا أبدًا، أنا اللي آسفة.
(ناهد): ماتيلا يا سي بهاء هوينا.
فنظر إليها: حاضر ماشي أهو.
وجذبت (سها): وإنتِ تعالي.
وأخذتها: شايفة الشقة دي، عاوزاها تنطق من كتر الديكورات اللي تخبل، واللي يخش يتهبل عليها ويصمم يشتغل معانا ويبقى زبون عندنا.
فنظرت إليها: مش فاهمة، عاوزة إيه وشغل إيه؟
فقصت لها ما تريد منها، وفي النهاية سألتها: معايا ولا مش معايا؟
فرحت (سها) وأبدت موافقتها: أكيد طبعًا معاكِ، على الأقل أترحم من الرخم اللي شغاله معاه وفي الرايحة والجاية قارفني.
(ناهد): أوك اتفقنا، يلا بقى نبدأ الشغل واتصلي بالعمال ونضبط، عاوزاها تخلص في أقل من شهر.
وأصبح العمل على قدم وساق، وأحيانا كان يمر (بهاء)، ولاحظت (ناهد) إعجاب (سها) به، حتى إنه عندما يأتي ويمشي تحاول (سها) أن تستأذن حتى يوصلها في طريقه.
ولكن (ناهد) تجذبها إليها وتقول، لا، أنا محتجاكِ معايا هنا.
حتى لا تتركها معه، ويضحك (بهاء) لإحساسه بغيرتها عليه، حتى إنه لمَّح لها بذلك: إنتِ بتغيري عليا يا ناهد؟
(ناهد) بغيظ: أنا أغير عليك! ليه يعني ومن مين!
(بهاء) ليغيظها: بصراحة البنت مُزة ويتغار منها.
فجحظت عيناها: بقى كده، طب امشي من هنا وإياك أشوف وشك تاني.
ودفعت به إلى الباب، فضحك وتوقف: طب خلاص خلاص، إنتِ عارفة مفيش واحدة تملأ عيني...
ويضحك، لتغتاظ أكثر فأكثر: بره يا بهاء ومتجيش هنا تاني.
فمال عليها: لما إنتِ غيرانة عليا قوي كده، مش كفاية بقى مناهدة في بعضنا، هو لسه في العمر بقية.

(ناهد): اتكلم عن نفسك، إنتَ تلاقيك عديت الأربعين، أنا لسه في التلاتين.
فضحك: لا وإنتِ الصادقة في العشرين، أقول لك، إنتِ لسه ماتولدتيش أصلًا، يا حونين إنتَ يا حونين.
فحاولت أن تداري ضحكتها: امشي يا بهاء من هنا.
(بهاء): بس حقيقي ذوقك عالي قوي.
ففرحت، ولكنه لم يمهلها: وطبعًا سها.
فنظرت إليه: بره يا بهاء.
فمشى يضحك ويضرب كفًّا على كف وهي تبدل بقدميها كالأطفال وتسب فيه: بارد ورخم.

***

(أشجان) تهاتف (بنان): مش ناوية ترجعي بقى، بقالك كام شهر ومش عاوزة أقول لحد إنك بتكلميني، بس ظافر بيتصل بيكِ مبترديش، ولما بيقول لي، بقول له مبتردش عليا زي ما قلتِ، وناهد مش طايقة سيرتك، ما هي البت ظلال واكله دماغها على الآخر.
(بنان): ماشي سيبيهم براحتهم، أنا شوية في الأوتيل وشوية عند صوفيا، لأنها سافرت فترة فقعدت في الأوتيل ورجعت وهروح معاها تاني.
(أشجان): وهتفضلي كده؟
(بنان): سيبيني براحتي، وأدينا بنتقابل في الديسكو نشوف بعض.
(أشجان): أوك براحتك.
(ظلال) تخلع المعطف عن (ظافر) ومحرجة أن تحدثه، وتتلعثم في الحديث: ظافر...
فنظر إليها: خير، في حاجة؟ مالك؟
(ظلال): نفسي في رنجة.
فمال عليها ووضع أذنه بجانب شفتيها: نعم، سمعيني تاني كده!
فاغتاظت (ظلال): بقول لك نفسي في رنجة، فيها إيه دي، ما أنا اتوحمت في إسلام على فسيخ.
فنظر إليها: إيه شادر السمك اللي إنتِ عايشة فيه ده!

(ظلال) بغضب: على فكرة الحامل من حقها تتوحم على أي حاجة، وحمزة معملش زيك كده لما قلت له.
فأحست أنه غضب من كلماتها، فوضعت يدها على شفتيها.
ونظر إليها: خلاص، قولي للدادة تجيب لك.
وخلع رابطة عنقه وألقاها بضيق، لتأتي من خلفه تحتضنه: آسفة مكانش قصدي والله!
فأغمض عينيه: خلاص يا ظلال.
فأتت من أمامه: لا إنتَ زعلان، خلاص مش عاوزة حاجة.
وجلست وعقدت ساعديها، ليأتي بجانبها على طرف الفراش: وعاوزة ابني ولا بنتي يطلع له رنجاية في وشه!
فنظرت إليه: ما هو أنا اتحرجت أقول للدادة، عشان كده قلت لك، والله ريحتها في مناخيري ونفسي فيها خالص، أعمل إيه.
فاقترب من أنفها: طب شممني معاكِ كده.
فضحكت لحركاته، ليقوم ويوقفها، فنظرت إليه: في إيه؟!
فقال لها: اقلعي.
فجحظت عيناها: ليه؟!
فابتسم: هنروح نجيب الرنجة وتاكليها بره، أمال هنقلب البيت هنا بالريحة بتاعتها، يلا بدل ما أرجع في كلامي.
فتحركت وهي تقول: هوا.
وارتدت ملابسها، فنظر إليها: إنتِ عاملة زي الكرمبة كده ليه؟
فنظرت لنفسها: أنا كرنبة! ده أنا مخلصتش الخامس حتى!
فنظر إليها، لا لا زدتي كتير.
وهي تحسست نفسها: لا والله لسه.
وكادت تبكي، فهمس بأذنها: بس قمر برضه.
فنظرت إليه: لا بجد أنا بقيت كرنبة في نظرك؟!
(ظافر): عاوزة الحق ولا ابن عمه؟
(ظلال) بسرعة: الحق طبعًا.

(ظافر): تخنتي كتير والكل بدأ يتكلم.
وكادت تبكي: كمان الكل بيتكلم! مين قال عليا كده؟
فنظر إليها: يلا يا هبلة قدامي.
وأخذها إلى السوبر ماركت، واشترت الرنجة وأخذت تأكل في السيارة، وقد خرج منها لأنه لم يحتمل الرائحة، ونظر إليها وهي تأكل بنهم وكأنها لن تأكل مرة أخرى، وأعطى لها الكانز حتى لا تموت من الطعام المتلاحق تلو الآخر، حتى انتهت ولا تعلم ما ستفعله ويداها قذرتان.
فنظر إليها وجحظت عيناه: هتعملي إيه، استني.
فتوقفت بسرعة: لمي القرف ده كله في الكيس ده بإيدك القذرة دي الأول.
وهو يضع منديلًا على أنفه، وأمسك الكيس بطرف إصبعه ليلقي به في سلة المهملات، وأعطى لها مناديل معطرة لتمسح بها إلى أن أصبحت رائحتها نوعًا ما مقبولة، وبعدها وضع معطرًا بالسيارة كي يستطيع دخولها.
ثم جلس بها: أخيرًا استعدت سيارتي من غزو التتار!
ونظر إليها، فنظرت إليه وغضبت: أنا تتار يا ظافر!
فباغتها: أمال اللي كنت فيه ده كان إيه، ده أنا كنت هولع في السيارة وأشتري غيرها، واحتمال أولع فيها وإنتِ جواها.
وضحك، لتنهار بالبكاء: كمان عاوز تولع فيا! روحني يا ظافر، أنا بكرهك بكرهك...
ولم تُكمِل: الحقني يا ظافر، هرجع!
ليخبط يده على جبهته: يادي القرف، أنا لو واخد بنت أختي مش هتدوخني كده! استني اوعي تنزلي الرنجة في عربيتي تاني.
وأعطى لها كيسًا لتُفرِغ ما أكلته وأمسكه بمنديل وأغلق أنفه ورماه في سلة القمامة، ودخل لها: إنتِ كويسة؟
فأومأت (ظلال) برأسها إيجابًا: الحمد لله.
فنظر إليها: استفدتي إيه من العك اللي كلتيه ورجعتيه؟!
فنظرت إليه: كان نفسي فيه وكلته، ثم البيبي اللي عاوز كده مش أنا.
ونظرت أمامها ووضعت ساقًا على ساق: يلا روحني.

فنظر إليها باستغراب: لا والله! اللي يشوفك دلوقت ميشوفكيش وإنتِ بتاكلي في الرنجة زي ما نكون حارمينك من الأكل، ولا وإنتِ بترجعيها.
وانطلق إلى الفيلا، وعندما دخلا حجرتهما أشار إلى الحمام: خشي خدي شاور، والهدوم دي تولعي فيها، ريحة الرنجة فيكِ، بقيتي رنجاية متحركه ماشية على الأرض.
كادت تفتح فمها، فقاطعها بيده وأشار إلى الحمام، لتأخذ ملابسها وتذهب إلى الحمام وتخرج ببرنس الحمام القصير وتمشط شعرها.
أتى يشتم عبيرها: أيوه كده، كفارة يا راجل.
وحملها إلى الفراش، وهي تصيح: نزلني يا ظافر!
ولا حياة لمن تنادي.

***

أما (بنان) فاتصلت بـ(فاروق)، ليرد عليها: أنا قلت نسيتيني.
(بنان): معلش كان في ظروف، عاوزاك ضروري.
وقابلته لتشرح له الخطة، وبالفعل قامت بتنفيذها لتستدرج (أشجان) إلى الديسكو، وهناك تضع لها حبوب هلوسة في الشراب، ويأتي (فاروق) ويأخذها هو و(بنان) إلى السيارة و(أشجان) غير مدركة لأفعالها وتشتم (فاروق): إنتَ يا حيوان مش بتحرم!
وهو يرد: أنا هعرفك الحيوان دلوقت!
(بنان) تنهره: سيبها متردش عليها.
وأوصلاها إلى شقة (صوفيا).
(بنان): أنا حاجزة الأوضة ودافعة تمنها.
(صوفيا) تجيبها: آه حبيبي طبعًا، أنا مش اديتها لحد النهارده وحاجزاها لكِ.
وأدخلت (أشجان)، ودخل (فاروق) ليهتك عرضها على يد ابنه عمها الحاقدة عليهم، والتي تتمنى الانتقام من الجميع ووجدت ضالتها في (فاروق) الناقم عليهم أيضًا، فاجتمع الحقد والكره معًا.
و(صوفيا) بالخارج: بس دي بنت عمك، تعملي فيها كده؟!
(بنان): ولما طردوني وكلوا حقي مكنتش بنت عمهم! والست ظلال جت

تكوش على كل حاجة، أما نشوف ظافر لما يعرف هيعمل فيها إيه.
أما (أشجان)، استيقظت فوجدت نفسها عارية في الفراش، ونظرت بجوارها لتجد (فاروق)، فصاحت فيه: إنتَ ازاي يا حيوان تعمل فيا كده!
فضربها كفًّا: أنا حيوان يا حيوانة! إما خليتكم تبوسوا رجلي إنتِ وأخوكِ مابقاش أنا.
فارتدت ملابسها وخرجت مسرعة تستقل تاكسي وتذهب إلى الفيلا باكية، ليجدها أخوها: كنتِ فين وإيه اللي عمل فيكِ كده؟!
لترتمي في أحضانه وتنظر إلى (ظلال): أخو الهانم اغتصبني!
فنظر (ظافر) إلى (ظلال) وكادت عيناه تخرجان من مكانهما والشرر يتطاير منهما.
فماذا سيحدث يا ترى؟ هل سيعصف هذا الموضوع بعلاقة (ظلال) و(ظافر)؟

***

(٣٦)

نظر (ظافر) إلى (ظلال) شذرًا ثم تحدث إلى أخته: ازاي ده حصل؟!

فبكت (أشجان): معرفش، أنا كنت في الديسكو وفجأة لقيت نفسي في شقة معرفهاش وجنبه.

ثم دخلت في صدر أخيها: مش فاكرة حاجة ولا روحت ازاي، كإني متخدرة.

فربت على كتفها: طب اطلعي خدي شاور وارتاحي إنتِ.

وذهبت من أمامه مسرعة، وأمسك (ظلال) من ذراعها بقوة: عنوان بيتكم إيه والورشة؟

فنظرت إليه: هتعمل إيه؟

فصرخ بوجهها: ملكيش دعوة، انطقي هاتي العنوان.

فأخبرته وحاولت أن تتحدث: والله فاروق لا يمكن...

فقاطعها: إنتِ تخرسي خالص، حسابك بعدين، تلاقيكِ متفقة معاه، امشي اطلعي فوق وغوري من خلقتي بدل ما أتهور عليكِ، حسابك بعدين أما أفوق لك.

لتصعد مسرعة مبتعدة عن وجهه الذي ازداد احمرارًا وكأن العروق ستخرج من مكانها، ثم جلس على أقرب مقعد ووضع يده على وجهه ثم رفع بها شعره بضيق، وضرب ذراع المقعد الذي يجلس عليه عدة مرات، ثم أمسك هاتفه وكلم الحراس، ليأتوا إليه في التو واللحظة.

فينظر إليهم: العنوان ده تروحوا فورًا وتجيبوا فاروق حي أو ميت، بالذوق بالعافية تجيبوه في إيدكم، سواء في البيت ولا في الورشة.

فأجابوه: أوامرك يا فندم.

وانطلقوا ووجدوه يضع ساقًا على ساق في الورشة، لأنه يعلم أنهم سيأتوا إليه إن آجلًا أو عاجلًا، لينظروا إليه وبلهجة آمِرة: يلا معانا.

فنظر دون اهتمام: ورايا شغل.

ليأتي أضخمهم ويجذبه من ياقته: يلا ياد معانا أحسن لك.

فنظر إليه: عندي شغل، روح ولما أفضى آجي لكم.

فتذمر هذا: يظهر إنك مش هتيجي بالذوق.

فهدأه (فاروق): خلاص خلاص.
وكلم صبيه: اقفل يا ابني الورشة وادي المفاتيح للحاجة على ما آجي.
وأدخلوه بالسيارة، واتصلوا بـ(ظافر) يعلنوا عن قدومه معهم، ليخبرهم أن يضعوه في حجرة الحديقة المجاورة للمكتب، وذهب لينتظره هناك.
دخل (فاروق) وحاول الجلوس، فأوقفه (ظافر) قبل أن يجلس، وبصوتٍ جهوري: قوم يلا، إنتَ هتقعد قدامي!
فوقف (فاروق) وبابتسامة ساخرة: ما الروس اتساوت ياااا بيه!
فوقف (ظافر) وجذبه من ياقته: لا يا روح أمك إنتَ بتحلم، إنتَ هتتجوزها وهتطلقها بعد مدة بسيطة، إنتَ فاهم؟!
فجلس (فاروق) واضعًا ساقًا على ساق: أفكر.
فنظر إليهم (ظافر): وضَّبوه.
فضربوه بعض الشيء، لينظر إليه (ظافر)، فتحداه (فاروق): مش هتجوزها.
فأشار إليهم (ظافر) أن يكملوا الضرب وأخرج غليونه وجلس واضعًا ساقًا على ساق، حتى استغاث (فاروق): خلاص أنا تحت أمرك، هتجوزها.
فوقف أمامه (ظافر) بشموخ: شاطر، ما كان من الأول! هتفضل محبوس هنا ليوم الخميس والحراسة على الباب، وهيبقى الفرح الخميس، مفهوم!
لينظر إليه (فاروق) بانكسار: مفهوم.
وخرج (ظافر) والحراسة معه ونبَّهَ عليهم أن يظلوا مستيقظين أمام الباب حتى لا يفر.
أما (فاروق) فقد استحلف لـ(ظافر): إما وريتك مابقاش أنا فاروق.
واتصل بـ(بنان) يخبرها بما حدث، فاتفقا على خطة أخرى.

***

أما (ظافر) دخل الفيلا ليجد (ناهد) تجلس بالهوول، فجلس على المقعد بجوارها وبدا عليه التعب والإرهاق، ومدد قدميه وأسند رأسه على مسند المقعد.
لتشعر به (ناهد): مالك يا ظافر، في إيه؟ إنتَ تعبان؟ حاسس بحاجة؟
فنظر إليها: أختك هتتجوز الخميس الجاي.
فنظرت إليه بتعجب، ودخل (بهاء) في هذه اللحظة: إيه ده، أنا سامع أفراح

بشرة خير.
ونظر إلى (ناهد)، فنظرت (ناهد) إلى أخيها: فهمني إيه الموضوع جواز والخميس الجاي بالسرعة دي ومين ده أصلًا؟
لينظر إليها بألم: فاروق أخو ظلال.
فصاحت فيه: ازاي؟!
وكذلك (بهاء) نظر إليه.
(ظافر) بضيق: اقعدوا وأنا أفهمكم.
وقص عليهم ما قالته (أشجان) له.
(ناهد) بغضب: يا نهار مش فايت!
وقام (بهاء) بغضب: وإنتَ جاي تديها له بيضة مقشرة! ده لو حدانا بالبلد كان انطخ عيارين، مش نجوزها له، ده فيها تار معيخلصش.
(ظافر) باستسلام: اقعد الله يبارك لك، بلاش عرق الصعايدة ده اللي مش هيجيب همه، وأنا مأقدرش أقتله وأتاويه يعني هغلب وبعدين، أختي تفضل طول العمر حابسة نفسها كده ومش قادرة توري وشها لحد ولا أجوِّزها يومين وأطلقها وتفضل مرفوعة الراس، ما مليون واحدة بتتطلق وتتجوز.
فاقتنعت (ناهد) بكلام أخيها: صح عندك حق، عين العقل يا ظافر، بس مالي إيدك منه؟
(ظافر) بثقة: ما هو متلقح تحت في أوضة الجنينة وعليه حرس، مكانش راضي، ولما اتنفخ استسلم ووافق والفرح الخميس، طبعًا هكتب قبلها عشان ميجيش يوم الفرح قدام المأذون ويعمل أي حركة، وهيبقى فرح كده صوري، المشكلة عندي هقول عليه إيه، والناس هتسأل ده مين.
فقام (بهاء): وأنا عندي الحل.
فنظر إليه (ظافر) باستفهام.
(بهاء) بدون تفكير: نتجوز أنا وناهد في نفس اليوم.
فنظرت إليه (ناهد): نعم! وأنا مالي؟!
(بهاء): افهمي يا غبية.
فنظرت إليه: أنا مش غبية، ومتقلِّش أدبك يا بهاء.

(بهاء) حتى لا يضايقها: ماشي، افهمي يا ذكية، لما يبقى الفرحين سوا الضوء هيبقى متسلط علينا احنا كمان، وبدل ما التساؤلات كتير على فاروق، هتقل شوية، وهنقول إنه أخو مدام (ظافر)، وكان معانا في ألمانيا ولسه راجع، يعني هيروحوا يفتشوا ورانا.

(ظافر) باقتناع: والله فكرة معقولة ومحبوكة، لأني خايف من الإعلام ولا تشويه صورة الشركة.

(ناهد) وهي تنظر إليهما: إنتم خلاص لغيتوني، جوزتوني وأنا قاعدة بدون موافقتي!

(ظافر) ويبدو عليه الإرهاق: شوفو بقى أنا مش فايق لكم، اتعامل يا بهاء، وأنا طالع لأشجان.

وبالفعل، ظل (بهاء) يقنع في (ناهد)، وفي آخر المطاف حدثها بحده: ناهد، إنتِ عاوزاني ولا لأ؟ بتحبيني ولا لأ؟ لو قلتي لأ، هخرج من حياتك للأبد ومش هتشوفي وشي.

وهَمَّ بالرحيل، لتنادي عليه: يا بهاء أنا متلغبطة وخايفة آخد قرار غلط.

فالتفت لها: ناهد اللي أعرفها عارفة طريقها ومحدداه دايمًا، وعارفة الصح من الغلط، فبلاش تتلاعبي بيا، أنا ماشي.

فنادته: بهاء متمشيش وتسيبني لوحدي.

فرجع إليها: طالما عاوزاني، بتعاندي ليه؟!

(ناهد) بتلعثم: مش عارفة بقى بس خايفة.

فهمس إليها: تخافي وأنا جنبك، ده أنا أفديكِ بروحي.

وانتصب أمامها: مش كفاية هاقنع خالك بالجوازة دي لسه، ويقول لي وليه تاخد مطلقة وإنتَ ألف واحدة تتمناك ولسه مدخلتش دنيا.

فجحظت عيناها: بقى كده، خلاص بلاها الجوازة دي.

(بهاء) بضيق: مش بقول لك، عشان متفكريش إن الحياة بيس وواقفه عليكِ، ده أنا هعمل حرب اليومين دول مع خالك، بس هو بيحبك وعارف إني مرايدش غيرك ومهيعترضش.

(ناهد) بضيق: آه، اقلبلي صعيدي وقت ما تحب بعد ما حرقت دمي

وكرهتني في الجوازة أصلًا قبل ما تبدأ.
(بهاء) يجذبها إليه: مش بفهمك عشان لو حد قال قدامك كلمة كده كلمة كده متاخديش في بالك، المهم أنا عاوزك وإنتِ عاوزاني متخليش أي حد يأثر على علاقتنا مهما كان.
فأحرجت من هذه الوضعية وابتعدت عنه وبخجل: طب روح عشان تلحق تقول لهم وتقنعهم.
فنظر إليها وقال: حمامة.
وجرى من أمامها لتضحك على فعلته.

***

أما (ظافر)، فقد ذهب إلى (أشجان) ليخبرها لتنهار وتصيح بأخيها: كمان عاوزني أتجوز الحيوان ده! طبعًا ما هو أخو الهانم.
فتضايق (ظافر): افهمي يا غبية، أنا بعمل كل ده عشانك، إنتِ عارفة إني مش طايقه من الأول، ومانعه ييجي هنا ومانعها تروح هناك بسببه، لكن احنا تحت رحمته، إنتِ متعرفيش عملت فيه إيه، ده كَل ضرب لما بقى الدم يخرج من كل حتة في جسمه ومرمي زي الكلب في الجنينة، وهيكتب عليكِ والجواز الخميس، وأسبوع ولا اتنين ويطلق.
فقاطعته: كمان أسبوع ولا اتنين يفضل معايا وأنا مش طايقة أبص في خلقته!
فقاطعها (ظافر): قسمًا بالله لو قرب لك تاني ما هخلي الدبان الأزرق يعرف له طريق جره، إنتم هتجوزوا هنا قصاد عيني، وإياه يقرب منك، تنادي عليا فورًا، احنا بس عشان شكلنا قدام الناس ومحدش يحس بحاجة أو الخدامين ويتنتور الكلام، وإنتِ عارفة مركزي حساس، أنا بعمل ده كله عشانك، عشان تفضل راسك مرفوعة وماحسش بالكسرة دي في عنيكِ وترجعي تاني أشجان اللي أعرفها.
فنظرت إلى أخيها: تفتكر بعد اللي حصل ممكن أرجع أشجان تاني.
فاحتضنها: أكيد حبيبتي، والله بعمل ده كله عشان أرجعك لنفسك تاني ومتضطريش تفضلي قافلة على نفسك، ناس كتير بتتجوز وتتطلق وتبدأ حياة جديدة مع شخص جديد.

فنظرت إليه والدموع تتحجر بمقلتيها: بس دي مش جوازة ولا بإرادتي، أنا مغصوبة على كل ده مع بني آدم بحتقره.

فاحتضنها: هانت، هنستحمل أسبوع أو اتنين بالكتير، أوعدك مش أكتر من كده، ونقول ماتفقوش ولا لسانه طويل وعصبي وماستحملتهوش وينفض الموضوع بسلام، أوعدك، وعمري ما هوعدك إلا وهوفي بالوعد، لازم تفهمي كده، إنتِ بنتي مش اختي يا أشجان.

فشددت في احتضانه وهي تبكي: ربنا يخليك ليا ولا يحرمنيش منك أبدًا، مش عارفة من غيرك كنت هعمل إيه.

فاحتضن رأسها بين كفيه: إنتِ قوية، والموضوع ده هيمر زي أي حاجة وأي ذكرى مؤلمة مرينا بيها، أوعدك بكده.

فنظرت إليه: وأنا واثقة فيك.

وتركها ليذهب إلى غرفته فخلع ملابسه وذهب ليأخذ حمامه، وجلس بحوض الاستحمام فترة علَّهُ يسترخي أو ينزع هذه الأفكار المتلاحقة عليه.

فقلقت عليه (ظلال) وفتحت باب الحمام.

فنهرها: عاوزة إيه؟

فنظرت إليه بخوف: أبدًا، قلقت عليك قلت أطمن.

فصاح بها: اخرجي واقفلي الباب واوعي تعمليها تاني.

فخرجت باكية على فراشها: ليخرج متدثرًا بمنشفته حول وسطه.

فأتت إليه من الخلف ووضعت يدها على ظهره وحدثته: والله مظلومة وما ليا ذنب في الموضوع ده يا ظافر.

ليشعر بيدها ويلتف بسرعة نازعًا إياها عنه: إيدك دي متلمسنيش، ودموع التماسيح دي خلاص خدت ترياق منها ومبقتش تأثر فيا، وإيدك دي لو لمستني تاني هكسرها لك، مش طايق لمستك حتى ولا قربك مني، إنتِ فاهمة! أكيد إنتِ اللي مخططة له كل حاجة، ما هو لازم حد من الفيلا يديه تحركاتها، ومين غير الأخت العقل المدبر.

حاولت إقناعه: والله ما أنا ولا أعرف أصلًا، أنا مش متخيلة إن فاروق يعمل كده.

فقاطعها: وأهو عمل، والله لولا أشجان كنت قتلته.
فشهقت (ظلال)، ليستطرد: اعملي حسابك، فرحهم الخميس الجاي، ولما أفوق من الجوازة الهباب دي أبقى أفوق لك، وهتشوفي أيام سودا معايا.
(ظلال) وهي تتراجع: لو مش مصدقني طلقني.
فاقترب منها: أطلقك! الطلاق ده حاجة مريحة بالنسبة لك، ده أنا هخليكِ تتمني الموت ومتلاقيهوش مش الطلاق، ودلوقت سيبيني واخفي من وشي.
وجزَّ على أسنانه، فجرت متدثرة بغطائها خوفًا منه، لينظر إليها والشرر يخرج من عينيه، ثم نزع منشفته بعصبية وارتدى سرواله وذهب لينام معطيًا ظهره إياها.
وفي الصباح، نزل (ظافر) لتناول الفطور والتقى مع (ناهد) وحدثها عن ترتيبات الفرح: أنا مفياش دماغ، دي مسؤليتك، خدي أشجان واختاروا كل اللي عاوزينه، الفيزا معاكِ، وحاولي تخرجي أختك من اللي هي فيه وهاتي لها كل اللي عاوزاه.
(ناهد): متقلقش، أنا اتصلت بسها صحبتي وهنجهز الفيلا للفرح، وهروح أنا وأشجان نشتري كل المستلزمات للفرح، وبهاء سافر يكلم خالي، وطبعًا أنا بعد الفرح هنقل في شقة بهاء، هو مخلصها وجاهزة، لأنه مش هيوافق نقعد هنا، إنتَ عارف بهاء وعرق الصعيدي بتاعه، ومراتي تعيش في شقتي.
فتفهم (ظافر) الوضع، لتستطرد: فخد بالك من أشجان.
فنظر إليها: إنتِ هتوصيني على بنتي.
(ناهد) بامتنان: أنا عارفة حبيبي، وشكرًا على كل حاجة بتعملها عشانا، أنا مش عارفة من غيرك كنا هنعمل إيه.
فنظر إليها: وابقي شوفي اللي فوق دي هاتلها حاجة للفرح، مش عاوزين حد يحس بحاجة، دي أخت العريس.
فتفهمت وأومأت برأسها: حاضر.
فماذا سيحدث يا ترى؟ وما خطة (بنان) و(فاروق)؟

***

(٣٧)

أخذت (ناهد) (أشجان) و(ظلال) لشراء مستلزمات الفرح، ولا واحدة منهما تطيق (ظلال)، وتتعاملان معها بكل تجاهل بعد ما حدث من أخيها، وهي تتحمل كل هذا وتعذرهم، ففعلة (فاروق) شنيعة ولا تغتفر.

ورجع الجميع دون أدنى مظاهر للبهجة، حتى (ناهد) تداري فرحتها من أجل أختها، فهي تشعر بما تعانيه، فهي لا تطيق اسم فاروق إن ذُكِر أمامها، ولا تعلم ماذا ستقول لأصدقائها إن سألها أحدهم عنه، فلا أحد يعلم هويته، ولكنها ستقول مثلما اقترح (بهاء)، أنه كان يعمل معهم بألمانيا وعاد مؤخرًا.

وجاء يوم الزفاف، فتزينت الفيلا ولبس العروسان أبهى فساتين الزفاف، حتى إن (ناهد) كانت وكأنها عادت شابة من جديد، وكان يبدو عليها الشباب أكثر من أختها التي كساها الحزن، فقد صمَّم (بهاء) على أن ترتدي فستان زفاف أبيض وكأنها عروسٌ لأول مرة.

جاء (بهاء) ليأخذ عروسه، ووضعت يدها بيده، وهكذا (فاروق) الذي ارتدى حلة جميلة، ورغم أنه قاتم البشرة فقد كان شعره أسود ناعمًا وبدت عليه الوسامة والأناقة وكأنه سليل العائلات في الحسب والنسب، لكن هذا لم يغير من إحساس (أشجان) بالنفور منه، حتى التمثيل لا تستطيع إجادته وهي تتصنع البسمة في أثناء وضعها يدها بيده.

أما (ظلال) فهي كالمنبوذة وسطهم، فهي تتحمل جراء فعلة أخيها، ولديهم كل الحق، فكيف لهم أن يعاملوها جيدًا وأخوها سببٌ في تعاسة أختهم، وما فعله ليس هينًا، فلولا حكمة (ظافر) لقتله، ولكن ماذا سيصنع القتل لأخته غير إلحاق العار وضياع السمعة.

كان الجميع يتصنعون السعادة ويتراقصون ويتمايلون، ولكن ما في القلب يظل في القلب.

انتهى الحفل وأخذ (بهاء) عروسه إلى شقته.

أما (فاروق) فقد كان تحت عين (ظافر)، فأدخله الحجرة مع أخته، وهدده بألا يمسها مرة أخرى وإلا سيقتله، فتعهد (فاروق) بهذا وإلا سيناله غضب (ظافر)

وقد جربه مرة ولن يحتمل الأخرى، وخرج (ظافر) لينبه على الحرس بأن يظلوا مستيقظين، وبعدها دخل حجرته ليرتاح.
وجد (ظلال) تتجه إلى الخارج، فسألها أين ستذهب هكذا في هذا الوقت المتأخر.
(ظلال) بقلق: مش عارفة، إسلام عنده مغص، هعمله يانسون وآجي.
فتركها ليخلع ملابسه وينام، فاليوم كان شاقًّا على الجميع ومرهقًا.

***

أما عند (بهاء)، فقد شعر بسعادة غامرة وكأن حلم العمر قد تحقق ولم يعُد يريد شيئًا آخر من الحياة.
ليجذبها إليه: أنا مش مصدق إنك معايا في بيت واحد، لا وأوضة واحدة ومقفول علينا باب!
(ناهد) بدلع: يا سلام يعني، عاوز تقنعني إن بعد السنين دي كلها لسه بتحبني والغربة مغيرتكش وإن لا بنت كده ولا كده لعبت في دماغك.
فتركها وأدار ظهره لها وهو يخلع معطف البدلة: من ناحية البنات فهن كثيرات.
فأدراته لها بحده: نعم نعم كثيرات، وبتقولها لي باللغة العربية الفصحى، طلقني يا بهاء.
فأخذ يضرب كفًّا على كف ويقهقه: يا مجنونة، المهم مين اللي في القلب، كذا بنت حاولت، لكن أنا قافل قلبي عليكِ واديتك المفتاح، إنتِ الوحيدة اللي تقدري تفتحي وتخرجي براحتك، لكن أنا محتفظ بنسخة طبق الأصل لكِ جوه، حتى لو خرجتِ هتفضل محفورة جوه.
(ناهد) وهي تبتسم: ياه يا بهاء، بتجيب الكلام الحلو ده منين.
(بهاء) بثقة ويعدل من ياقته: يا بت أنا كلامي حلو على طول، إنتِ بس اللي مش واخدة بالك.
فضحكت عليه: متتغرِّش قوي كده.
فنظر إليها: لا، أتغر وأتغر بقى، مش معايا القمر اللي جنني.
(ناهد): يعني بتحبني بجد ومش هتتغير زي...
وقطعت حديثها، فأجلسها على الفراش وجلس بجوارها: أنا مقدر حالتك وعدم ثقتك، بس صوابعك مش زي بعضها، واللي فضل وفي لحبك طول العمر ده مع

إن ماتربطناش بأي صلة رسمية لا زواج ولا خطوبة، أكيد مش هيفرط ولا يخون بعد الزواج، أنا مكتفي بيكِ عن كل النساء.
وليضحك معها ويخرجها من المود: وميهمنيش بقى كارتة ولا قرعة...
فقاطعته: إيه اللي بتقوله ده، إنتَ اتجننت، أنا كارتة وقرعة!
فضحك: ويبقى بيتنا مشهور، بيت القرعة وتنوري في الضلمة.
وضحك لتغتاظ أكثر فأكثر وتلقي بفستانها وتتناول قميص نومها بغضب، لتجده خلفها يهمس بأذنها: بحبك يا شعنونة.
فأبعدته: وسع كده أنا زعلانة منك.
فجذبها اليه: والله ما ينفع النهارده زعل خالص، إنتِ عارفة أنا بهزر معاكِ عشان نفك التنشنة.
فقاطعته: لا بقى، خليني متنشنة أرحم من الهزار البايخ ده، ومش هنام معاك هنا.
وجاءت ترحل، فجذبها اليه: يرضيكِ أبوي يجول مخلفش راجل...

***

أما عند (فاروق)، فقد خلعت (أشجان) فستانها في الحمام، وهو أيضًا ارتدى ترنج جديدًا، فظلت بالحمام ولم تخرج.
(فاروق) بضيق: إنتِ هتفضلي جوه؟! ما تخلصي، عاوز أدخل.
فخرجت مرتدية بيجامة برمودة، ليقترب منها فنهرته: والله لو قربت لهنادي ظافر.
ليخرج منديلًا من جيبه ويضعه على أنفها فتفقد الوعي، واتصل بـ(بنان): عملت اللي قلتِ عليه، المنديل اللي بعتيه مع الواد في الحفلة شممته لها ونامت.
(بنان): تمام قوي، أنا منتظراك تحت، شيلها وانزل وادخل غرفة مكتب (ظافر) اللي على اليمين تحت، واخرج من الباب الخلفي بتاعها على الجنينة الخلفية، وهتلاقيني منتظراك وأساعدك نخرجها من مكان سري بين الشجر أنا عرفاه، وكنت بخرج وأدخل بمزاجي منه من غير الحرس ما يشوفوني.
(فاروق): ماشي، أما أشوف آخرتها معاكِ إيه، لولا اللي عمله معايا عاوز أحرق قلبه بأي شكل، نافش ريشه وعامل زي الطاووس وكإنه اشترانا، عاوزه

يلف حوالين نفسه.
(بنان): إنتَ هترغي، اخلص قبل ما تفوق.
(فاروق): حاضر إنتِ كمان، وأنا ناقصك.
وبالفعل، جاء يخرج وينظر بالخارج، فوجد (ظلال) تدخل حجرتها، فحمد ربه أنها لم ترَه، فحمل (أشجان) واتجه بها إلى المكتب، إذ وصفته له (بنان) ووصل إليها.
فتلقفته: يلا بسرعة قبل النهار ما يطلع ويشوفونا.
واتجهت به إلى الخارج، حيث كانت سيارتها مصفوفة بجانب السور الخلفي للفيلا، لتاخذه إلى حجرة استأجرتها له في حي ناءٍ أقل من الشعبي، وحجرة لا تصلح للاستخدام الآدمي وبها أثاث مهشم.
فدخل (فاروق) حاملًا زوجته ووضعها على الفراش.
واتجه إلى (بنان): يعني ملقتيش أوضة أحقر من كده!
فنهرته: وأنا فاتحاها تكية ولا إيه، أجيب لك منين، فلوسي اللي في الفيزا قربت تخلص، أعمل إيه وأجيب منين، ثم مش إنتَ عاوز تطلع عينها وتعلمها الأدب.
وضحكت: هو في أدب أكتر من كده!
فنظر إليها وضحك: الصراحة لأ.
ثم كشر: بس ما أنا عايش معاها فيها أنا كمان، ده أدب ليا معاها.
(بنان): أهو تأدبوا بعض، أنا مليش دعوة بقى، أنا ساعدتك ومتجيبش سيرتي في حاجة.
(فاروق): عيب عليكِ، وأنا مش راجل قدامك.
(بنان): ماشي سلام.
وبدأت (أشجان) تتململ على الفراش.
(بنان) بخوف: لحسن تشوفني، المرة اللي فاتت اتصلت بيها وعملت نفسي معرفش وقلت لها روحتي فين، أنا سيبتك ورقصت رجعت ملقتكيش، قلت زهقتي ومشيتي، وأكني لا شوفت ولا سمعت ودخلت عليها، وحتى سألتها لما حكت لي متعرفيش الشقة دي فين عشان أطمن، كنت هسيبها لو عرفتها، قالت إنها من الصدمة خدت تاكسي وبقت بتعيط ومش عارفة فين فمأخدتش بالها،

وبرضه قالت لظافر كده لما سألها، يعني أنا في الأمان، اوعى تقِل بأصلك بقى لحسن والله...

(فاروق) وقبل أن تكمل: عيب عليكِ، وأنا مبتتهددش وقلبي ميت، وأنا مليش دعوة بخلافاتكم، أنا ساعدتك عشان الحرقة واحدة من العيلة دي، وعاوز أحرقهم زي ما حرقوني، لكن تهديد مبجيش بيه يا حلوة.

(بنان) بضيق: أوك، أنا ماشية.

وتركته، لتبدأ (أشجان) في الاستيقاظ، ولا تعلم أين هي وما هذه الخرابة التي تعيش فيها.

فقامت فزعة: أنا فين وإيه جابني هنا؟!

(فاروق): دي شقتك يا عروسة.

فنهرته: إنتَ اتجننت! أنا هخلي ظافر يسجنك، إنتَ خطفتني.

فضحك وجلس على مقعد خشب بجانبه: ظافر! هو فين ظافر؟!

وتلفت حوله وأكمل: ولا هيعثر علينا فين! ده احنا في مجاهل أفريقيا، أنا نفسي مش عارف أنا فين.

(أشجان) محاولةً طمأنة نفسها: ظافر هيعرف أنا فين وهيسجنك، هو وعدني بكده وأنا واثقه فيه.

(فاروق) محاولًا إخافتها: احلمي احلمي يا اختي، هي الأحلام بفلوس، ابقي قابليني لو حد عرف لك طريق، ثم هو في حد بيخطف مراته حبيبته.

(أشجان) بغضب: حبك برص! متقولش مراتي وحبيبتي يا جربوع إنتَ.

فقام بسرعة أمامها ولوى ذراعها: بت إنتِ العجرفة بتاعتكم دي تنسيها أحسن لك وتقضي أيامك معايا بالذوق بدل ما تبقى عافية.

فبكت ونهرته: ابعد عني يا متوحش سيب دراعي.

(فاروق) وقد تملكه الغضب من سبها له: والله لو ما اتلميتي واتعلمتي الربايا الصح لأكسرهولك، إنتِ فاهمة!

وتركها لتقوم مسرعة، إيه القرف اللي منيمني عليه ده، مش ممكن أنام هنا.

(فاروق) بعد اهتمام: خلاص نامي على الأرض.

فنظرت إليه وجحظت عيناها، ليكمل: طب أقول لك حاجة حلوة، نامي واقفة

زي الأحصنة.
وضحك، فنظرت إليه بغيظ: لا ظريف، إنتَ مستحمل نفسك ازاي كده.
(فاروق) وقد تمادى: فعلًا، كلهم بيقولوا لي إني ظريف.
وهي تغتاظ أكثر فأكثر منه.
(فاروق) بجدية: شوفي يا بنت الناس، أنا لا عاوزك ولا بطيقك أساسًا، ومش هقرب لك أصلًا لأني مش عاوزك، الموضوع معايا أدب وعِند وكُره مش أكتر، ويا أنا يا إنتم، فاسمعي الكلام وهاوديني، وأما يجيني مزاج وأحس إني ربيتك وخدت كفايتي ورجعت حقي، هردك لأهلك، غير كده لأ.
فما رد فعل (أشجان)؟
وما رد فعل (ظافر) عندما يعلم بهروب (فاروق)؟,وهل سيحمله على (ظلال) كعادته؟

***

(٣٨)

وقفت (أشجان) أمام (فاروق) بتحدٍّ: شوف يا بابا، مش عشان اتجوزتني مفكر إني مراتك بقى وهتعيش، لا فوق أنا أشجان البنهاوي، ومسير ظافر يلاقيك ومش هيرحمك.

فجلس ووضع ساقًا على ساق: موت يا حمار على ما ييجي لك العليق، على ما أخوكِ يلاقينا، ده لو لقانا أصلًا، أكون استكفيت منك على الآخر وربيتك، وأظن مفيش أحسن من كده تربية.

وينظر إلى ذلك المكان الحقير حوله.

(أشجان) بضيق: ومين قال لك إني هعيش هنا!

وهمت بالرحيل.

ليجذبها: لا يا ماما، دخول الحمام مش زي خروجه، وزي ما أخوكِ حابس أختي ومانعها حتى تزور أهلها، هكويكم بنفس النار، عشان تحسوا على دمكم شوية.

فواجهته بغضب: إنتَ بتحلم إني أفضل معاك هنا.

فنظر إليها بتحدٍّ: مش بإرادتك، وريني هتخرجي ازاي، الأوضة أصلًا مفيهاش شباك، والحمام والمطبخ حديد، وباب الشقة مقفول بالمفتاح، عرفيني بقى هتخرجي ازاي، هتحفري في الأرض زي فيلم الهروب الكبير بتاع المساجين!

فجلست بغضب وتذكرت أنها على هذا الفراش الحقير، فقامت تنفض الغبار عنها: وأنا هنام ازاي كده؟!

(فاروق) بعدم اكتراث: وأنا مال أمي، ما تتصرفي، نفضي وروَّقي شقتك عشان تعرفي تعيشي فيها.

فجحظت عيناها: أنا! عاوزني أنفض وأروق المكان الحقير ده!

ثم أسرعت في الذهاب إلى الحمام، لتجده أقذر من أن يقضي حيوان فيه حاجته، ولكنها مضطرة، إما هذا أو أن تكون العواقب وخيمة، ولكنها صاحت عندما دخلت من ذهولها من هذا الحمام الحقير.

فجرى عليها: في إيه حصل إيه؟!

فنظرت إليه: عاوزة أعمل حمام.

(فاروق): ما تعملي، وأنا ماسكك ولا هاجي أقعدك!
(أشجان) بقرف: أنا أعمل هنا! مش ممكن!
(فاروق) يتركها: خلاص إنتِ حرة، أكتميها يمكن تموتي وأخلص منك.
فأغلقت خلفه الباب: حقير وبيئة قوي.
وحاولت سد أنفها بيدها وفعلتها مضطرة وألقت بعبوة المنظف في الحمام وشدت السيفون حتى ينظف بعض الشيء، وخرجت لتذهب إلى المطبخ علها تجد ما تسد به رمقها، فهي لم تأكل في الآونة الأخيرة.
وعندما دخلت، وجدت فأرًا يدخل خلف الخزانة، فقفزت على المنضدة الموضوعة بالمطبخ وصاحت برعب، فلم يُعطِ لها اهتمامًا وتذكر أنها مثل المرة السابقة، ولكن حينما لم ينقطع الصياح ذهب إليها وجدها فوق المنضدة وتشير برعب خلف الخزانة.
وهو لا يعلم: في إيه؟ ما تنطقي اتخرستي!
فحاولت استجماع شجاعتها لتقول له عما رأته، ليسخر منها: عشان فار! أمال لو أسد كنتِ قطعتي الخلف! روحي يا شيخة كده.
لتنادي عليه: أبوس إيدك خرجني من هنا.
فنظر إليها: ده بعيد عن حواجبك.
ويضحك.
(أشجان) برعب كاد يوقف قلبها: طب موته، أنا مش هقدر أقعد هنا.
فأحضر حديدة ملقاة في الأرض كالسيخ وحاول تحريك الخزانة، ليجده ويغرس به السيخ، فصاح الفأر من الألم ومات.
فنظر إليها: خلاص ارتحتِ؟! أما نشوف الليلة دي هتخلص ولا لسه لها بقية، أنا مطبق حرام عليكِ وبسقط.
فنظرت إليه: طب ارميه بره وشوف في تاني كده وودِيني الأوضة.
فأخذ يحرك السيخ ويضرب هنا وهنا وينظر إليها: خلاص ارتحتِ واطمنتِ، انزلي بقى عاوز أنام.
(أشجان): لا مش هنزل.
(فاروق): خلاص خليكِ عندك.

وأدار ظهره لتلقي بنفسها عليه، كاد يقع وهي تتعلق به، لكنه أخذ يسب: يا بنت المجنونة، إيه اللي عملتيه ده!

وهي لم تُعِر كلامه أي اهتمام: يلا بسرعة اخرج من هنا.

وهو كاد يختنق: طب زوري هتخنقيني.

وأوصلها إلى الفراش لتقف فوقه.

(فاروق) بضيق: وسعي بقى عاوز أنام شوية.

(أشجان) تنظر إليه بغيظ: وأنا أنام فين؟

(فاروق) والغضب يعتريه: يا غلب أمي، أنا اللي جبته لنفسي، المفروض أخطفك بالدادة بتاعتك، ما هو أنا مش هشتغل لك دادة.

وأمسكها من ذراعها وأسقطها على الفراش: شوفي بقى، يا تتخمدي من غير نفس يا هقتلك النهارده وأخلص منك.

(أشجان) بضيق: طالما تاعباك كده ما تروَّحني يا أخي.

(فاروق) بتحدٍّ: لما يجيني مزاج.

وصاح بها: اتخمدي بقى.

لتنام في سكون تام وهي تدير عينيها بالمكان، وهو ينام بجوارها دون حراك من الإرهاق.

***

أما عند (ظافر)، استيقظ ليدق الباب على أخته فلم يجدهما، ليصيح: أشجان، فاروق!

ويقف في الردهة كالمجنون ويذهب إلى زوجته، ليجذبها من ذراعها: هربتيهم فين انطقي؟!

وهي لا تعلم شيئًا: هما مين اللي هربتهم؟! وفي إيه مش فاهمة؟!

(ظافر) بغضب: آه، العبيهم عليا، الشويتين بتوعك دول مش هيخيلوا عليا، هربتي أخوكِ فين هو واختي؟

(ظلال) بعدم إدراك: هربتهم ازاي يعني، أنا مشوفتهمش من ساعة الفرح.

(ظافر) وينظر إليها: ده بأمارة اليانسون اللي طلعتي تعمليه حجة عشان تروحي تساعديه، ما هو مش هيخرج من هنا إلا بمساعدة حد عارف الفيلا.

واتصل بالحرس: أنا مش قلت يا بهايم محدش يخرج ولا يطلع إلا بإذني.
فرد أحدهم: محدش خرج، واحنا صاحيين منمناش.
فألقى بالمحمول على الفراش، وجذبها: محدش خرج من الباب، خرجتيهم ازاي وفين؟
(ظلال) ببكاء: والله ما خرجتهم ولا شوفتهم ولا أعرف عنهم حاجة، ما يمكن هما اللي هربوا.
(ظافر) بغضب أكبر: لا والله! أشجان اللي مش طايقاه، ولو طالت تقتله هتقتله، هي اللي هتهرب معاه، شوفي حاجة تتصدق.
فنظرت إليه: والله ما أعرف حاجة، أنا بريئة، منك لله يا فاروق!
وخرج وتركها ليذهب يتفقد الحديقة، أما هي فاتصلت بوالدتها: فاروق فين يا ماما.
أمها وهي لا تعلم شيئًا: والله ما أعرف، من ساعة ما بعَت المفاتيح مع الصبي بتاعه واتصل قال لي مسافر يومين معرفش عنه حاجة.
(ظلال) ببكاء: فاروق ناوي على خراب بيتي وهدم البيت ده وانهياره كله.
فاستغربت الأم حديثها: وفاروق ماله ومالكم؟!
فقصت لها ما حدث وما فعله بـ(أشجان)، فصُدِمت المرأة: اخس عليك يا فاروق، إنتَ تعمل كده يا ابن بطني، دي تربيتي!
فحاولت (ظلال) تهدئتها: أرجوكِ يا ماما، لو اتصل اعرفي الرقم وهاتيه وأنا أكلمه.
أمها: حاضر يا ابنتي، لو اتصل بالأرضي هشوف الإظهار وأجيبهولك، لأني مش كاتباه، هو اللي بيتصل وكل شوية تبوظ الشريحة ويجيب غيرها فبطلت أكتبه.
كان (ظافر) قادمًا إليها بعد تفقد الحديقة وتطرق إلى سمعه بعض الكلمات مع والدتها، أحس بعدها بأنها مظلومة في هذا، ولكنه لم يُعفِها من المسؤلية، فهو أخوها ولا يعرف إذا ما كانت محادثتها لأمها جزءًا من التمثيلية أم حقيقة.
دخل وجلس على المقعد ووضع رأسه بين راحتي كفيه، فأحست بالألم من أجله وأتت إليه وجلست على الأرض أمامه: لقيتهم؟
فنظر إليها: فص ملح وداب، مش عارف أعمل إيه، حاسس إن الأرض بتنهار من

تحتي، أول مرة مبقاش صادق في تنفيذ وعدي لها، يا ترى عمل فيها إيه ولا بتقول عليا إيه.

فوضعت يدها على وجهه: إنتَ حاولت تعمل اللي عليك ككبير عيلة وحاولت تصلح اللي انكسر قدر المستطاع، متحملش نفسك فوق طاقتها وإن شاء الله هنلاقيهم، وأنا واثقة إن فاروق عمره ما هيئذيها، والله ما كان كده، أنا مش عارفة إيه جرا له، مكانش أناني وكان بيخاف علينا، اللي فيه ده حالة مش طبيعية والله، وأول ما أعرف تليفونه هكلمه وأحاول يرجعها في هدوء.

ليغضب: وعلى ما تعرفي أقعد حاطت إيدي على خدي زي النسوان وإنتِ اللي هتحلي مشاكلي!

وألقى بالمنضدة التي أمامه بقدمه وخرج وذهب إلى (بهاء).

ليدق الباب.

(ناهد) تتململ وتستيقظ لتداعب (بهاء): شوف مين الغلس اللي بيصحينا دلوقت.

(بهاء): سيبك منه.

(ناهد): لا بجد روح شوف مين ليكون في حاجة.

فقام ليرى من بالباب.

(بهاء) بصدمة: في إيه يا عم، وحشناك للدرجة دي.

فجلس حزينًا واضعًا رأسه بين كفيه، لينظر إليه (بهاء): إيه يا عم، زرعتها كرنب طلعت فاصوليا.

فنظر إليه: اقعد ومتجيبش سيرة لناهد، أنا ترددت إني آجي، بس بتخنق وملقيتش غيرك أحكي له.

فجلس (بهاء) منتبهًا: في إيه قلقتني؟

فقص عليه ما حدث.

(بهاء): يا نهار اسوح! وده حصل ازاي، والحراسة اللي موجودة، ده إنتَ منبه عليهم.

(ظافر) بثقة: أكيد خرجوا من الخلف.

(بهاء): وهو هيعرف منين مداخل ومخارج الفيلا، ده كان محبوس جوه،

وهيتخطى الحراسة اللي موجودة ازاي، إلا لو حد من جوه الفيلا يعرف مداخلها ومخارجها ساعده.
(ظافر): صح، إنتَ كده أكدت ظنوني.
وهب واقفًا وإسرع إلى الباب.
و(بهاء) يناديه ولا مجيب ويضرب كفًّا على كف.
فذهب إلى (ناهد) التي خرجت من الحمام تسأل عن القادم إليهم.
(بهاء) بتمويه: ده ظافر باعننا وحشناه.
فاتجهت لتذهب إليه ليجذبها (بهاء): راحة فين ده مشي.
فنظرت إليه باستغراب: هو جه في إيه ومشي في إيه؟ في إيه يا بهاء؟
ليموه (بهاء): مفيش.
وقربها منه: هو اللي بيخرج من الحمام بيحلو كده!
و...

***

أما (ظافر)، فقد ذهب إلى زوجته وصاح: ظلاااااال!
ففزعت من صوته وفتح هو الباب عليها: أخوكِ مخرجش إلا بمساعدتك، هو هيخرج من ورا ازاي إلا لو حد عرفه.
(ظلال): والمفروض أنا اللي عارفة مداخل ومخارج الفيلا، أصلي مقطعة الخروج قوي، ده أنا مبخرجش إلا في إيدك وبارجع في غيدك، وحتى الجنينة مانعني من الخروج عشان الحرس ميشوفونيش، وحتيى البلكونة بتطلع على الجنينة من الأمام مش الخلف، يبقى هعرف المخرج الخلفي منين، أنا اكتفيت منك ومن شكك، طلقني يا ظافر وسيبني في حالي أربي عيالي.
وتناولت الحقيبة على الفراش لتخرج ملابسها باكية تضعها بها، ليجذبها إليه: قلت لك مفيش خروج من هنا، ومفيش طلاق، إنتِ فاهمة!
فجلست (ظلال) باكية: لا مش فاهمة، أنا تعبت، واعمل اللي تعمله.
فنظر إليها نظرة أرعبتها: ظلال، متحملنيش فوق طاقتي، كفاية اللي فيا.
(ظلال): وأنا كمان فيا اللي فيا مكفيني.
لتتألم بعض الشيء وتمسك بطنها، فخاف عليها: في إيه تعبانة؟

فتألمت: شوية.
(ظافر) وكاد يحملها: طب يلا للدكتور.
فأبعدته: لا مفيش داعي، أنا هبقى كويسة.
(ظافر) وينظر إليها: طب لو زاد قولي لي وآخدك للدكتور.
وجلس بجوارها مسلطًا نظره أمامه ولا ينظر إليها: ساعديني يا ظلال وأقفي جنبي لحد ما نعدي الموضوع ده.
فأغمضت عينيها: ما أنا جنبك على طول، لكن عمري ما لقيتك جنبي، أنا هعمل بأصلي وأفضل لحد المحنة دي ما تمر، وهقف جنبك وأساعدك عشان نرجع أشجان، لأنها زي أختي ومارضاش لها اللي حصل.
ليضع رأسه على صدرها كالطفل، ففُوجِئَت بما فعل ولم تُحرِّك ساكنًا.

***

ظلت الحال هكذا، (أشجان) تعاني مع (فاروق) وتحاول التأقلم ولا تستطيع، فينهرها ويسد عليها كل السبل.
أما (بنان) فهي ما زالت عند (صوفيا) التي يأتي إليها يوميًا أشكال وألوان، وفي يوم جاء شاب ونظر إلى (بنان)، وحين تسألها (بنان) عنه أجابت أنه ابن عمتها، ولكن (بنان) لم ترتَح لنظرات ذلك الشاب، والذي حدث (صوفيا) أنه يريد هذه الفتاة، قاصدًا (بنان).
فأجابته (صوفيا): تدفع كام؟
(مهران): ١٠٠٠ جنيه.
(صوفيا): نووو، ده إيجار حجرة ١٠٠٠، ودي حاجة جديد مش أقل من ٥ آلاف.
فأجابها: هما ٣ بس.
(صوفيا): ٤ آلاف وإلا خلاص.
فوافق، ففعلت (صوفيا) مع (بنان) مثلما فعلت مع ابنة عمها، ووضعت لها شيئًا من المخدرات، فلم تدرِ بحالها، لتستيقظ بنفس حال ابنة عمها، عارية بجانب (مهران).
فصعقت وتدثرت: إنتَ إيه اللي عملته يا حيوان؟!

فضربها كفًّا: مين اللي حيوان يا بت، ده أنا أشتريكِ بفلوسي.
وخرجت من الغرفة باكية، فدخلت على (صوفيا): أنا صاحبتك تعملي فيا كده!
فردت عليها: حبيبي الدنيا مصالح، وإنت خلصت فلوسك وعايش معايا وأنا ساكت، وإنت أصلًا عملت كده في بنت عمك اللي لحمك ودمك وهانت عليك.
فحقًّا، افعل ما شئت فكما تدين تدان، وإن أمهلك الله فسحة من الوقت علك تتوب، ولكن كما تدين تدان، وما ستفعله بأحد سيُفعَل بك ويعود إليك من جديد.
فماذا ستفعل (بنان)؟
على الأقل قد عالج (ظافر) موضوع أخته، فكيف ستعالج (بنان) الوضع؟
وهل ستعود (أشجان)؟

***

(٣٩)

ظلت (بنان) واجمةً أمام صديقة عمرها، إذ لم تتخيل للحظة أنها ستفعل بها هذا، ولكن لمَ لا وقد فعلته بابنة عمها، كما قالت صديقتها التي من لحمها ودمها، كل ذلك ولم تأخذها بها شفقة ولا رحمة.

وانطلقت تجري من أمامها وخرجت تجول بالشوارع لا تعرف إلى أين تذهب، إلى أن أدماها التعب والإرهاق وهي تجول وتجول بالشوارع وتتعرض للمعاكسات والتحرشات وتجري من هذا وذاك، وفي آخر المطاف وجدت قدميها تعودان بها إلى الطريق نفسه، لتذهب إلى صديقتها باكية.

(بنان): حرام عليكِ، ليه تعملي فيا كده؟!

وصديقتها ترد: وفيها إيه يعني، إنت ليك جسم جميل وشعر جميل وألف يتمنوا يترموا تحت رجلك، ليه متستغليش جمالك وتكسبي منه؟!

فجحظت عيناها: إنتِ بتقولي إيه! عاوزاني أتحول لفتاة ليل لكل من هب ودب!

لتنظر إليها (صوفيا): أمال عملوا الوسائل الحديثة ليه، هو احنا هننزل ندور بنفسنا.

فاستغربت (بنان): مش فاهمة، تقصدي إيه؟

(صوفيا): في انستجرام دلوقت، بتنزلي صور ملفتة وفي ناس بتبعت الرقم، وغيره وغيره.

فنظرت إليها (بنان) بغضب: إنتِ أكيد اتجننتي، أنا لا يمكن أعمل كده، أنا معايا تجارة بيزنس وهنزل أدور على شغل، وأظن اللي خدتيه كفاية إني أقعد هنا ومتطالبنيش بفلوس حاليًا.

(صوفيا) بعد اكتراث: براحتك، إنت غاوي تعب.

ودخلت (بنان) الحمام لتغتسل من همومها التي جلبتها لنفسها.

أما عم (سعيد) فقد خرج ليضع القمامة أمام شقته حتى يأخذها عامل القمامة صباحًا، وهو يقطن أسفل (صوفيا)، فوجد المترنحين يستندان كل منهما على الآخر ويصعدان إلى شقة (صوفيا)، فأغلق الباب بعنف وأخذ يسب ويلعن في هذه الفتاة التي تعد وصمة عار في المنطقة.

رأته (حورية) زوجته فتعجبت لحاله: مالك يا حاج؟
فرد بعصبية: البنت دي مش هتجيبها البر.
(حورية) بتعجب: هي مين دي؟!
(سعيد) بضيق: البت اللي ساكنة فوقنا وكل شوية شباب داخل وشباب خارج، وخلت سمعة العمارة في الوحل.
(حورية) بتوتر: واحنا مالنا يا حاج، ربنا حليم ستار على عبيده، واحنا عندنا ولايا ربنا يستر عليهم، ملناش دعوة بيها، أدينا عايشين زي بقية السكان، ما إنتَ اتصلت بالمالك ونفض لك لأنه مسافر ومش هنا، وقال لك ممعيش فلوس وهي وخداها تمليك، ميقدرش يخرجها، وقال لك لو معاك إنتَ فلوس اعرض عليها واشتري.
فتعصب عليها (سعيد): هو أنا حيلتي حاجة، ده الشقة دي اللي ساترانا وإيجار قديم، أروح أجيب لها ربع مليون ولا نص مليون منين، ده لو عصروني ما هنزل ألف جنيه، ده الغلاء اللي فيه البلد خلا الناس هتاكل بعضها على القرش، هو المرتب بيكفي دلوقت، قال أشتريها منها قال!
(حورية) باستسلام: خلاص يبقى نسكت ونلم نفسنا ونعيش زي اللي عايشين، ثم إنتَ عارف أمها خوجاية، يعني الكلام ده عادي بالنسبة لها، وكمان ممكن معاها الجنسية وتشحططنا في السفارات، اتلم يا راجل واعقل وخلينا نربي عيالنا.

***

أما (بنان)، فقد خرجت من الحمام على حجرتها ولم تسأل عن الجالسين مع (صوفيا)، وأخذت تبحث عن وظائف خالية، حتى وجدت ضالتها وعقدت العزم على الذهاب باكرًا إلى شركة (السيوفي) لتقدم السيرة الذاتية (C.V.)، وبالفعل ارتدت أبهى ما لديها وذهبت إلى هناك، لتتقدم إلى المختص ولمح اسمها (بنان البنهاوي)، فسألها هل تعرف (ظافر البنهاوي) من قريب أو بعيد، فأجابت أنها ابنة عمه، فاستأذن ليذهب إلى (ماجد السيوفي) صاحب الشركة ويحدثه عنها.
انتهزها (ماجد) فرصة ليضرب (ظافر) في مقتل، فحدث الموظف أن يأتي بها

فورًا إليه، فدخلت على (ماجد) ليتفحصها من فوقها إلى تحتها وهو يضع قلمه في فمه وينظر إليها بجراءة، وهي توترت من نظراته، ثم نحَّى القلم جانبًا ووقف ليقترب منها: قلتي لي تقربي إيه لظافر؟

فحاولت الابتعاد عنه قليلًا وأجابت أنها ابنة عمه.

ليباغتها: وماشتغلتيش هناك ليه في الإمبراطورية بتاعتكم؟

فأجابته: أنا على خلاف معاهم.

ففرح بهذا الرد وأجاب بسرعة: خلاص، إنتِ معانا من اليوم واتعينتي في شركة السيوفي.

فشكرته بامتنان وأنهت أوراقها لتستلم عملها، ولكن نظراته لم تُرِحها، ولكنه كان أهون عليها مما اقترحته (صوفيا) عليها، فآثرت أن تتحمل تلك النظرات المريبة على تلك الأفعال الشنيعة التي تطلبها منها صديقتها.

وبالفعل، أكملت عملها عند (السيوفي) مع التحرشات التي تحدث منه وهي كارهة لهذه الأفعال الصادرة منه، حتى طلب منها بعد فترة أن تحضر إلى الفيلا لاستكمال بعض الأعمال، وفي تفكيره أن يصور لها فيديو ويضرب به إمبراطورية (البنهاوي) في مقتل.

ولكنها ارتابت في ذلك واعترضت قائلة: طب ما نكملها هنا في الشركة، وأنا مع حضرتك للوقت اللي عاوزه، ومعانا الموظفين كمان لو تحب يفضلوا لو مطلوب منهم حاجة.

فاعترض وبشدة: لا مش هينفع هنا.

واحتد عليها: واللي أقول لك عليه تنفذيه، مش بنهرج هنا ده شغل.

فلم تعقب ولم تعترض، وانصرفت.

فهل ستفعل ما يقول أم ماذا؟

***

أما عند (ظلال)، فهي دائمة الاتصال بأمها وتسألها هل اتصل (فاروق).

فتجيبها أمها: أبدًا يا ابنتي.

فتسألها (ظلال): أمال بتصرفي منين والورشة مقفولة؟

فتجيبها الأم: والله أحمد جوز أختك كتر خيره، راجل بصحيح، مبيسيبش حاجة

وراه، وكل يومين هنا ويسأل عن طلباتي، ما إنتِ عارفة أختك، ابنها عيان على طول ومبتنزلش، ولو جت تسيبه عند حماتها شوية وتيجي تشقر علينا، لكن أحمد الله يبارك له يطلع من الشغل علينا، وعاوزة حاجة يا عمتي، وألاقيه جايب لحمة وفراخ وخضار ويسيب فلوس للعلاج، والله وشي منه بقى في التراب يا ابنتي.

(ظلال) بغضب: وليه مبتقوليش كنت بعت لك.

أمها بحدة: الله الغني، كفاية عمايل جوزك.

(ظلال) وكادت تبكي: يا ماما متقوليش كده، إنتِ ناسية إنها فلوسي وفلوس ابني، يعني تاخدي من جوز بنتك وهي مبتشتغلش وتكرهي تاخدي مني أنا بنتك، والله حرام عليكم، أنا هلحقها منين ولا منين، ولا عمايل ابنك اللي كرهت الناس فيا.

فطيبت خاطرها الأم: معلش يا ابنتي، يقطعني والله ما أقصد.

وتذكرت (ظلال): صحيح، مش رقم (فاروق) مع إسراء؟

والدتها تتذكر: متهيأ لي آه، حتى لما قلت لها قالت بتتصل ومقفول.

(ظلال) بسرعة: طب اقفلي وهسألها عليه وأفضل وراه لما يرد.

وبالفعل، اتصلت سلمت على أختها وشكرتها على ما فعله (أحمد).

(إسراء) أجابتها: والله ما أعرف، هو بيتأخر فعلًا ويقول شغل، بس مقالش إنه بيروح لماما، وشكله محلفها متقولش بس وقعت بلسانها معاكِ، والله أحمد ده كل يوم بيكبر في عنيا جدًّا وبستحقر نفسي على اللي عملته فيه، حساه ملاك ماشي على الأرض، مبقاش في منه بالأصالة والرجولة والشهامة دي، ربنا يبارك لي فيه يا رب.

فأشادت به (ظلال) وشكرت فيه ودعت له واستطردت: المهم، معاكِ رقم فاروق؟

(إسراء) أجابت: آه، المعفن وعملته السودا، والله محرجة أكلمك من ساعة ما عرفت، وبتصل بيه مقفول، الواد ده اتهبل ولا جرا له إيه! ده فاروق أخونا اللي كله رجولة وشهامة وكان بيدافع عن بنات الحتة لو حد عاكسهم، وفي الآخر يغتصب ويعمل كده!

(ظلال) وهي لا تدري ماذا دهاه: والله ما صدقت إنه يعمل كده، حسيتهم بيتكلموا عن شخص تاني غير فاروق اللي اتربينا معاه وكان يخاف علينا من النسمة الطايرة، بس أقول إيه، الكره والحقد يعمل أكتر من كده، معاملة ظافر مكانتش كويسة معاه ووصلته لكده، وفكر إنه بكده بيجيب حقي وبيقوي دراعه، بس جاب نتيجة عكسية معايا والكل بيكرهني ويشك فيا حتى جوزي، لأن شوية يصدق وشوية يشك، وأهي عيشة والسلام، المهم أصلح اللي انكسر وأرجعها البيت تاني ويطلقها، وبعد كده اللي عاوزه ربنا هيكون.

(إسراء) تطمئنها: إن شاء الله خير حبيبتي، وخدي الرقم أهو، يمكن يفتحه ويرد.

وبالفعل أخذته واستمرت في المحاولة مرة وراء الأخرى.

ولكن (ظافر) كان قد استمع إلى مكالمتها مع والدتها، فأرسل ظرفًا فيه مبلغًا كبيرًا من المال مع أحد الموظفين، ليضعه بيد الأم ولا يقول شيئًا لها، فنادت عليه ولكنه انطلق بسرعة البرق.

وحين فتحت الظرف وجدت مبلغًا كبيرًا من المال كاد يغمى عليها من حجم المبلغ، واتصلت بـ(أحمد) تسأله فأجابها بالنفي، واتصلت بـ(ظلال) فهي لا تعلم شيئًا عنه.

وعندما أتى (ظافر) سألته (ظلال): إنتَ بعت فلوس لماما؟

ليجيبها: وإنتِ مالك!

فأجابته: يعني إنتَ إلى بعت.

ليرد عليها: يهمك في حاجة أنا ولا غيري؟! هي مش فلوسك وفلوس ابنك ودي أمك.

فنظرت إليه بامتنان: أنا متشكرة جدًّا يا ظافر.

(ظافر) بعدم اكتراث: متشكرنيش، دي فلوسك إنتِ وابنك.

فنظرت إليه: ظافر متعاملنيش كده، ومش كل كلمة أقولها تحاسبني عليها، أنا مأقصدتش وإنتَ عارف، أنا مسلماك كل حاجة وواثقة فيك وفلوسي وفلوسك واحد، بس كنت بطمنها بس.

فنظر إليها بضيق: خلاص يا ظلال، أنا متنرفز أصلًا لأني مش قادر أوصل لأشجان

إلى الآن، ومعرفش أخوكِ بيعمل فيها إيه وبتقول عليا إيه دلوقت، إني نسيتها ومش سائل فيها ونقضت عهدي لها، أنا تعبان يا ظلال ومخنوق.

(ظلال) تحاول تهدئته وتأخذ برأسه في صدرها: معلش حبيبي، هانت وهنوصل لهم إن شاء الله، ومتقلقش أنا عارفة فاروق عمره ما هيئذيها، دي مش طبيعته صدقني.

(ظافر) باستسلام بعد جبروته: ربنا يستر، أنا مسبتش مكان إلا قصدته وبعت ناس تبحث فيه، زي ما أكون بدور على إبرة في كوم قش.

(ظلال) تطمئنه: إن شاء الله خير.

***

أما (فاروق)، فهو ما زال يعاند مع (أشجان) ويعلمها الأدب على أصوله، وأن تكنس شقتها وتغسل الأطباق وتنظف الحمام وتعد الطعام الذي لا يشبع أحدًا ولكن مقدرته هكذا فقد أوشكت نقوده على النفاد، وهي تصنع هذا مُكرَهة ومماطلة ولكنها مضطره، وهو يخرج بعض الأحيان ليشتغل في عمل يومي يتكسب أي نقود ليأتي بالطعام.

لتنهره (أشجان): أنا قرفت وطهقت من العيشة دي، رجعني بقى الفيلا وطلقني حرام عليك.

وهو يجلس متعبًا بعد عناء يوم شاق: روحي هاتي ميّة بملح أحط فيها رجلي.

وهي تقف واضعة يدها بوسطها: مش رايحة، دي حاجة تقرف.

فنهرها: غوري يا بت بدل ما ألطشلك.

فجرت تحضر له الماء بالملح، فأمرها أن تغسل قدمه، ففعلتها كارهة وهي تدعو عليه، وهو يسب فيها، إلى أن حدث وفتح تليفونه.

فماذا سيحدث يا ترى؟

وماذا ستفعل (بنان) أيضًا؟

***

(٤٠)

عندما فُتِح هاتف (فاروق)، جاءت رسالة إلى (ظلال) بأن الهاتف قد فتح، فجرت لتتصل بـ(فاروق)، والذي فوجئ باتصالها، ومن ارتباكه فتح الخط وتحدث إليها.

(فاروق): أيوه يا ظلال، في حاجة؟

فباغتته: اخس عليك يا أخويا يا ابن أمي وأبويا تعمل فيا كده؟! أنا لغاية دلوقت مش مصدقة إن اللي حصل ده كله من أخويا فاروق، أبو المجدعة والشهامة، اللي كانت أي بنت في الحتة تتحامى فيه من الشباب البايظ، ويبجي لنا كل يوم متخانق عشان بيدافع عن عرض بنت، حصل إيه؟! أكيد في حاجة غلط فهمني! تعمل فيا أنا كده! بعد ما الناس كانت بتحبني بقت تكرهني ومش طايقاني، حتى أبلة ناهد اللي كنت بحبها زي أمي مش زي أختي الكبيرة بقت مش طايقة تبص في خلقتي، ولا (ظافر) بعد ما كان اتعدل معايا، بسبب عملتك بقى شك وتعامل زبالة، ليه عملت فيا كده حرام عليك، مش مسامحاك أبدًا!

فتأثر من كلامها: خلاص يا ظلال بقى، متتعبنيش أكتر ما أنا تعبان.

ليدخل (ظافر) ويتناول الهاتف: إنتَ ياد لو مجيبتهاش وجيت تطلق قسمًا بالله لأجيبك متكتف، والمرة دي مش هتخرج من تحت إيدي سليم لو مبقيتش مطلقه هخليها أرملة.

فقاطعه (فاروق): شوف يا كابتن، أنا مبتهددش وأعلى ما في خيلك اركبه.

لتأخذ (ظلال) الهاتف بسرعة وتومئ برأسها لـ(ظافر) أن يثق بها، فتركه لها.

وحدثت (فاروق): سيبك منه يا فاروق، أنا أختك ظلال اللي بكلمك دلوقت، اللي اتربينا سوا، وعمر ما اتربينا على كده، لا أنا ولا إسراء ولا إنتَ، وإنتَ أولنا، وكنت تخاف علينا وتعرفنا الصح من الغلط، وكنا نلجأ لك بدل بابا عشان بابا كان شديد وتوعينا وتنصحنا، فين فاروق؟! ده أنا حاسة بكلم حد غريب عني!

فتراجع مرة أخرى عن غضبه: إنتِ عاوزة إيه يا ظلال؟! أنا عملت كده عشانك وعشاني، مشوفتيش تعاملهم معانا زي ما نكون حشرات بالنسبة لهم، كان لازم يتربوا ويفهموا.

فقاطعته: مش كده يا حبيبي، لو عاوز نعلمهم يبقى بأسلوبنا اللي اتربينا عليه، ده اللي هيجبرهم، مش نداوي الغلط بغلط أكبر.
فقاطعها: وأمك وأبوكِ اللي حارمِك منهم زي ما يكون عار.
فاستطردت: أنا عارفة إن مسيره هيلين ويوديني بنفسه لهم، لكن كل حاجة لازم تاخد وقتها، لكن اللي عملته دمر حياتنا كلها.
(فاروق) باستسلام: عاوزة مني إيه يا ظلال؟
(ظلال) وقد أحست بلين من أخيها: ترجع يا حبيبي وتجيبها، وأوعدك محدش هيقرب لك.
ونظرت إلى (ظافر) حتى يعطيها وعده، فأشاح بنظره عنها ولوح بيده بعدم اكتراث، ولكن (فاروق) أعطاها وعدًا بأنه سيفكر بالأمر، فقط تعطيه مهلة للتفكير بعض الوقت.
(ظلال) لم تحب الضغط عليه، فأجابت بالموافقة وأغلقت مع أخيها.
ليتلقفها (ظافر): قالك إيه؟
(ظلال) باستسلام: قال هيفكر.
فاستشاط (ظافر): نعم بروح أمه! تحت رحمته احنا! هاتي الرقم ده يمكن أعرف منين المكالمة ويحددوا المكان.
فامتنعت (ظلال): مش هديهولك، وعلى جثتي.
وحاولت مسح الرقم، لكنه حاول أخذه منها وهو يحيطها من الخلف، فأبعدت يدها وحذفت الرقم، حتى تألمت بعض الشيء فتأوهت.
فانزعج (ظافر): مالك فيكِ إيه؟
(ظلال) بتعب: مفيش، شوية تعب بس بسيط.
فقاطعها: يلا البسي، إنتِ اليومين دول كل شوية تعب، وأنا مش متطمن.
وفعلًا، ارتدت ملابسها ونزلت، لتجد (ناهد) و(بهاء) يدخلان من الباب.
(ناهد) بفرح: عندي خبر بمليون جنيه.
(ظافر) بعدم اهتمام: خير.
(ناهد) بفرحة عارمة: أنا حامل!
ففرح (ظافر) واحتضنها: بجد! ألف مبروك حبيبتي.

وجاءت (ظلال) تبارك وتحتضنها، فابتعدت (ناهد) عنها وأشاحت بوجهها، فلاحظ (ظافر) فنادى (ظلال): يلا يا ظلال.
(ناهد) بقلق: رايح فين؟
فنظر إليها: هتكشف عشان الحمل تاعبها.
(ناهد) بتفهم: أها.
وأيضًا بارك لـ(بهاء) وهرج معه أنهما سيكونان أبوان أخيرًا.
وأخذ (ظلال) إلى الطبيبة لتكشف عليها.
فنهرتها: إنتِ متوترة وعندك ضغط نفسي، وده غلط على البيبي، المفروض تبقي ريلاكس شوية وإلا ممكن تولدي قبل معادك، أنا حذرتك وإنتِ حرة.
(ظلال): يعني أعمل إيه، مش بإيدي.
ليعيدها (ظافر) إلى الفيلا ويحاول التقرب إليها.
لتبعده عنها: قلت لك أنا هنا بس لحد لما أحل لك مشكلة فاروق، وقربت تتحل وبعدها نشوف.
(ظافر) بعدم فهم: تقصدي إيه؟
(ظلال) حاولت إغلاق الموضوع: مفيش، لما ييجي وقته نتكلم، أنا تعبانة دلوقت.
وأدارت ظهرها له ونامت، فلم يضغط عليها بسبب كلام الطبيبة حتى لا تتوتر.

***

أما (بنان) فقد أخذت تفكر بالأمر مليًّا وتحسبها جيدًا، فهي تعلم نية (ماجد) جيدًا وتفهم نظراته، ولكن ماذا ستكسب، سيفعل فعلته ويرميها كأي واحدة قبلها، فلن تستفيد منه شيئًا، فإن كان الوضع هكذا فلتفعلها بطريقة صديقتها وتكتسب أكثر فأكثر وهي جالسه ببيتها.
فتحدثت إلى صديقتها عن مخاوفها وظنونها في صاحب الشركة، وأنها توافق على رأيها الذي أشارت به عليها أولا.
ففرحت (صوفيا) لذلك وقالت لها: بس أنا مسافرة فترة بره وهرجع، وطالما هتشتغلي معايا خليكِ هنا، بس متعمليش حاجة إلا لما أرجع، وإلا ممكن حد يبلغ عنك ولا أي حاجة تحصل وأنا مش موجود، أوك حبيبي.

فوافقتها (بنان) وطلبت منها مبلغًا إلى حين عودتها، فأعطتها المبلغ.
أما (ماجد) فقد جهز كاميراته في الفيلا على أمل أن تحضر إليه، ولكنها لم تأتِ، فاستشاط غضبًا، فقد اتفق مع المونتاج وجهز الكاميرات على أن يخرج الفيديو وهي فقط به ويمحو الجزء الذي يظهر فيه ويضعه على وسائل التواصل وتصبح فضيحة لـ(لبنهاوي)، ولكن كل هذا أصبح سرابًا.
فأراد أن ينتقم من (بنان)، فزرع شخصًا يراقب مسكنها الذي تركت عنوانه بالشركة ويحضر له أخبارها ويسأل الجيران عنها، فجاء له هذا الشخص بكل ما عرفه عنها وعن صديقتها وما يقال.
ففرح (ماجد) بكم المعلومات هذه، وازدادت دهشته: أمال عاملة لي شريفة ولا عشان ده مش بفلوس، ماشي يا بنان.
ولكن الشخص استطرد: بس موقفين النشاط تقريبًا على ما صحبتها ترجع لأن هي اللي صاحبة الشقة، وبت مخلطة نص خوجاية ونص مصري.
فنظر إليه (ماجد): خلاص تفضل مراقب وأول ما ترجع البت دي تكلمني وتعرفني لما يبدأوا نشاطهم.
فأجابه الشخص: أوامرك يا باشا، بالإذن أنا بقى.
فأشار إليه (ماجد): يلا بالسلامة.

***

أما (فاروق) فقد أخذ يفكر في كلام (ظلال) مليًّا وأعطى الطعام إلى زوجته (أشجان): يا ما جاب الغراب لأمه.
(فاروق) بغضب: احمدي ربك، غيرك مش لاقي اللقمة دي ولا حتى حاف.
(أشجان): هحمده وأشكره وأسجد له ركعتين شكر كمان بس لما أخلص منك.
فجذبها إليه: للدرجة دي مش طايقاني.
فنظرت إليه: جدًّا جدًّا، أنا مكرهتش في حياتي حد زيك، إنتَ دمرت حياتي.
ليرد عليها: تصدقي بالله، شعور متبادل، مكرهتش حد زي ما كرهت عيلتكم وإنتِ أولهم.
(أشجان) وقد فُتِح لها المجال: طب ما ترجعني الفيلا وتطلقني يا أخي.
فنظر إليها وتركها: قريب قوي متقلقيش، وإنتِ فاكرة إني حابب العيشة معاكِ

قوي وإنتِ مسيباني شغلي وحتتي وأمي وأبويا، أنا بس كنت حابب أربيكِ، بس كانت تربية متبادلة ليا وليكِ.

وتركها لينام وهي تنظر إليه بحقد وغل وكره.

ليتصل بعد ذلك (فاروق) بأخته: أنا جاي أنا وأشجان، بس والله لو جوزك عمل حاجة مش عارف هعمل إيه تاني.

فأجابته: متخافش بس تعالى وهاتها.

وأخبرت (ظافر) أن يأتي بالمأذون ويُنهِي الموضوع بسلام دون أي خسائر، فأحضر المأذون وظل منتظرًا، إلى أن قدِمَ (فاروق) و(أشجان) التي انطلقت باكية بحضن أخيها بمجرد رؤيته، فهدأها وأجلسها ثم أخذ بتلابيب (فاروق): أما إنتَ لك حساب تاني بس نخلص.

فأزاحه (فاروق): أنا لا خايف منك ولا من سلطتك، وأختك أساسًا متلزمنيش، وأنا طول ما هي في بيتي مقربتلهاش، أنا حبيت أعرفك إن زي ما تحت إيدك أختي فأنا كمان كان تحت إيدي أختك وممكن أعمل فيها ألعن ألف مرة من اللي عملتوه في أختي، لكن ولا حياة لمن تنادي ولا بتتعظوا.

فقاطعه (ظافر): يلا ياد وبلاش كلام فارغ مش حمله.

ثم قاطعه (فاروق): والنفقة والمؤخر.

(ظافر) بتأكيد: هنبريك من كل حاجة، والورقة أهي جاهزة، احنا مش عاوزين فضايح ولا صلة بيك بعد كده، مش عاوزين حاجة تربطنا بيك خالص.

وأنهى المأذون الإجراءات ووقع الجميع والشهود.

لتتحدث (ظلال): استنى يا شيخ مأذون عشان تطلقني أنا كمان.

ليجذبها (ظافر) بعيدًا: إنتِ عبيطة ولا بتستعبطي، قلت لك طلاق مبطلقش، ظلال متطلعيش جناني عليكِ وتثيري غضبي، كفاية الحالة اللي أنا فيها، مش ناقصك كمان.

(ظلال) بضيق: خلاص، لو مش هتطلق إنتَ حر، أنا هرجع مع أخويا مش هعيش هنا تاني.

ليجز على أسنانه وتجحظ عيناه وينظر إليها نظرة أرعبتها: امشي اطلعي فوق أحسن لك، بدل ما أشيلك وأطلعك بنفسي.

فخافت من تهديداته وانطلقت مسرعة كالأطفال تتحدث بكلام مبهم وهو يتبعها بنظراته وهي صاعدة إلى أعلى.

وذهب (فاروق) وأيضًا (بهاء)، وكذلك صعدت (أشجان) مع (ناهد) إلى غرفتها لتستعيد حياتها مرة أخرى، ولكن هل حقًّا ستستعيدها أم هناك شرخ بل صدع حدث بها؟

أما (ظافر) فخرج ليُهدِّئ من حاله قبل أن يذهب إلى (ظلال) ويحدث تصادم بينهما، وفي أثناء خروجه نبه على الحرس: مفيش نملة تدخل ولا تخرج من الفيلا، ولو المدام حاولت تخرج تمنعوها، وإياكم حد يقرب لها، هقتله.

فتفهموا الأمر.

وانطلق غاضبًا، وبعد فترة وجدت (ظلال) هاتف الفيلا الذي بالردهة يرن، فخرجت لتتحدث: مين معايا؟

الموظف: دي فيلا البنهاوي؟ هنا مستشفى... في حادث وقع لظافر البنهاوي وبعتوا لي التليفون ده أبلغ أهله.

(ظلال) بوجع في قلبها وتذكرت حادث (حمزة): وهو عامل إيه؟

ليجيبها الموظف: مع الأسف...

ولم يكمل، فقد وقعت مغشيًّا عليها، ليشعر الموظف بذلك ويتحدث: يا مدام، يا مدام...

وخرجت (ناهد) و(أشجان) ليجدانها واقعة مغشيًّا عليها، فجرَتا عليها لإفاقتها.

(ناهد) بعد أن أفاقت (ظلال): في إيه؟

(ظلال) والدموع تسيل: ظافر عمل حادثة.

وأخذت تبكي، (ناهد): أنا هتصل ببهاء يرجع بسرعة، زمانه لسه موصلش البيت.

فماذا سيحدث لـ(ظافر)؟ هل نهايته مثل أخيه أم...؟

وماذا سيفعل (ماجد) مع (بنان)؟

وما الحياة التي تنتظر (أشجان)؟

وأيضًا، هل حياة (فاروق) ستختلف؟

***

(٤١)

هاتفت (ناهد) زوجها وقصت عليه ما حدث وطلبت منه أن يسرع في القدوم، فأدار سيارته على الفور وغير اتجاهه إلى الفيلا، فقد طلبت منه (ناهد) أن تبيت هذه الليلة مع أختها، فوافق على الفور مقدرًا الظروف، ولكنه انصرف لأنه لا يستطيع النوم إلا بفراشه، وكان سيأتي لاصطحاب زوجته إلى شقتيهما في الغد، ولكن هذه الحادثة التي لا يعرف أحد نتائجها قلبت الموازين، فذهب في لمح البصر إلى الفيلا واصطحبهم إلى المستشفى الذي تحدثت عنه (ظلال).

وحينما وصلوا، تركتهم (ظلال) على الفور ودخلت إلى الاستقبال تسأل عن زوجها بلهفة، فهي لن تتحمل فقد زوج مرة أخرى وتربية الأطفال وحدها، هذا فوق احتمالها.

وجدت الموظف الذي هاتفها، فعرفها من صوتها.

الموظف بثقة: إنتِ اللي كلمتك على التليفون وبعد كده ملقتكيش؟

(ظلال) بتأكيد: وإنتَ قلت لي مع الأسف وأنا ماستحملتش وأغمى عليا.

فتأسف لها: معلش والله مش قصدي أخضك، أنا كنت هقول لك مع الأسف معنديش فكرة، طلبوا مني بس أكلمك وأعرفك المكان، لكن تفاصيل المريض مكنتش أعرفها.

فتحدثت (ظلال) بلهفة: طيب هو عامل إيه؟

الموظف مطمئنًا لها: هو بخير، شرخ في الساق الشمال واتعمل له جبيرة لمدة أسبوع، شوية رضوض وكدمات بسيطة، أنا سألت والله مخصوص عشانك وكنت هتصل تاني بيكِ.

(ظلال) بامتنان: متشكرة جدًّا، طب هو فين؟

الموظف بسرعة لأنه يرى لهفتها: في الدور التالت غرفه ٣٠٠.

فجرت بسرعة.

وقدم الجميع بعدما وجد (بهاء) مكانًا للرَّكن، واصطحبهم إلى الداخل ليسأل الموظف نفسه ويجيب الأسئلة نفسها.

وفي هذا الوقت، كانت (ظلال) قد اتجهت إلى غرفة زوجها النائم من تأثير المسكن، فوجدت به بعض الكدمات، فتتحسسها بحزن وألم وتبكي، ثم جلست بجانبه ممسكةً يده وقربتها من شفتيها واضعةً رأسها على صدره وهي تبكي: عاوز تسيبني لوحدي إنتَ كمان! طب والعيال دي مين هيربيها، أنا مش هقدر لوحدي.

ليحس بها ويضغط على يديها، فأحست بأنه مستيقظ، فنهضت بسرعة ووقفت، ليجذب يدها فوقعت بجانبه مرة أخرى: لما إنتِ خايفة عليا كده وعاوزاني جنبك، أمال بتطلبي الطلاق ليه؟!

فحاولت النهوض ولكنه أحكم سيطرته عليها بحيث لا تستطيع النهوض والابتعاد عنه.

فتلعثمت: أنا لا عاوزاك ولا حاجة ومصرة على الطلاق على فكرة.

فهمس بأذنها وحاول مسح دموعها: أمال الدموع دي كلها إيه، شفقة!

فتوترت وحاولت مسحها بشدة: آه شفقة.

ودخل الجميع وهو يبتسم ابتسامة ساخرة من حركاتها.

(بهاء) بضحك: كفارة يا راجل خضيتنا، ده أنا قلت هاجي ألاقيك متفشفش وأشيلك في أوفة بودنين.

فنظرت إليه (ظلال)، وبسرعة وهي غير مدركة أو واعية وبدون تفكير وبحدة شديدة: بعد الشر عليه.

حتى إن الجميع لاحظها، و(ظافر) ابتسم من رد فعلها الذي أخجلها ولم تستطِع تبريره، ولكنها استطردت: ربنا يخليه لعياله.

فهمس إليها (ظافر): عياله بس!

فنظرت إليه: آه، عياله بس.

(بهاء) لاحظ ذلك: خلاص بقى، أطلع أنا منها، في وحوش هياكلوني، يا بختك يا عم.

ونظر إلى (ناهد): بتحبيني أهُدَى؟

فضحكت: والله إنتَ رايق، احنا في إيه ولا في إيه إنتَ كمان.

فنظر إلى (ظافر): أهو يا عم شوفت، أنا شكلي ادبست دبوس عظيم في الجوازة

دي.
(ناهد) بضيق: وبعدين معاك بقى! خلاص نفضها سيرة لو مش عاجبك.
فضرب كفًّا على كف: يا لهوي على الستات وسنينها، صحيح «يَكْفُرْنَ العَشِير» زي ما قال رسولنا الكريم، ينسوا في ثانية أي حاجة حلوة ويقولوا اللي ما شوفت معاه يوم حلو.
ونظر إليهاك نسيتي الجرانيطة اللي جبتها لك؟!
فضحكت: اسمها جرانيطة! الكلمة دي انقرضت من أيام الهكسوس، اسمه آيس كريم يا حبيبي.
(بهاء) بضحك: أهو اعترفتي إني جيبت لك.
(ناهد) لتخرج من كل هذا: آه يا حبيبي، ربنا يخليك ليا، نشوف بقى الراجل التعبان اللي تعبناه أكتر.
(بهاء) بجدية: آه صحيح، فين الدكاتره نعرف منهم هتخرج امتى ولا إيه حالتك بالضبط.
(ظافر) مطمئنًا إياه: لا شرخ بسيط في الساق واتعمل اللازم، لما الكدمات دي هتخف مع الكمادات والمراهم، عشان كده قلت له هخرج معاكم وأكمل علاج بالبيت، وعشان الخبر ميتنتورش، إنتَ عارف مركزي حساس ووضع الشركة ممكن يهتز.
(بهاء) بتفهم: خلاص أنا هعمل الإجراءات اللازمة وهنخرج، بس مفيش خسائر أو بوليس أو أي حاجة؟
(ظافر) مطمئنًا إياه: لا الطريق كان فاضي، العربية اللي اختل توازنها فجأة واتصدمت في الحاجز الجانبي.
(بهاء): طيب الحمد لله إنه ستر.
(ظافر) موضحًا: وحتى البوليس لما جه اتلمت، لأن مفيش أطراف أصلًا في الموضوع، خدوا إفادتي وعاينوا المكان وخلاص ولمينا الموضوع.
(بهاء): تمام قوي، أنا هخلص الإجراءات حالًا ونخرج.
و(ظلال) حاولت النظر إليه، فوجدته مُسلِّطًا نظره عليها، فحادت بنظرها مرة أخرى، أما (أشجان) فهي في جانب الحجرة معزولة وحدها.

ليلاحظها (ظافر): إيه يا شيجو، مفيش الحمد لله على السلامة؟
فنظرت إليه: آه طبعًا حبيبي الحمد لله على سلامتك.
ليأتي (بهاء): في سيارة مجهزة هتنقلك حالًا واحنا وراك.
فقالت (ظلال): لا، أنا هركب معاه.
(بهاء) لم يعترض: خلاص أوك، هقول لهم المدام هتروح معاه.
فنظر إليها (ظافر): لا روحي معاهم عشان تبقي مرتاحة عشان بطنك.
فنظرت إليه: لا أنا جاية معاك.
فلم يستطع جدالها، فهو مرهق من أثر الاصطدام وتحت تأثير المسكنات.
وبالفعل، ركبت معه سيارة الإسعاف إلى المنزل، وأجلسوه على كرسي متحرك وأدخلوه الفيلا، وهموا بحمله للصعود إلى أعلى فأوقفهم بإشارة من يده: أنا مش عاجز للدرجة دي، هاتي يا أشجان من حجرة بابا العكاز بتاعه.
فجرَت وأتت به على الفور، ولكن (ناهد) نهرته: إنتَ في شرخ في رجلك ومينفعش تحمل عليها لمدة أسبوع، دي أوامر الدكتور، هو عِند في كل حاجة!
(ظافر) بعصبية: الدكتور مش هيحس بيا أكتر مني، وأنا مش عاجز ومبحبش الإحساس بالعجز، أنا هسند على العكاز وأطلع.
وجاء يسند، كان صعبًا عليه ولكنه عاند، فجاءه (بهاء): طب اسند عليا وأهو نتعكز على بعض.
فنظر إليه: هتقدر؟
(بهاء) بطريقته المرحة: دوس يا مان ميهمكش أنا ركبي حديد، بس متدوسش قوي، أختك اللي هتضيع وتلطم.
فنظر إليه: ده إنتَ طلعت عاااار! ودوس وركبي حديد.
(بهاء) بحدة: لا معلش بقى، ده المزز بتترمي عليا.
فنظرت إليه (ناهد): اللي خدته القرعة، قال مُزَز قال!
فنظر إلى (ظافر): شايف! دايمًا مكسرة مقاديفي، تقولش وخداني تخليص حق، آه مُزَز، مبتشوفيش في المكتب لما بتيجي.
فضحكت (ناهد): شوية المحاميات السكة اللي عندك دول مُزَز! لو على دول أسيبك وسطيهم وأنا مطمنة.

(بهاء): ماشي، خليكِ كده مطمنة لحد ما واحدة تلطشني منك.
وصرخ: أي، ما بالراحة يا عم وإنتَ بتسند.
فنظر إليه (ظافر): تصدق أنا غلطان إني اتسندت على حيطة مايلة، ما تنشف ياد.
(بهاء) نظر إليه: إنتَ بتقول لي أنا أنشف! طب قسمًا بالله لهشيلك، وهي ضربت في دماغي ودي أنشف من الزلط.
وحمله والجميع يضحك عليهما، و(ظافر) خائف أن يوقعه فنهره: نزلني ياد.
و(بهاء) مُصِر على موقفه، حتى صعدا إلى أعلى ودخلا حجرته، فاستلقى (ظافر) على الفراشِ وودعه الجميع متمنِّين له الشفاء.
و(ناهد) ذهبت مع (بهاء) حتى ترتاح بعد هذا اليوم الطويل، وستعود بعد ذلك لتطمئن على أخيها.
و(أشجان) ذهبت إلى حجرتها.
أما (ظلال) فأحضرت له الملابس وحاولت أن تساعده في ارتدائها، وهو ينظر إليها حتى انتهت، وانتبه إلى أنها تسير بعيدًا عنه: رايحة فين؟
(ظلال): هنام هنا على الكنبة أو أروح حجرة تانية عشان تبقى براحتك لحد ما تقوم بالسلامة، وبعدها إما تطلقني أو هروح عند ماما.
فرفض نومها على الكنبة وأمرها أن تأتي بجانبه على الفراش، ولكنها رفضت وهمت بالخروج، ولكنه تناول عكازه، فوجدته أمامها: إنتِ مفكرة إني عاجز ومش هقدر أوقفك!
(ظلال) تنظر إليه: بالعكس، أنا عارفة إن مفيش حاجة متقدرش عليها، بس أنا اكتفيت من البيت ده كله وكرهت أعيش فيه تاني، مشوفتش يوم حلو فيه من ساعة ما جيت.
فجذبها إليه ووضع جبهته على جبهتها: أنا آسف يا ظلال، أنا عارف إنك اتحملتيني كتير في لحظات غضبي وشكي، وعارف إنك اتحملتي فوق طاقتك، بس أنا بقولها لك ولأول مرة أعتذر في حياتي لحد، وبقولها لك إنتِ، أنا آسف وهعوضك.
حاولت الابتعاد عنه وهي تبكي ولكنه أحكم سيطرته عليها.

فتنهدت بحزن: ويفيد بإيه الأسف حاليًّا بعد ما دمرتني، أنا في العشرين بقيت زي العجوزة اللي في الستين من كتر الحمول اللي شايلاها، غير ولادي إسلام والبنت إلى قربت تيجي، أنا تعبت حقيقي تعبت.

(ظافر) يمسح دموعها: وأنا بحبك يا ظلال.

فنظرت إليه: وكده الحب في نظرك؟! أمال لو بتكرهني هتعمل فيا إيه!

فنظر إليها: خلاص بقى، المسامح كريم، وخليكِ كريمة معايا للنهاية، وصدقيني أنا اتغيرت على يدك، وإنتِ يا حتة طفلة علمتي ظافر البنهاوي حاجات كتير.

فضربته بصدره: برضه بتقول طفلة لسه!

فتألم: أي!

فخشيت عليه: أنا آسفة والله مش قصدي.

فابتسم: خفتِ عليا!

نظرت إليه بغضب: والله إنتَ رخم، ووسع بقى.

ليجذبها إليه مرة أخرى ويقبلها بشغف، لتبتعد بعدها بخجل، فحاول الرجوع إلى الفراش وأتت لتسنده وهي قصيرة عنه كثيرًا.

فضحك: إنتِ اللي هتسندني! روحي بدل ما تولدي فيها وأحتاس بيكِ في حالتي دي ونحتاج اللي يشيلنا احنا الاتنين.

(ظلال) بعِند: لا متخافش عليا، اسند وميهمكش.

فحاول دون أن يستند كثيرًا فتألمت، فنظر إليها: ده أنا لسه بريح عليكِ بس، وعملالي فيها شجيع السيما واسند الكتف ده زاد والكتف ده ميّة.

فضحكت عليه: أنا مقولتش كده على فكرة، ثم إنتَ تقيل، أعمل إيه يعني.

فنظر إليها: خلاص يا قمر، لو عاوزاني أنا اللي أشيلك، أشيل ولا يهمك.

فضحكت عليه: اتكلم على قدك.

فنظر إليها بتحدٍّ: متخلهاش تطق في دماغي.

فجرت بسرعة إلى الفراش قبل أن يُنفِّذ ما قال، ليأتي متمهلًا وينام بجوارها محتضنها ويضع يده على بطنها: بنوتي عاملة إيه النهارده؟

فنظرت إليه بحب: بتسلِّم على باباها وبتقول له الحمد لله على السلامة يا دادي.

فوضع رأسها بصدره: ربنا يخليكم ليا.

***

أما (فاروق) فقد كان يجلس بورشته، ليجد (سماح) تسير في الشارع وأحد الشباب يحاول مضايقتها.

فأتى (فاروق) على الفور: ما جرا إيه يا ياسر، راعي إنها بنت حتتك يا أخي.

وجذب (سماح) خلفه لأن (ياسر) كان يحاول التحرش بها.

لتدعي لـ(فاروق): ربنا يخليك يا سي فاروق ويكرمك، هو عشان أرملة ومليش راجل ينهشوا في لحمي، ده أنا بجري على بنتي وأمي بتلطم في البيوت، أمسح ولا أكنس سلم عشان ملاليم أسد جوع بنتي وأمي بيهم، وآخرتها كده.

(فاروق) بتفهم: خلاص يا سماح، توكلي على الله إنتِ، ربنا يسترها معاكِ.

(ياسر) بضيق: وإنتَ بقى عامل حامي الحِما بسلامته وإنتَ عارف بتروح فين وتيجي منين، ما هي بتمشي من الصبح لبليل، محدش يعرف لها طريق.

(فاروق) بحدة: يا أخي حرام عليك، ده إنتَ عندك ولايا، واللي بيقول كلمة بترد له عشرة، ارحم والست دي تلزمني بقى، ومن النهارده تخصني، وهتجوزها واللي عنده كلمة يلمها.,(ياسر) بغضب: خلاص أشربها، ربنا يهني سعيد بسعيدة.

وذهب إلى والدته: أمه أنا عاوز أتجوز سماح.

أم (فاروق): سماح مين الأرملة.

فالكثير من الناس يظنون أن الأرملة أو المطلقة أخذت حظها من الدنيا، ويجب عليها أن تظل هكذا طيلة عمرها ويحرمون ما أحل الله.

ولكن (فاروق) أجابها: آه الأرملة هي سبَّة إنها أرملة ما أنا مطلق على الأقل أكفر عن اللي عملته وأكفل بنتها اليتيمة، يمكن ربنا يرضى عني ويغفر لي اللي عملته، كان وزه شيطان والملعونة قريبتهم.

أم (فاروق): بس يا ابني، إنتِ الجوازة دي اتحسبِت عليكِ أونطة ده، إنتِ لسه ملحقتش تدخل دنيا ولا معاك عيل ولا تيل.

(فاروق): يا أمه هي ذنبها إن حوزها مات وكمان جابت بت، بس بت جدعة وبميت راجل، وأنا بصراحة حاسس إن دي اللي هتتحملني وتصوني في عرضي

وشرفي.
أم (فاروق): خلاص يا ابني، اعمل اللي عاوزه، أنا تعبت من الكلام ومليش طاقة.,فهل ستتركه والدته يتزوجها؟ وهل ستوافق سماح؟
وأيضًا، ماذا سيحدث لـ(بنان) حينما تأتي صديقتها من السفر وما سيحدث لـ(أشجان)؟

***

(٤٢)

أما الأم فجرَت على ابنتها (إسراء) تهاتفها: شوفتي أخوكِ وعمايله، عاوز يجوز البت سماح الأرملة وعندها بت ويصرف عليها هي وبنتها وأمها، كلميه يا ابنتي أنا غلب غلبي فيه.

(إسراء) بتفهم: يا ماما سيبيه براحته، هو راجل مش عيل صغير هتضربيه وتقولي له كخ كده وهيسمع الكلام، وسماح بنت غلبانة وهتصونه.

الأم بضيق: خلاص يا اختي، يعني أنا اللي بقيت مكروهة، ما إنتِ مكنتيش عاوزة أحمد وأبوكِ عصبك، ودلوقت عرفتي إن أبوكِ كان صح وإنتِ اللي كان مخك جزمة.

(إسراء) بتأكيد: فعلًا معاكِ حق، بس الوضع هنا مختلف، أحمد فعلًا ميتعيبش وأنا اللي مخي مكانش صح، لكن فاروق ربنا هيكرمه باللي هيعمله.

فانزعجت الأم من حديثها: خلاص اقفلي، جاتكم القرف تجيبوا الهم والمرض.

وأغلقت (إسراء)، لتجد من يحتويها ويحيطها بذراعيه من الخلف ويهمس بأذنها: في إيه؟ كنتِ بتنمِّي عليا مع مين؟ سمعت اسمي.

فاتجهت إليه ووضعت ذراعيها حول عنقه: أبدًا يا حبيبي، دي ماما.

وقصت عليه ما حدث، فأيدها (أحمد) بردها على والدتها: فعلًا ده أحسن اختيار، وأول مرة فاروق ياخد قرار صح بعد عملته السودا، وأنا كمان خدت القرار الصح لما أصريت عليكِ.

فنظرت إليه: ده أنا اللي ربنا بيحبني إنه أنعم عليا بزوج مثلك، ربنا يخليك ليا حبيبي ولا يحرمنيش منك.

واستمعت لبكاء ابنها، فنظر إليه: الواد ده طالع غلس لأبوه.

فنهرته: متقولش على أبوه غلس، ده سيد الناس كلها.

فنظر إلى ولده: طب والله غلس وبيصحى في مواقف مينفعش يصحى فيها.

***

أما (فاروق)، فجاء إلى والدته: مش هتيجي معايا يا أمه؟

فنظرت إليه وحادت ببصرها عنه: اعمل اللي عاوزه بعيد عني، ده إنتَ ألف

من تتمناك.
فنظر إليها: وأنا عاوز سماح بس من الألف دول.
فنظرت إليه: ما هي كانت قدامك وهي بِكر، جاي لما اترملت وخلفت وتقول عاوزها.
(فاروق): أهو ربنا حلَّاها في عيني عشان اترملت وخلفت.
وقبَّل يد والدته: يرضيكِ أروح لوحدي زي المقطوع من شجرة!
فأخذته في حضنها: يا كبدي يا ابني، إخس عليك تقول كده وأنا عايشة على وش الدنيا.
فاحتضنها: طب يلا قومي البسي يا ست الحبايب، هي القعدة تحلا إلا بيكِ.
ونهضت ترتدي ثيابها على مضض من أجله هو فقط، وذهبا معًا إلى بيت (سماح)، وهو شقة والدتها التي تعيش فيها معها.
وتحدث (فاروق) إلى والدتها: شوفي يا حاجة، أنا راجل دغري وداخل البيت من بابه وطالب إيد سماح.
ونظر إلى (سماح): شوفي يا بنت الناس، بنتك هي بنتي وفي عنيا وطلباتها أوامر.
فنظرت إليه (سماح) بامتنان: تسلم يا سي فاروق، وأنا مش هلاقي زيك أبدًا، رجولة ومجدعة، لكن إنتَ شايف أمي عاجزة ومش بعد العمر ده هسيبها لوحدها متلاقيش اللي يخدمها، أنا كنت أيام المرحوم قاعدة برضه معاها وده كان شرطي.
فمصمصت الأم شفتيها: وإنتِ بتتشرطي على ابني كمان، رضينا بالهم...
فقاطعها (فاروق): وأنا أمك هي أمي، واللي مأرضاهوش على أمي مأرضاهوش على أمك، ولو أمي نفس حالة أمك...
ونظر إلى والدته: بعد الشر عليكِ طبعًا يا ست الكل، كنت برضه هشرط عليكِ نقعد مع أمي، وأنا قابل شرطك يا سماح، وهجيب لك أوضة نوم جديدة، وشوية لما ربنا يفرجها هستلقط أنتريه وأجيبه.
فنظرت إليه (سماح) بتفهم: وأنا مش طالبة منك حاجة، لو هعيش معاك على حصيرة مش هقول لأ، المهم لا في يوم تهيني ولا تهين أمي ولا بنتي.
(فبعض أنصاف الرجال يظن أن الرجولة لن تكتمل إلا بإهانته زوجته وضربها،

ولا يعرف أن كرامتها من كرامته، وقد قال رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم): «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»، وأيضًا قال: «رِفْقًا بِالقَوَارِيرِ»، وعندما قال الله تعالى: «وَاضْرِبُوهُنَّ»، جعلها المرحلة الأخيرة بعد العظة والهجر في المضاجع، وليس ضربًا مُبرحًا كما يفعل البعض ممن يعتبرونه من علامات الذكورة، ويكون ذلك عند نشوز المرأة فقط وليس بغرض الإهانة، إلا أنهم ينسون قوله تعالى: «وَعَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ».

رفع (فاروق) يده: حد الله لو عملت كده! إنتِ مش شايفاني راجل قدامك عشان أهين حريمي، طول ما إنتِ صاينة بيتك هتتشالي فوق الراس، وأمي دي تبقى أمك، لو احتاجت منك حاجة متتأخريش عنها.

فنظرت (سماح) إلى والدته: من غير ما تقول يا سي فاروق، دي فوق راسي وزي أمي، إنتَ هتوصيني على أمي.

فنظر إليها (فاروق): استبينا، نقرأ الفاتحة، وبكرة آخدك نجيب حتتين صيغة لزوم شبكتك يا عروسة.

فزغرطت (سماح) ونظرت إليها أمه: عشنا وشوفنا العروسة اللي تزرغط.

فنظرت إليها (سماح): ما أنا لو ليا أخت كان زمانها فرحت لي وزرغطت، لكن ملناش حد.

ثم استأذن (فاروق) وودعته (سماح) وهي تطير من الفرحة، أخيرًا ستحتمي برجل يريحها من مآسي الحياة التي مرت بها بعد وفاة زوجها ومن تحرشات كل من هبَّ ودب، وأخيرًا ابتسمت لها الحياة.

ورغم أن (فاروق) فعل هذا تكفيرًا لذنبه وفعلًا للخير، فقد أحس بالسعادة وأن (سماح) كانت اختيارًا موفقًا، وهي من ستراعيه وتصونه وتعيش معه على الحلوة والمرة قانعةً لا تتبتر على العيش معه.

وعلمت (ظلال) بذلك وقالت لزوجها، فأسكتها: لو سمحتِ يا ظلال متجبيش سيرته قدامي عشان بتعفرت.

وسمعتهما (أشجان) وهي تسير بالردهة، فحمدت ربها أنه خرج من حياتها نهائيًا ولن يعود مرة أخرى، فهي لم تكره بحياتها أحدًا مثلما كرهته، فقد دمَّر حياتها وأفقدها عذريتها ولم يكتفِ بهذا، إذ أهانها وأذلها مرارًا وتكرارًا،

وأسكنها ذلك المسكن اللعين الذي لا يقوى على المكوث به أيٌّ من البشر لمدة دقيقة واحدة وليس أيامًا عديدة كما قضت هي معه في ذلك السجن والمحبس اللعين، فقد آن الأوان أن تتخلص منه إلى الأبد دون خوف مو عودته ثانيةً، وأن تستعيد حياتها، فقد كانت قابعة بغرفتها تخشى الخروج وتخاف أن تراه مرة أخرى، أما الآن فقد تحررت من عبوديته لتمارس حياتها المعتادة.

ولكن، هل حقًّا ستعود إلى حياتها المعتادة أم ستتغير؟

***

أما (بنان)، فقد عادت صديقتها من السفر وما زالت المراقبة مستمرة من طرف (ماجد)، وأخبره المراقب أن صديقتها عادت واستأنفت نشاطها، فأخبره أن يظل مستمرًّا في المراقبة وحينما يأتي أي شاب غريب إلى البيت يخبره على الفور.

وبالفعل، جاء أحد الشباب، و(بنان) جالسة أمامه شبه عارية بقميص نوم شفاف، وتمدد ساقيها على الأريكة وتتنفس دخان الشيشة وتتفاوض معه في السعر، والشاب يتلذذ بالنظر إلى جسدها ويقر أنه سيدفع ما تطلبه منه، فأمرته أن يدفع عشرة آلاف جنيه، ولكنه تفاوض إلى أن وصلا إلى ستة آلاف جنيه.

وتدخلت صديقتها: إنت ٥ آلاف وأنا ألف إيجار غرفة.

فنظرت إليها (بنان): أوك.

وأخذته إلى الغرفة التي شهدت اغتصاب ابنة عمها واغتصابها، لتصبح مهنتها التي تمتهنها.

أما (ماجد) فقد أبلغ شرطة الآداب عن أعمال منافية للآداب في تلك الشقة، لتأتي مباحث الآداب وتهجم على الشقة وتأخذ الجميع متدثرين بمحرمة، و(بنان) يمسك بها أحد العساكر، ولكن يشاهدها (هاني)، فقد انتقل إلى الآداب، وقد شبَّه عليها واقترب منها: أنا شوفتك قبل كده فين؟ إنتِ مسجلة آداب؟

فقد شاهدها وقت وفاة عمها وحادث (حمزة) بالمستشفى.

وهي عرفته فقالت له: أنا بنان البنهاوي بنت عم ظافر.

ليصعق مما سمع، فكيف سيقول هذا لصديق عمره، وتناول هاتفه ليهاتف (ظافر)، ولكن (بنان) أغفلت العسكري وانطلقت بالشارع، فارتطمت بسيارة وقذفتها عاليًا إلى قارعة الطريق وهي عارية!

فجرى (هاني) عليها يغطيها بمحرمتها وصاح فيهم: اتصلوا بالإسعاف فورًا.
ثم اتصل بـ(ظافر): حصلني فورًا على مستشفى...
(ظافر) بفزع: خير في إيه؟
فأخبره أن (بنان) حدثت لها حادثة، فارتدى ملابسه على الفور، ولكن (ظلال) بعدما سمعت المكالمة صممت أن تأتي معه، فحاول إثناءَها عن هذا، فهي حامل وعلى وشك الولادة، ولكنها أصرت على أن تأتي معه.
وبالفعل، ذهبا إلى المستشفى، وتلقفهم (هاني)، ليأخذ (ظافر) بعيدًا ويقُصَّ عليه ما حدث، فصُعِق مما سمع وترجَّا (هاني) ألا يخبر أحدًا بذلك، وخصوصًا الإعلام، فإذا عرفوا ستكون القاضية.
فتفهم (هاني) الموقف: عشان كده جبتها هنا على مسئوليتي، واتصلت بيك فورًا نلم الموضوع.
فشكره ودخل هو و(ظلال) عليها، فوجدها شبه مهشمة ولا تقوى على الحركة والجراح في جميع جسدها، لتنظر إليهم وبصوت واهن يكاد يخرج مع حشرجة خروج الروح من الجسد: سامحوني كلكم، سامحيني يا ظلال، أنا اللي قلت لنادر يعمل معاك كده.
فنظرت (ظلال) إلى (ظافر)، فهو يعلم ولكن (ظلال) لم تكن تعلم هذا.
أكملت (بنان): وقولوا لأشجان تسامحني، أنا اللي خليت فاروق يعمل فيها كده.
فنظر (ظافر) و(ظلال) إلى بعضهما بعضًا ثم إليها، والتي أسلمت الروح إلى بارئها.
لتصرخ (ظلال) ويظن (ظافر) أنها تصرخ من أجل (بنان) ويحاول تهدئتها، لكنها قالت له: أنا بولد!
فتحرك في جميع الاتجاهات: طب أعمل إيه؟ نامي جنب بنان طيب.
فصرخت به: لأ طبعًا.
فنظر إليها: طب أنزلها على الأرض وتنامي مكانها؟
(ظلال) ترفض: لأ طبعًا، أنا هنام على الأرض هنا.
(ظافر) يرفض: لأ طبعًا.

وحملها وخرج بها، لتقول له: القرن طَش!
و(ظافر) غير مستوعب: نعم! يعني إيه؟ دي لغة تانية!
(ظلال) بعدم فهم: معرفش، هما بيقولوا كده، تلاقي كل الدكاترة والممرضات جم.
فأوقف إحدى الممرضات وهو يحمل زوجته وقال لها: القرن طش.
فأشارت إليه بأن يدخلها غرفة العمليات بسرعة وستحضر لهم الطبيب فورًا.
وبالفعل، ذهب ووضع زوجته وحاول أن يُنادي أي طبيب ليولد زوجته حينما تأخرت الممرضة، ليجذب أحد الأطباء ويدخله إلى زوجته ليولدها، فأقسم له الطبيب أنه طبيب عظام وليس نساء وتوليد، لكنه (ظافر) رفض أن يخرجه وأمره أن يولدها فهو لا يحتمل صراخها.
حاول الطبيب أن يستذكر ما درسه في قسم النساء ووقف يفكر، و(ظافر) ينهره: إنتَ لسه هتفكر!
ليجدا الطفلة تنطلق و(ظلال) تصرخ بأعلى صوتها، فاستلمها الطبيب وأنهى الولادة، وفتح أخيرًا (ظافر) للممرضات والأطباء التي تدق باب الغرفة وهو حمل ابنته ودثرها بمحرمة.
لتتلقفها منه إحدى الممرضات، ففعلت لها اللازم وهو اعترض بشدة واحتضنها وخشي أن يعطيها للممرضة، وهي طمأنته، فنظر إلى (ظلال)، لتومئ برأسها مطمئنة إياه أن يترك الفتاة معها لتحممها وتزنها وتفعل لها اللازم، فأعطاها إياها ورجع إلى (ظلال) يقبلها: الحمد لله على سلامتك.
فابتسمت له: تسلم لي حبيبي، ربنا يخليك لينا.
فقد شاهدت حبه لهم وخوفه عليهم، واتصل بإخوته ليعرفهم، وخرج لـ(هاني) حتى يخفي الموضوع، فقد ماتت (بنان) بعارها ويجب سترها.
تفهم (هاني) الأمر وحاول لملمة الموضوع وجعلها مجهولة الهوية وماتت، فلا شيء ينفع إن سجلوا لها قضية وهي متوفاة.
وجاءت (ناهد) لتبارك وعلِمَت خبر وفاة (بنان)، فترحمت عليها، فلا مجال لشماتة أو غير ذلك.
وصدمت (أشجان) عندما علمت أن (بنان) السبب فيما حدث لها، وأيضًا حينما

علمت نهايتها، ولكن لا شيء يمحو أن (فاروق) أخو (ظلال) هو الأداة التي ذبحتها بها (بنان)، وذلك لم يعفيه من شيء ولم يغير طريقتها مع (ظلال).
أما (ناهد) فتفهمت الموقف، وذهبت لترى ابنة أخيها بفرحة عارمة، و(ظافر) شاهدها وعيونه تتلألأ من الفرحة، لياخذ (ناهد) جانبًا ويتحدث معها بأنه يريد عمل مفاجأة لزوجته بعد عنائها معه.
فما هي المفاجأة يا ترى؟
وهل ستظل (أشجان) هكذا أم ماذا يخبئ لها القدر؟

***

(٤٣)

عادت (ظلال) بابنتها إلى الفيلا وسط عيني (ظافر) اللتين تحتويانهما، فأخيرًا مَنَّ الله عليه بطفل، ومن هذه المخلوقة التي لم يحب في الكون أحدًا مثلما أحبها، رغم أنه كان يكابر ولم يفصح لها عن حبه إلا بعد عناء مرير.

وأيضًا (ظلال) كانت تنظر إليه وتتأمل نظرات الفرح والاحتواء وتشعر أن الحياة تتراقص أمام عينيها، فها هو حبيبها يبادلها الشعور نفسه ويجتمعان على حب هذه المخلوقة الصغيرة التي جمعت بينهما وكانت سببًا في توطيد علاقتهما.

كان خائفًا عليهما، حتى إنه أراد أن يحملهما معًا، ولكن (ظلال) رفضت وقالت له أنها بخير وتستطيع السير.

وظلت الحياة هكذا فترة إلى أن استردت (ظلال) صحتها وعافيتها.

وكان (ظافر) قد تحدث إلى (ناهد) عن المفاجأة التي يريد أن يصنعها لـ(ظلال) بعد أن استردت عافيتها هي وابنته، والتي ظلت بالحضانة فترة لأنها وُلِدت مبكرًا.

بدأت بالفعل (ناهد) في التجهيز للحفل، أما (أشجان) فقد ارتدت الحجاب ولكن تعاملها مع (ظلال) ظل كما هو ولم تغفر لها خطيئة أخيها.

***

أما (فاروق) فقد تزوج دون أي احتفال، فهو مطلق وهي أرملة، فقط بعض الجيران لإلباسهما الشبكة وكتب الكتاب في حضور أمه و(إسراء) و(أحمد)، ولكن في عدم حضور (ظلال) لأنها كانت تلد وأيضًا لم يسمح (ظافر) بهذا.

كانت (سماح) نِعمَ الزوجة، وقد أحسن الاختيار وشعر أن الله يعوضه بهذه الزوجة التي تعين زوجها ولا تشتكي ضيق الرزق، بل تحاول تدبر أمورها كأي سيدة أصيلة ولا تشتكي من والدته التي تُسمِعها الكثير، حتى لا تنغص على زوجها حياته، وهو يعلم ويقدر لها صنيعها، ويحاول تطييب خاطرها ويحدثها أنها كأمها ولا تؤاخذها بما تقول.

وهي راضية قانعة، فلم تحلم بمثله أبدًا، وهكذا أرضاها الله بعد شقائها وضيق

عيشها.

***

أما (ظافر)، فنادى على (ظلال) لترتدي ثيابها وتحضر أطفالها، فاندهشت من قوله وسألته أين سيذهبون، فقال لها إنها مفاجأة.

وبالفعل، أخذها بالسيارة مع إسلام وأسيل، وفي أثناء سيرهما جحظت عيناها ونظرت إليه: ظافر، إنتَ رايح...

فقاطعها وأومأ برأسه: أيوه يا عيون ظافر.

فتهللت أساريرها: ميرسي يا حبيبي، ربنا ما يحرمني منك أبدًا.

وأوقفها أمام بيت والدتها لتأخذ ابنتها على عجل وتترك له (إسلام) يأتي به، ودقت على أمها الباب، وعندما شاهدتها بكت الاثنتان معًا واحتضنا بعضهما بعضًا، ودخلت مسرعة إلى أبيها بعد أن سلمت (أسيل) لأمها لتحتضنها.

فأسرعت الأم وراءها بخوف: إيه جابك؟ اتخانقتي مع زوجك؟

لتجد من يدق الجرس، فأشارت (ظلال) على الباب: افتحي لظافر يا ماما، معاه إسلام جايبه.

فجحظت عينا الأم: ظافر بيه جاي هنا!

وجرت الأم لتفتح له فاحتضنت (إسلام) وأذنت لـ(ظافر) بالدخول وهي تتلعثم: اتفضل يا ابني، يوه يا بيه.

فهدأها: قولي يا ابني يا أمي، أنا زي ابنك ولا إيه؟

ففرحت السيدة: آه طبعًا، وأنا أطول يا ابني، اتفضل.

ووجدت (ظلال) أباها يبدأ الحركة ويجلس بنفسه ويتحرك بعكاز ويذهب إلى الحمام، ففرحت لأنه بدأ الحركة.

وجاءت الأم: البركة في جوزك، بعت له ممرضة كويسة بقت تعمل له علاج طبيعي، ولما بدأ شوية يستجيب بقى يبعت له العربية تاخده المركز، بس على مستوى، وهو اللي خلاه يتحرك كده.

فنظرت (ظلال) إلى (ظافر): ومقولتليش ليه؟

الأم: والله جوزك اللي بعت مع السواق مأجيبش سيرة لحد.

وانتهت الزياره وأخذها (ظافر) إلى الفيلا وهي ممتنة له لما فعل لأبيها وأيضًا

لهذه المفاجأة، وبدأت (ناهد) في تجهيز المفاجأة وعمل اللازم لإقامة الحفلة واختيار الملابس كمفاجأة.
وجاء يوم الحفل، لترتدي (ظلال) فستانًا أبيضً ضيقًا رقيقًا وكأنها عروس ليلة زفافها، لتسأل (ناهد): لماذا الأبيض؟
فقالت لها إنه هكذا أمر (ظافر) حتى يليق مع بدلته، فلم تعقب.
وارتدى الجميع فستانًا موحدَ اللون، (أشجان) على مضض سمعت كلام (ناهد)، وكذلك (إسراء) أتت (ناهد) لها بالموديل نفسه، فالجميع مشترك بالمفاجأة، وجاء والد (ظلال) الذي بدأ يتحرك بعكاز بعض الشيء، وأيضًا والدتها.
و(ظلال) لم تعلم شيئًا وكأنها حفلة عادية تابعه للشركة، وعندما نزلت من الأعلى بعد أن ظلت معها الكوافيرة فترة.
فوجدت الجميع بانتظارها في الأسفل، (ناهد) و(أشجان) و(إسراء) بلون بينك موحد الشكل، فاستغربت لماذا هم هكذا وكأنهن وصيفات العروس.
فتقدمتهن لتخرج، وبمجرد خروجها أتى (ظافر) فتأبطه وانطلقت موسيقى العرس، فنظرت إليه بخجل وكأنها تقول: ماذا فعلت؟ أبعد أن أنجبنا صنعت لي فرحًا.
فكان كأنه يرد بعينيه المليئتين بالشوق: هذا أقل شيء أُعرِب به عن حبي بعد معاناتك معي.
ثم حملها وبدآ بالرقصة، وهي في خجل من الجميع، والكل حيَّا العروسين وفرحوا من أجلهما.
أما (فاروق) فلم يأتِ لأنه لم يُدعَ إلى هذا الحفل.
وفي مكان آخر، تحدث (مازن) مع أبيه ووالدته.
الأب، وهو سيادة الوزير: يلا يا عنايات هنتأخر على الحفلة، وإنتِ عارفة ظافر بيساندني ازاي.
ثم تحدث لـ(مازن): والله كان نفسي أجوزك أخته، بس مطلقة، وإنتَ أول فرحتنا ومينفعش.
(مازن): اخلعني من دماغك إنتَ وماما اللي هرياني عرايس، أنا مش بتاع جواز.

فتعصبت الأم: لامتى يعني هتفضل كده، عديت التلاتين ولسه مش عاوز تتجوز.
(يسري السلحدار) الأب: يلا دلوقت، الحفلة بدأت.
وانطلق الجميع إلى الحفل، وسلمت الأم والأب على (ناهد) و(ظافر)، في حين وقف (مازن) بركن يشرب كأسًا من العصير، فمرت (أشجان) بجانبه وهي تنظر إلى الخلف، فاصطدمت به ووقع العصير على بدلته وقميصه.
فزفر بضيق: إنتِ إيه اللي عملتيه ده! عامية مش شايفة، طالقينك على الناس كده.
وهو يحاول تنظيف ملابسه ولم ينظر إليها، لتتحدث إليه: أنا آسفة والله ماقصدش.
فنظر إليها وسرح وتفوه بهدوء: لا أبدًا ولا يهمك.
(أشجان): طيب هات الجاكيت وأنا هنظفه بسرعة.
فخلعه بسرعة وأعطاه لها، وقبل أن تلتفت جذبها إليه: إنتِ رايحة بيه فين؟
(أشجان) باستغراب: هنظفه، متخافش مش هسرقه.
(مازن) بابتسامة: لا معلش، رجلي على رجلك، محدش مضمون اليومين دول.
(أشجان): ليه؟! هطمع فيه ألبسه مثلا!
هرش برأسه: مش القصد، بس آجي معاكِ أضمن يعني، هقف بالقميص عامل زي اللي بوقع على نفسي ولا بريِّل كده!
فضحكت: آه صح، طيب تعالى معايا جوه الفيلا.
فانطلق معها إلى الداخل، وفي أثناء سيرهما: بس إنتِ واخدة على الفيلا زي ما تكوني من أهلها، إنتِ شغالة هنا ولا قريبتهم؟
فنظرت إليه: أنا أختَ ظافر البنهاوي.
(مازن) بتلقائية: هو إنتِ!
فنظرت إليه: هو أنا إيه؟!
فحاول التموية: لا أبدًا، ولا حاجة.
وأجلسته وكادت تذهب، فجذبها من يدها: رايحة فين؟
(أشجان) بضيق: والله هديها للدادة تنظفها، ولا تحب تدخل المطبخ معايا.
(مازن) بابتسامة: أحب قوي.

(أشجان) تزفر بضيق: لو تحب أجيب لك جاكيت من عند ظافر لو مش واثق فيا وخايف آخده ليا يمكن هيدفيني ولا حاجة، أجيب لك عادي.
(مازن) بثقة: لأ، ولا يهمني، عندي منه دستة أصفر وأحمر وأخضر وبينك...
(أشجان) باستغراب: إيه الألوان العجيبة والغريبة دي!
(مازن) ليؤكد لها: وعشان أأكد لك، خدي القميص كمان، يلا يا ستي شوفتي بقى أنا واثق فيكِ ازاي.
وألقاه عليها لتسبهِلَّ من فعلته: وإنتَ هتقعد طرزان كده؟!
(مازن): لأ طبعًا، ما أنا لابس الكرافات أهو.
فضحك (أشجان): لا بجد سترت نفسك!
وانطلقت إلى الدادة بهما، فنظفتهما وذهبت إليه، لتقول له: هطلع أجيب لك حاجة من فوق بدل ما تبرد.
فجذبها لتجلس بجانبه، ففزعت من فعلته، وهو يرد: أنا واخد على كده، إنتِ مشتركة في نادي الصيد؟ أحب أشوفك هناك.
(أشجان): كنت مشتركة أيام ثانوي وبطلع في المسابقات، وكنت إنتَ بتكسبها مع الفريق بتاعك.
(مازن): يعني شوفتيني قبل كده وتعرفيني، بس ازاي ماخدتش بالي!
(أشجان): عشان كنت طفلة في ثانوي بضفرتين طوال، كنت دايمًا يوم الصيد بعمل الضفرتين دول، ومرة أخدت مني الصيد بتاعي، ولما روحت لك قلت لي امشي يا شاطرة بعيد، ومن ساعتها ماشتركتش تاني وسيبتها لك.
(مازن) بابتسامة: قولي والله العظيم! ده أنا حمار وستين حمار!
فابتسمت وابتعدت عنه لتقوم، فجذبها مرة أخرى لتجلس بجانبه: طب إيه رأيك تبقي معايا؟
فنظرت إليه: نعم!
(مازن): ماقصدش والله، أقصد ضمن فريقي، أنتظرك بكرة ١٢ الظهر في النادي.
(أشجان) أخذت برهة ثم أجابت: هفكر.
فتناول هاتفها ورن على هاتفه ورن عليها: ده رقمي هستناكِ، بس ممكن أسأل

سؤال لو ميضايقكيش، إنتِ لسه صغيرة على الزواج والطلاق، ممكن أعرف السبب؟

فوجدت نفسها تقص عليه كل ما حدث.

(مازن) بضيق: معقول في ناس الحقد والشر فيهم للدرجة دي! ومن لحمك ودمك بعد ثقتك فيها تعمل كده.

(أشجان): أهي ماتت وخدت جزاءها.

وأتت الدادة بالملابس ليرتديها.

كاد الحفل ينتهي و(ظلال) و(ظافر) والأهل في منتهى السعادة، فحمل (ظافر) عروسه إلى حجرتهما وودع الجميع، و(ظلال) خجلة مما يفعل.

وفي اليوم التالي، ذهبت (أشجان) إلى النادي، وتوالت اللقاءات حتى يوم المسابقة، وعند فوزهما احتضنا بعضها من الفرح عند الإعلان بالفوز، ليتم التقاط الصور وفبركة الأخبار الصحفية.

ورأى (ظافر) ذلك فاستدعاها، فاتصلت بـ(مازن): شوفت الصور والكلام؟! (هل هي بداية حياة أم مجرد علاقة عابرة لابن الوزير)، وحاجات كتير، وظافر باعت لي أنزل له.

(مازن) يهدئها: انزلي وأنا قدام فيلتكم وداخل أهو.

ودخل ليقابل (ظافر) هو و(أشجان).

فتلقفهما: ممكن أعرف إيه ده وأفهمه؟! لو مش هامك سمعتك خافي علينا.

فاستوقفه (مازن): احنا معملناش حاجة غلط، وكنا وسط الناس، مجرد فرحة فوز وكان حضن بريء، وأنا مش جاي عشان أبرر، أنا بحب أشجان وعاوز أتجوزها.

فصدم (ظافر): بس هي مطلقة.

(مازن) بتأكيد: أنا عارف كل شيء عنها ومُصِر على الزواج.

فأومأت برأسها: أنا قلت له على كل حاجة.

(ظافر): ووالدك ووالدتك هيوافقوا؟

(مازن) بكل ثقة: أولًا أنا اللي هتجوز وده قراري.

فتفهم (ظافر) وأعرب عن مباركته للزيجة، ولكن يجب موافقة الأهل.

وبالفعل، أخذ (مازن) يتفاهم مع أهله وهم بين رفض وقبول، إلى أن أقنعهم وتم الزواج، وهكذا عوضها الله بمن أحبها وأحبته لأنها ظُلمت.
فإن قلت اللهم إني مظلوم فانتصر، فسينصرك الله ويعوض صبرك خيرًا.
أما (ظافر)، فجلس على الفراش ومعه اللاب وارتدى نظارته، لتأتي (أسيل) تحاول نزع نظارته.
فنادى (ظلال): إنتِ يا هانم، الولد باش في إيدك، مش هتبطلي دعك فيه، الولد هيتبري! وتعالي خدي بنتك.
فقالت لـ(إسلام): نزل بقى الميّة عليك، أما أشوف اللي بيزعق ده.
وأتت إليه: هي مش بنتك زي ما هي بنتي.
(ظافر): ريحتها صعبة غيري لها، ثم مش فيه دادة لهم تحميهم وتعمل ده كله.
(ظلال): أنا بحب أحمي ولادي بنفسي وأطمن على نظافتهم.
(ظافر): دي مش نظافة ده وسواس قهري، خدي البنت ونيميهم.
فنظرت إليه: عاوز إيه؟ لخص وانجز.
(ظافر): في واحدة تقول لجوزها لخص وانجز، اتغيرتِ يا ظلال، بقيتي قوية ومفترية.
(ظلال): من عاشر القوم، عاوز إيه يا ظافر ها؟ أنا طالع عيني مع عيالك من الصبح وغير كليتي اللي هسقط بسببكم.
(ظافر) يترك ما معه ويتدثر بغطائه: مش عاوز منك حاجة خالص، يخربيت الرومانسية على اللي يطلبها.
وحين نام الأطفال، أتت بجانبه، ليلتفت ويحتضنها من الخلف.
(ظلال): هاااا هاااا اتلم!
(ظافر): والله حضن بريء يا جزمة!
وهكذا تحولت (ظلال) إلى وحش مفترس.

***

«أرجو أن أكون قد أفَدت ورسمت البسمة على الوجوه»
(فيروز شبانة)